مجلة الدراسات الإعلامية

دورية دولية محكمة

Volume IX

Issuance TWENTY-FOURTH

AUGUST2023

المجلد التاسع

العدد الرابع والعشرون

اغسطس/ آب 2023

ISSN (Online) 2512-3203

Journal of Media Studies

International scientific periodical journal

مجلة الدراسات الإعلامية

مجلة الدراسات الإعلامية

Journal of Media Studies

دورية دولية محكمة
عنى بنشر الدراسات والبحوث
في ميدان علوم الاعلام والاتصال والصحافة بعدة لغات

تصدر عن

المركز الديمقراطي العربي
ومركز مؤشر للاستطلاع والتحليلات بألمانيا

Germany:

E-mail: media@democraticac.de

المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية
Democratic Arabic Center
for Strategic, Political & Economic Studies

رئيس المركز الديمقراطي العربي
أ. عمار شرعان

هيئة التحرير

رئيسة التحرير واللجنة العلمية
د. شيماء الهواري

مديرة التحرير
د. فاطمة الزهراء عبيدي

الهيئة الاستشارية العليا
د. هويدا علي سيد مصطفى
أ. د. محمد ضريف
د.رشيد البكر
د. حسن الخطابي
د. محمد شادي

اللجنة العلمية للعدد الثالث والعشرون

الأساتذة المحكمون	
د. شيماء الهواري	**دكتورة في القانون العام والسياسات العمومية متخصصة في الاعلام السياسي؛ جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء؛ المملكة المغربية**
سامية غشير	:استاذة مساعدة بجامعة باجي مختار، عنالة_البلد، جمهورية الجزائر
مصطفى المريط	**أستاذ نظريات الإعلام والاتصال بجامعة محمد الأول بوجدة عضو مختبر الدراسات الأدبية واللسانية وعلوم الإعلام والتواصل جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس- المملكة المغربية**
فيروز المطاعي	استاذة محاضرة أ، كلية الاعلام و الاتصال، جامعة الجزائر، جمهورية الجزائر
سهام بدبودي	**دكتورة في علوم الاعلام والاتصال، جامعة باجي مختار عنابة، الجز ائر**
أ. د.عائشة محمد أحمد محمد الجميل	دكتورة وباحثة علوم سياسية، معلم خبير بالتربية والتعليم ومدربة بالأكاديمية المهنية للمعلم المهنية ، مصر
علي عبد الهادي الكرخي	استاذ علوم الاتصال و العلاقات، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي، العراق
طارق اسماعيل محمد	استاذ تصميم المنتجات و الاتصال البصري كليو الاعلام، جامعة عجمان، دولة الامارات العربية المتحدة
شهيرة بن عبد الله	مساعدة للتعليم العالي بمعهد الصحافة وعلوم الإخبار بمنّوبة
مي عبد الغني يوسف محمود:	استاذ مساعد في ليبيا، عضو هيأة تدريس في كلية الإعلام جامعة بنغازي، التخصص :إذاعة وتلفزيون ، التخصص الدقيق تكنولوجيا البث الفضائي، جمهورية ليبيا
على مولود فاضل	:دكتور في علوم الاعلام و الاتصال، استاد قسم الاعلام جامعة الاسراء، العراق

ريم الشريف	**دكتورة في علوم و تقنيات الفنون و استاذة تعليم عالي بكلية الآداب و العلوم الانسانية بالقيروان و متخصصة في علوم و تقنيات الفنون، جمهورية تونس**
د .سرمد جاسم محمد الخزرجي	استاذ مدرس في كلية الآداب بجامعة تكريت قسم علم الاجتماع، العراق
ا م د ميثم منفي كاظم العميدي	:استاذ القانون الدستوري والنظم السياسية في جامعه الكاظم، العراق

محددات النشـــــــــــــــــــــر

تعتمد مجلة الدراسات الإعلامية في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكمة علميا، وفقا لما يلي:

أولا: إجراءات تقديم البحث ومواصفاته:

- أن يكون البحث أصيلًا معدّا خصيصًا للمجلة، وألّا يكون قد نشر جزئيًا أو كليًّا أو نُشر ما يشبهه في أيّ وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية.
- أن يرفق البحث بالسيرة العلمية للباحث باللغتين العربية والإنكليزية.
- يقوم الباحث بإرسال البحث المنسق على شكل ملف مايكروسوفت وورد، إلى البريد الالكتروني: media@democraticac.de
- يجب أن يكون البحث مكتوباً بلغة سليمة سواء اللغة العربية او الانجليزية وحتى اللغات الاخرى المستعملة، مع العناية بما يلحق به من خصوصيات الضبط والرسم والأشكال.
- يتمّ تقويم البحث من ثلاثة محكّمين، والرأي الاخير يكون للجنة العليا للمستشارين.
- يتم ارسال ملاحظات التحكيم الى الباحث.
- يقوم الباحث بإجراء التعديلات المطلوبة وارسال البحث المعدل الى البريد الالكتروني المذكور اعلاه نفسه في غضون 3 ايام من تاريخ ارسال التعديلات.
- التعديلات التي ترسل بعد الآجال القانون المحدد اعلاه تعتبر مرفوضة، الا في حالات استثنائية.
- الباحث ملزم بالتقيد بالآجل النهائي القانونية لاستقبال المقالات المعلن عنها من طرف المجلة.
- أي مقال يرسل بعد الآجال النهائي يرفض.
- أي تعديلات ترسل بعد الآجال النهائية ترفض.

الباحث ملزم بالتوقيع على تعهد قانوني ترسله له المجلة بعد الموافقة على المقال هذا التعهد يحفظ حقوق الباحث العلمية من السرقات الفكرية مستقبلا، ويلزم الباحث بانتساب المقال له، ويخلي دمة المجلة قانونيا من أي التباسات مستقبلا.

ثانيا: كيفية إعداد البحث للنشر:

- يجب ان تكون عدد كلمات المقال بين 4000 الى 9000 كلمة أي في حدود 20 صفحة بما في ذلك قائمة المراجع والجداول والأشكال والصور.
- أن يلتزم المؤلف بالأصول العلمية المتعارف عليها في إعداد وكتابة البحوث وخاصة المقدمة وعناصرها، والخاتمة، ابراز اهمية المقال، وإشكالياته، فرضياته...
- يجب إثبات مصادر المعلومات وتوثيق الاقتباس واحترام الأمانة العلمية في الاحالات والمراجع والمصادر (وجوبا).
- يجب ان تتضمن الورقة الأولى العنوان الكامل للمقال باللغة العربية وترجمة صحيحة لعنوان المقال باللغة الإنجليزية، كما تتضمن اسم الباحث ورتبته العلمية، والمؤسسة التابع لها، الهاتف، والفاكس والبريد الالكتروني.
- يجب ان تتضمن الصفحة الاولى من المقال ايضا: ملخصين، في حدود 200 مائتي كلمة للملخصين مجتمعين، حيث لا يزيد عدد أسطر الملخص الواحد عن 10 أسطر بخط 12 **Simplified Arabic** للملخص العربي و 12 Times New Roman للملخص باللغة الانجليزية، أحدهما بلغة المقال والثاني باللغة الانجليزية على أن يكون أحد الملخصين باللغة العربية. (وجوبا).
- يجب تكتب المادة العلمية العربية بخط نوع **Simplified Arabic** مقاسه 14 بمسافة 1.00 بين الأسطر، بالنسبة للعناوين تكون خط عريض Gras ، أما عنوان المقال يكون مقاسه 16.
- يجب ان تكون هوامش (LES MARGES) الصفحة أعلى 2.5 وأسفل 2.5 وأيمن 3 وأيسر 3 ، رأس الورقة 2، أسفل الورقة 2 حجم الورقة عادي (A4) (وجوبا).
- يجب أن يكون المقال خاليا من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعية (وجوبا).
- بالنسبة للدراسات الميدانية ينبغي احترام المنهجية المعروفة كاستعراض المشكلة، والإجراءات المنهجية للدراسة، وما يتعلق بالمنهج والعينة وأدوات الدراسة والأساليب الإحصائية وعرض النتائج ومناقشتها.
- يجب ترقيم الإحالات بطريقة أكاديمية تراتبية (1,2,3,4 ...) في آخر كل صفحة من المقال وجوبا وليس ضمن الفقرات أو في اخر المقال، بالترتيب التالي: المؤلف: عنوان الكتاب أو المقال، عنوان المجلة أو الملتقى، الناشر، البلد، السنة، الطبعة والصفحة.
- يجب ان تكون الاحالات بحجم خط 9 نوع الخط ARIAL للخط العربي وللخط الأجنبي (وجوبا).
- يجب ترقم الصفحات بشكل متتابع (وجوبا).
- يجب ذكر قائمة المراجع في نهاية البحث وترتيبها هجائيا، ومثال ذلك:

- الكتاب: الاسم الكامل للمؤلف (السنة)، عنوان الكتاب، ط (الطبعة إن وجدت)، دار النشر، مكان النشر، البلد.
- المقال: الاسم الكامل للمؤلف(السنة)، عنوان المقال، المجلة، م(المجلد)، ع(العدد)، مصدر المجلة (الجامعة أو المخبر مثلا)، مكان النشر، البلد.
- الرسائل والأطروحات: الاسم الكامل لصاحب الرسالة (السنة)، عنوان الرسالة، نوع الرسالة وتخصصها، القسم، الكلية، الجامعة.
- المؤتمرات والملتقيات: الاسم الكامل لصاحب الورقة العلمية (السنة)، عنوان الورقة، عنوان المؤتمر، منظم المؤتمر، البلد.

- إرفاق أدوات الدراسة في حالة الدراسات الميدانية
- المقالات المرسلة لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر
- المقالات المنشورة في المجلة لا تعبر إلا على رأي أصحابها
- كل مقال لا تتوفر فيه الشروط لا يؤخذ بعين الاعتبار ولا ينشر مهما كانت قيمته العلمية.
- يحق لهيئة التحرير إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة متى لزم الأمر دون المساس بالموضوع.
- يضع الباحث مقاله ضمن قالب المجلة قبل إرساله
- يقوم الباحث بإرسال البحث المنسق على شكل ملف مايكروسوفت وورد، إلى البريد الإلكتروني: media@democraticac.de

تفاصيل ومعلومات

حول المجلة:	مجلة الدراسات الإعلامية دورية دولية محكمة، لها هيئة علمية دولية فاعلة تشمل مجموعة كبيرة لأفضل الأكاديميين من عدة دول ، حيث تشرف على تحكيم الأبحاث الواردة إلى المجلة وتنقيحها وتقويمها.
مجالات البحث:	**تهتم المجلة بنشر البحوث العلمية في ميادين علوم الاعلام والاتصال، وقوانين الاعلام والاتصال، والصحافة والنشر سواء الورقي أو الرقمي، إضافة إلى الاعلام الإلكتروني....**
الناشر:	**المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والإقتصادية**
الرقم المعياري الدولي:	**ISSN (Online) 2512-3203**
حول الناشر:	**المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والإقتصادية مؤسسة مستقلة تعمل في إطار البحث العلمي الأكاديمي والتحليلات السياسية والقانونية والإعلامية والاقتصادية حول الشؤون الدولية والإقليمية ذات الصلة بالواقع العربي بصفة خاصة والدولي بصفة عامة.**
شعار المجلة:	**تضع المجلة في قائمة أولوياتها العمل على تمكين الباحثين والإعلاميين والأقلام الحرة من طرح آرائهم بموضوعية ودون قيود، تحت شعار حرية التعبير والرأي ونشر المعلومة بمهنية علمية واحترافية، وبهدف تكريس مفهوم الديمقراطية التشاركية والشمولية.**

قائمة المحتويات

	مؤلف/مؤلفو المقال	عنوان المقال بالعربية	عنوان المقال بالإنجليزية	الصفحات
01	أ، حميد بيواراين باحث في علوم الإعلام والثقافة	الإعلام الرقمي وتعزيز التنمية المحلية والمشاركة المجتمعية	Digital media and promotion of Local development and community participation	12
02	أ، مريم الجابري : طالبة باحثة بسلك الدكتوراه بمختبر الدراسات الأدبية واللسانية وعلوم الإعلام والتواصل، بجامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس، المغرب.	الصحافة المكتوبة وحرية الرأي والتعبير بين المواثيق الوطنية والدولية	The written press and freedom of opinion and expression between national and international conventions	27
03	أ، حسام الكاوزي باحث في سلك الدكتوراه: تكوين الصحافة والإعلام الحديث، جامعة ابن طفيل / القنيطرة	"مداخل نظرية في تعريف الإعلام الجديد" "	Theoretical Approaches to Defining New Media"	53
04	أ، عمر محضار طالب باحث بسلك الدكتوراه، مختبر الدراسات الأدبية واللسانية وعلوم الإعلام والتواصل،	بلاغة الحجاج في الخطاب الإعلامي استراتيجيات الإقناع في البيان الصحفي لشركة لوسيور	Rhetorical Argumentation in Media Discourse Persuasion Strategies in Lesieur's Recent Press Statement	64

	كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس.			
05	د. النعمة بوشامة حاصل على شهادة الدكتوراه، تخصص علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية– القنيطرة– المغرب	القبيلة الصحراوية: قراءة في المسار التاريخي والوضعية الراهنة.	The desert tribe: a reading of the path and situations	87
06	د: محمد سليماني باحث في التواصل والصحافة المغرب	"التنوع" في وسائل الإعلام: مدخل للتعايش والتماسك الاجتماعي	«Diversity» in the Media: An Introduction to Coexistence and Social Cohesion	103
07	د. صفاء الحشاني: دكتورة في علم الاجتماع، قسم علم الاجتماع بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس وعضوة بوحدة البحث توارث انتقالات وحراك. تونس	مشهديّة العنف السياسي في تونس: من الإعلام التقليدي إلى الميديا الجديدة	The spectacular of Political Violence in Tunisia: From Traditional Media to New Media	128
08	أ. د. طلعت عبد الحميد عيسى: أستاذ الصحافة الجامعة الإسلامية بغزة أ. ماجدولين حسن عايش باحثة في الإعلام	الأطر الخبرية لقضية القدس في المواقع الإلكترونية للصحف الفرنسية دراسة تحليلية مقارنة	News Frames of Jerusalem Cause on French Newspapers Websites: A Comparative Analytical Study	144

	الفرنسي غزة – فلسطين			
09	أ. د. زكية الحسني استاذ التعليم العالي بجامعة محمد الخامس بالرباط أ، يوب موسى شلط باحث في سلك الدكتوراه بجامعة محمد الخامس بالرباط	استخدام الشباب لتطبيق التيك توك والاشباعات المحققة منه دراسة ميدانية	Youth use of the Tik Tok application and the gratifications achieved from it A comparative field study on Palestinian and Moroccan youth	168
محور البحوث باللغات الاجنبية				
10	Samir Merdaci Maître de conférences HDR, Université Constantine 3- Salah Boubnider	إنشاء صحافة وطنية مسيرة جريدة " النصر" اليومية، من التعريب عام 1972 إلى عشية أكتوبر 1988	La formation d'une presse nationale. Le parcours du quotidien « An Nasr », de l'arabisation en 1972 à la veille d'Octobre 1988 The formation of a national press. The course of the daily newspaper "An Nasr", from the Arabisation in 1972 to the eve of October 1988	190

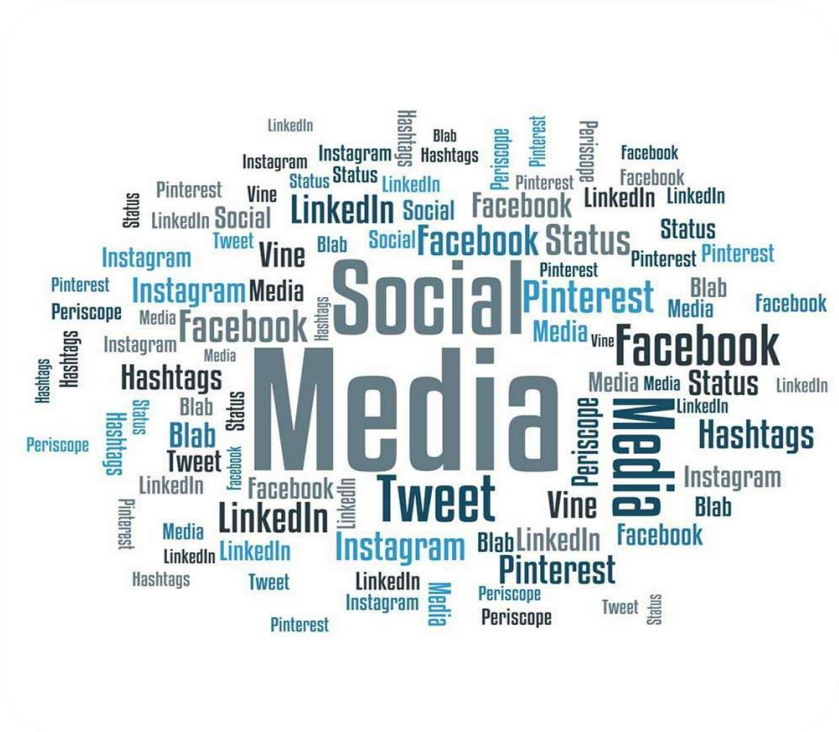
Social
Media
Facebook
Pinterest
Instagram
LinkedIn
Tweet
Hashtags
Vine
Blab
Status
Periscope

الإعلام الرقمي وتعزيز التنمية المحلية والمشاركة المجتمعية

Digital media and promotion of Local development and community participation

حميد بيواراين

Hamid Biouaraine

باحث في علوم الإعلام والثقافة

ملخص:

نسعى من خلال هذه الورقة البحثية فهم آليات تأثير البيئة الرقمية للاتصال على تطوير التنمية المحلية، وتحقيق وعي مجتمعي متكامل يُسهم في الإصلاح والرقي التنموي. كما سنتطرق لمفهوم التنمية وعلاقتها بالإعلام الرقمي، والدور الفعال الذي يلعبه هذا الأخير من أجل تنمية شاملة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية باعتباره إعلاما تنمويا يستهدف فئة كبيرة من الرأي العام الرقمي.

***الكلمات المفاتيح: الإعلام الرقمي، التنمية المحلية، التطبيقات الذكية، الرأي العام الرقمي، المجتمعات الافتراضية**

Abstract :

Through this research paper, we aim to understand the mechanisms through which the digital communication environment influences local development and contributes to achieving integrated societal awareness, promoting reform, and advancing development. We will also delve into the concept of development and its relationship with digital media, highlighting the active role that the latter plays in facilitating comprehensive development across economic, social, and environmental domains, functioning as developmental media that targets a wide digital public audience.

***Keywords: Digital media, Local development, Smart applications, Digital public opinion, Virtual communities.**

مقدمة:

يلعب الإعلام دورا هاما في تعزيز التنمية المحلية والمشاركة المجتمعية، والتفاعل بين أفراد المجتمعات المحلية والجهات المسؤولة عن تنميتها، حيث يمكن استخدام وسائل الإعلام لنشر المعرفة والمعلومات المتعلقة بالمشاريع التنموية والتعبير عن آراء واقتراحات أفراد المجتمع بشأن التنمية المحلية، وتحديد احتياجاتهم والمشاكل التي يواجهونها، ومن ثم تطوير استراتيجيات تنموية تتناسب مع هذه الاحتياجات.

إن وسائل الإعلام الجديدة تحمل على عاتقها مسؤولية النهوض بالمجتمع وأفراده، ما يجعل من العلاقة بين الإعلام والتنمية أكثر تقارُباً وتكاملا. ويوفر الإعلام الرقمي أرضية لنشر المعلومات والأخبار وتشجيع المشاركة والتفاعل وجذب الاستثمارات والشركاء المحليين والدوليين، حيث يعتمد على التكنولوجيا الحديثة ووسائل الاتصال الإلكترونية والمنصات الرقمية، مثل الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي والتطبيقات الذكية والمنصات الإلكترونية الأخرى.

ويعتبر الرأي العام الرقمي من العوامل المؤثرة على عملية صنع القرار في العصر الحالي، ويمكن الأفراد التفاعل والتعبير عن آرائهم ومشاركة الأفكار والمعلومات عبر وسائل ووسائط الإعلام الرقمي وتطبيقاته المتعددة. ومن خلال هذا التفاعل يمكن تشكيل الرأي العام حول موضوع معين، وتأثيره على القرارات التي يتخذها المسؤولون.

إشكالية الدراسة:

سننطلق في دراستنا هذه من الإشكالية التالية: ما مدى فاعلية الإعلام الرقمي بوسائطه المتعددة في تشكيل الرأي العام لتحقيق التنمية المحلية والنهوض بالشأن العام المحلي؟

فرضية الدراسة:

إن التطور الكبير الذي شهدته وسائل الإعلام ودخول جيل جديد من الرقمنة ووسائط التواصل، يضع الاهتمام بالتنمية والمعرفة ضمن أولوياته، وهذا ما يحدد دور ومكانة التنمية وتطوير البيئة الاجتماعية والمعرفية في خلق ديمقراطية محلية تشاركية.

أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية هذه الدراسة البحثية حول دور الإعلام والوسائط الرقمية للاتصال كوسيلة ودعامة في تحقيق التنمية المحلية، ومنصة للتعبير الفردي والجماعي عن آرائهم وأفكارهم واتجاهاتهم فيما يخص طرح القضايا الجوهرية للتنمية وإشكالية الديمقراطية المحلية، والتأكيد على المشاركة في تدبير الشأن المحلي من طرف مختلف مكونات المجتمع، لأن حاجيات الأفراد والجماعات تتأسس على مدى فعاليتها ميدانيا.

أهداف الدراسة:

تبرز أهداف الدراسة من خلال:

- إبراز دور الإعلام الرقمي ومكانته في تحقيق التنمية، وكذلك تأطير وتوجيه الرأي العام الجماهيري حول أهمية إنخراط الجميع في هذا المشروع المحلي.
- إبراز دور الموارد البشرية واستثمار رأس المال البشري والفكري في إنجاح العملية التنموية والحضارية.

الإطار المفاهيمي:

التنمية المحلية: هي مجموع العمليات والأنشطة التي تهدف إلى تطوير المستوى الاجتماعي والاقتصادي للمجتمعات المحلية، حيث يقوم هذا المفهوم على عنصرين رئيسيين، هما المشاركة الشعبية التي تقود إلى مشاركة السكان في جميع الجهود المبذولة لتحسين مستوى معيشتهم ونوعية الحياة التي يعيشونها معتمدين على مبادراتهم الذاتية. والعنصر الثاني الذي يتجلى في توفير الخدمات ومشروعات التنمية بأسلوب يشجع الاعتماد على النفس والمشاركة.[1]

الإعلام الرقمي: هو مجموعة من الأساليب والأنشطة الرقمية الجديدة التي تمكننا من إنتاج ونشر المحتوى الإعلامي وتلقيه، بمختلف أشكاله من خلال الأجهزة الإلكترونية (الوسائط) المتصلة أو غير المتصلة بالأنترنيت في عملية تفاعلية بين المرسل والمستقبل.[2]

المجتمعات الافتراضية: من المقومات الرئيسية للرأي العام بخصائصها وصفاتها ونوعها وتاريخها وعاداتها وتقاليدها وقيمها ومصالحها والجو النفسي السائد فيها، وتشكل المكونات الثقافية أهم عوامل تشكيل رأي الجماعة.[3]

الرأي العام الرقمي: هو إجماع الرأي الحاصل بين مستخدمي الوسائط الرقمية للاتصال المستندة بشكل رئيسي على شبكة الإنترنت، حيال قضية أو موضوع أو اهتمام مشترك، من خلال التفاعل الرقمي عبر عدد من الأساليب التعبيرية المتاحة، وفي موقع الفيسبوك مثلا، قد تتمثل هذه الأساليب في أبسط صورها بين إبداء الإعجاب وتصل إلى المشاركة والمناصرة الفكرية ونشر الحملات المعبرة عن الدعم، أو تلك المعبرة عن الرفض كإلغاء الإعجاب الإبلاغ، الحظر أو حتى التزام الصمت الرقمي خوفا من ديكتاتورية معينة.

الإعلام التنموي: هو نوع من الإعلام الذي يهدف إلى تحقيق التنمية في المجتمعات والدول، وذلك من خلال توفير المعلومات والمعارف والخبرات اللازمة لتحقيق التنمية الشاملة. ويتم ذلك عن طريق استخدام وسائل الإعلام المختلفة مثل الصحافة والتلفزيون والإذاعة والإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي.

---

[1] علواني عمار، دور المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في التنمية المحلية، **مجلة العلوم الإقتصادية وعلوم التسيير**، جامعة فرحات عباس –سطيف-، العدد 10، 2010، ص 186.

[2] الشمالية ماهر عودة، اللحام محمود عزت، كافي مصطفى يوسف، الإعلام الرقمي الجديد، ط1، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ص 19.

[3] كامل خورشيد مراد، مدخل إلى الرأي العام، دار المسيرة، الأردن، 2012، ص 112.

1. الإعلام الرقمي كوسيلة اتصالية جديدة

عرف الإعلام حركية كبيرة منذ السنوات الأخيرة بفضل العولمة وعصر التكنولوجيا الحديثة، مما جعله يفتح نقاشا واسعا ودراسات جديدة ومتجددة، باعتباره ظاهرة ديناميكية تفاعلية ومنظومة تواصلية.

وشكل الإعلام خصوصا الرقمي منه، ركيزة أساسية في صناعة وتشكيل الرأي العام، ليس فقط على المستوى المحلي، بل العالمي كذلك، كما ساعد على تعزيز العلاقة بين حركة المواطن والأدوات التكنولوجية التي أصبحت منصة له، ومعبرا عن توجهاته وثقافاته.

1.1 الإعلام الرقمي كظاهرة اتصالية جديدة:

يحتوي الإعلام الرقمي على ممارسات اتصالية جديدة، تحتاج للاجتهاد في الإلمام بمفاهيمها وظواهرها، ولعل الرأي العام الرقمي، كظاهرة جديدة، عرف بدوره دراسات في ضوء ذيوع وسائل وأنماط اتصالية رقمية عديدة، والتي أضافت نوعا من التفاعلية أثناء عملية ابداء الرأي، وكذا على مستوى تشكيل الإجماع فيه. وعليه جاءت هذه المحاولة للمساهمة في تفعيل التفكير النظري والمنهجي في الميديا الرقمية، واعتبارها بيئة لتشكيل الرأي العام. فالسعي لفهم آليات هذا التشكيل يمر عبر فحص الخصائص الاتصالية للبيئة الرقمية للإعلام وللرأي العام، ومنه جاء اختيار أحد أهم وسائطها وهو الإعلام الرقمي، ليس كحامل تقني فقط، بل كفضاء تفاعلي مشكل للمعنى عبر آليات دقيقة وخوارزميات مضبوطة.

وتتميز وسائل الإعلام الرقمي على قدرة حل الغموض الذي يواجه الجمهور، وتقديم تفسيرات متنوعة وتسهيل عملية الفهم على الجمهور المستقبل للرسالة، فثراء المعلومات هو العملية التي تقوم فيها المعلومات بتخفيض درجة الغموض، وإيجاد مساحة من المعاني المشتركة باستخدام وسيلة اتصالية معينة.[4]

إن الحرية التي يتميز بها الإعلام الرقمي بمختلف وسائطه، سمحت له بأن يحتل مكانة مرموقة في أواسط المستخدمين، وصلت حد الإدمان أحيانا، لأنه يعتمد على الخدمات التفاعلية مما يدخل الجمهور كشريك أساسي في صنع المحتوى الإعلامي.[5]

لقد ساعد الإعلام الرقمي بوصفه إعلاما جديدا، في جعل الأفراد يتمتعون بحق في الإعلام لم يسبق له مثيل من قبل، وأسهم في إدماجهم في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، لتتسع بذلك دائرة معارفهم وازدادت قوتهم في التأثير، لدرجة أصبحت تشغل بال السلطة في المجتمع، والتي بدأت تأخذ في اعتبارها هذا المصدر الفعال لسلطة الشعب، فالعدد الكبير المتزايد لمستخدمي هذه الوسيلة، جعل منها فضاء عموميا للنقاش

[4] Lu, Yu., Dou, Xue. & Kumar, Sonali (2011) Using Media Richness and Interactivity in Website Design: Promoting Physical Activity Among College Students " Paper presented at the annual meeting of the International Communication Association, Boston.pp14-15.

[5] خالد وليد محمود، شبكات التواصل الاجتماعي وديناميكية التغيير في العالم العربي، دار مدارك للنشر، بيروت، 2011 ص 67.

والتحاور الافتراضي والمشاركة الديمقراطية، والذي يتحول إلى ممارسات فعلية في أغلب الأحيان.[6] فالمشاركة الديمقراطية تعطي أهمية قصوى لبدائل إعلامية جديدة بعيدة عن الوجه التجاري والاحتكاري، وتؤكد على دور المستقبل الإعلامي في صناعة مادة الاتصال، وتؤسس حقوق المستقبل في الرد وإبداء الرأي وصناعة الموضوعات، ومعبرة عن الأنظمة المسيطرة.[7]

إن الإعلام الرقمي عرف اهتمام الباحثين والدارسين بشكل كبير، حيث نجد أن توصيف هذا الإعلام الجديد، أخذ الكثير من المصطلحات كالإعلام البديل والإعلام الشبكي والإعلام الاجتماعي، كما وصفه البعض كإعلام المواطن والإعلام الإلكتروني، وعلى اختلاف تلك المصطلحات وتعددها إلا أنها تحيل على مفهوم واحد[8].

إلا أن جل تلك الصياغات اللغوية المختلفة التي تناولت هذا المفهوم، لم ترق إلى تحرير صيغة موحدة لمدلوله، وتعود الإشكالية في ذلك، إلى أن المفهوم نفسه لا يزال في إطار ديناميكية التشكل والإضافات المتنوعة والتحفظات المختلفة، كما تعود صعوبة الاتفاق أساسا إلى تأخر التنظير الأكاديمي عن الممارسة المهنية في مجال دراسات الإعلام الجديد.[9]

فوسائل الإعلام بتواجدها المستمر وتجانس مضامينها تقوم ببث الأخبار ونشر الدعاية وزرع الثقافة وكذا تكوين اتجاهات الرأي العام تجاه القضايا المختلفة،[10] وإتاحة الحرية في التعبير والديمقراطية المجالية. كما جاءت تكنولوجيا الاتصال والمعلومات وارتباطها بالسياسة والإدارة العامة، لتدشن علاقة متبادلة بين الإنسان والتكنولوجيا والمؤسسات السياسية والتغير الاجتماعي فيما يمكن أن يطلق عليه "نظام ممارسة الديمقراطية إلكترونيا".[11]

إن مطلب الرقمنة يتأتى عن طريق استثمار الإمكانات الرقمية المتاحة بشكل منهجي ومخطط، ويقتضي المزيد من الجهد والتضحية للنهوض بالإعلام خصوصا المحلي منه، وأن التركيز على المكون الرقمي في تنمية الواقع، أصبح أمرا لازما ومفروضا، ينخرط فيه الجميع، من سلطة ومنتخبين ومجتمع مدني ومواطنين، والتفكير فيه بجدية واستراتيجية وبعد نظر، لأن الإنترنت أصبح الوسيلة الأهم للتواصل السريع والفوري.

لقد عملت شبكة الإنترنت ووسائل الإعلام الرقمي على إعادة تنشيط المجال المدني وتوسيع نطاق الحياة المدنية، وفتحت مجالات واسعة عن طريق تنوعها وسرعتها وتحديها للحدود الجغرافية، وكذلك عملت على

---

[6] ماشطي شريفة، الإعلام الجديد و التحولات الديمقراطية ، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر الدولي الإعلام الجديد التحديات والفرص، ص 14.

[7] بخيت السيد، نحو صياغة مؤشرات تقييم الأدوار السياسية لشبكات التواصل الاجتماعي، جامعة الملك سعود، الرياض، 2012، ص 8.

[8] مفيدة بلهامل ، الإعلام الجديد : مصطلحات مفاهيم خملاج، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر الدولي الثاني الإعلام الجديد وقضايا المجتمع المعاصر، 2014، ص 1.

[9] مفيدة بلهامل ، المرجع نفسه، ص 1.

[10] شقرة علي خليل، الإعلام الجديد، شبكات التواصل الاجتماعي ، دار أسامة، الأردن، 2014، ص 16.

[11] لامة محمد فرج، الديمقراطية الرقمية: الفرص والتحديات، المؤتمر الدولي الثاني "الإعلام وقضايا المجتمع المعاصر التحديات والفرص"، جامعة بسكرة، الجزائر، 2014، ص3-4.

إتاحة الفرصة أمام العديد من أفراد المجتمع المختلفين، في توفير فرص للتفاعل والاتصال فيما بينهم حول مواضيع في المجال السياسي العام والحقوقي والاجتماعي وعملية صناعه القرار.[12]

وقد أدت هذه الابتكارات التكنولوجية كذلك، إلى نشوء أشكال جديدة من وسائل الإعلام مترافقة مع نماذج جديدة لتوزيع المعلومات واستهلاكها واستخدامها، كما تم تخطي الخطوط التقليدية الفاصلة بين الجمهور والمؤسسات الإعلامية، مع اكتساب المواطنين إمكانية الوصول إلى منابر جديدة يُعربون من خلالها عن آرائهم وأفكارهم الخاصة، ويتجاوزون بذلك المؤسسات الإعلامية الكبرى التي ظلت لمدى طويل صاحبة القرار النهائي في ما يتعلق بتحديد المعلومات التي يتم نشرها.[13]

إن سبب وجود وسائل الإعلام في الأساس هو خدمة جمهورها، وأن تنظيم وسائل الإعلام ومحتواها لا يجب أن يكون خاضعاً للسيطرة المركزية القوية، وأن وسائل الإعلام التي تتسم بالتفاعل والمشاركة في المجتمع الديمقراطي، من الوسائل التي ينساب مضمونها في اتجاه واحد.[14]

2.1 الإعلام الرقمي ودوره في التنمية:

أصبحت تقنيات الاتصال ونقل المعلومات رافداً أساسياً وركناً مهماً في بناء منظومة الإنسان الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية في ظل التحولات والتطورات المعرفية في هذا العصر، فمن المعلوم أن العصور تطورت من خلال الطفرات الأولى، منها الزراعية، ثم الصناعية، والآن المعلوماتية أو ما تتصف بعصر المجتمع ما بعد الصناعي (The post Industrial Society)، حيث شهدت المجتمعات الإنسانية خلال العقد الأخير من القرن الماضي، تطورات متسارعة ومتلاحقة لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات مما ساهمت في تسهيل إمكانية التواصل الإنساني والحضاري، ولعل أهمها يتمثل في شبكة المعلومات العالمية "الإنترنت" التي تعد أبرز الإنجازات البشرية في عصر المعلوماتية.[15]

تؤدي وسائل الإعلام دورا هاما في حياة الأفراد والجماعات، وبناء الحضارات والمجتمعات، وتساهم في عملية التنشئة الاجتماعية وتشكيل الرأي العام، كما تؤدي دورا استراتيجيا في التنمية المحلية بمختلف مجالاتها

---

[12] burns, padraic, "the global internet: utopia, democracy, and the digital divide" paper presented at the annual meeting of the american sociological association, montreal, quebec, canada,2006, p4.

[13] عبد الصادق عادل، الفضاء الالكتروني والرأي العام تغير المجتمع والأدوات والتأثير، سلسلة قضايا استراتيجية، المركز العربي لأبحاث الفضاء الالكتروني، القاهرة، 2011، ص 12.

[14] Sonia Livingstone, (2008) Taking Risky Opportunities in Youthful Content Creation: Teenager's Use of Social Networking Sites, for Intimacy and Self-expression, New Media & Society, 2008, Available at: http://nms.sagepub.com/cgi/content/tefs/10/3/393.

[15] Gross, E.F. (2004), Adolescent Internet Use: What we expect, What teens report, Journal of Applied Development Psychology, 25 (6), p. 633.

وقطاعاتها. كما أن علاقة الإعلام بالتنمية وثيقة جدا، إذ لا يوجد إعلام بدون تنمية ولا توجد تنمية بدون إعلام، وكل تنمية متواصلة تحتاج إلى إعلام متواصل.[16]

ويعتبر الإعلام الرقمي أحد العوامل التي تساعد على التنمية، حيث يلعب دوراً مهماً في نقل المعلومات والأخبار والمعارف للجمهور، ويساعد على توعية وتثقيف المجتمع حول القضايا الاجتماعية والاقتصادية والبيئية وغيرها. ويمكن للإعلام الرقمي أيضاً أن يعزز الحوار العام ويشجع التنوع والتضامن بين الأفراد والمجموعات المختلفة في المجتمع.

يتضمن دور الإعلام الرقمي في التنمية عدة جوانب، منها:

- التربية والتثقيف: يمكن للإعلام أن يلعب دوراً كبيراً في تربية وتثقيف الشعوب، وتنمية المعرفة والوعي الثقافي والعلمي.
- التوعية والإشعار: يمكن للإعلام أن يلعب دوراً هاماً في توعية الجمهور بالمخاطر والتحديات التي تواجهه، وتسليط الضوء على مشكلات المجتمع.
- التحقيق والنشر الصحافي: يساعد الإعلام على توظيف الصحافة والإعلام بمختلف أشكاله في تحقيق التغيير والتحسين في المجتمع.
- التوجيه والتنبؤ: يمكن للإعلام أن يلعب دوراً كبيراً في توجيه الناس نحو الخيارات الصحيحة وفي تحليل الأحداث والظواهر ونقاش الآراء والتنبؤ بالمستقبل.
- الترويج والتسويق: يساهم الإعلام في الترويج للمشاريع والمبادرات والمنتجات الجديدة، وتعزيز القطاع الخاص والتشجيع على الاستثمارات.

إن الإعلام الرقمي باختصار، هو مرحلة انتقالية من الركود إلى الوعي بأهمية جعل الجماعة والمواطنين جزءا من الخطط التنموية، وأن المواطن الرقمي شريك أساسي في التقدم المجتمعي، والقيام بواجباته بما يكفل تنفيذ الخطط التنموية، وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية بشكل متوازن ومستدام، وذلك من خلال تعزيز الوعي لتحقيق التغييرات الإيجابية في المجتمعات المحلية والإقليمية. كما ساهم هذا الإعلام الرقمي في تلقين المستخدمين المهارات والأساليب اللازمة التي تقتضيها عملية التحديث والتطور، لاسيما الجرأة والانتقاد البناء، حيث يساهم الإعلام الرقمي في هذا بعدة طرق، منها:

[16] أمين رضا عبد االجواد، دور وسائل الإعلام والاتصال في دعم التنمية خطط التنمية المستدامة والنهوض بها في البلدان العربية، دراسة حول دور الصحافة في معالجة مشكلات التنمية المستدامة بالتطبيق على عينة من الصحف العربية اليومية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، 2008، ص 18.

1- تمكين الفئات المهمشة: حيث يمكن استخدام الإعلام الرقمي لتمكين الفئات المهمشة والضعيفة في تحسين ظروف حياتهم من خلال توفير المعلومات والخدمات الأساسية، مثل التعليم والرعاية الصحية والوصول إلى الأسواق والفرص الاقتصادية.

2- تعزيز الوعي والتثقيف: حيث يمكن استخدام الإعلام الرقمي لتوفير المعلومات والخبرات والتثقيف حول القضايا المهمة المتعلقة بالتنمية المستدامة، مثل البيئة والصحة والتعليم والعدالة الاجتماعية.

3- تحسين الاتصال والتواصل: حيث يمكن استخدام الإعلام الرقمي لتحسين الاتصال والتواصل بين الحكومات والمجتمعات والشركات والمنظمات الدولية وغيرها، وذلك لتحقيق التعاون والتنسيق في جهود التنمية.

4- تعزيز الابتكار والتطوير: حيث يمكن استخدام الإعلام الرقمي لتعزيز الابتكار والتطوير في مجالات مختلفة، مثل التقنية والعلوم والاقتصاد والثقافة، وذلك من خلال توفير البيئات الرقمية المناسبة للابتكار وتطوير الأفكار الجديدة.

إذن، فتوصيف الإعلام الرقمي بوسائطه المتعددة فضاء عموميا، ليس فقط لكونه أتاح للمهمشين تجاوز آلية التهميش وولوج النقاش الذي كان تحت هيمنة النخبة، بل أيضا لكونه وسيطا وعموم المواطنين، باعتبار وسائل الإعلام الرقمية الوسيلة الأقوى والأقل تكلفة التي تمكن المواطنين من إيصال رسائلهم للسياسيين والمنتخبين، وبالتالي تصبح هذه الوساطة فضاء عموميا تشهر فيه الأفكار والآراء.[17]

وبالنظر إلى التطور الهام الذي عرفة المشهد الإعلامي ببلادنا سواء على مستوى الهيكلة أو تقنيات العمل، وبالنظر إلى تعدد وتنوع العرض الإعلامي المغربي بمختلف فئاته التقليدية والجديدة، لابد من التأكيد على ثلاثة 3 شروط أساسية لتحقيق وإقرار دعم إعلامي فعال للمشاريع التنموية :[18]

أولا: على الدوائر الرسمية تغيير نظرتها إلى الإعلام بشكل شامل والارتقاء به إلى مرتبة "الشريك الفعلي".

ثانيا : على جميع المتدخلين في عملية التخطيط التنموي الوعي بأن ضمان النجاح له يمر أيضا عبر توفير المعلومات والمعطيات بشأن المشاريع والمخططات التي ستستفيد منها مختلف الفئات المجتمعية.

ثالثا : أن تعتمد وسائل الإعلام الوطنية أسلوب التخطيط الإعلامي الرصين وجعل البعد/الهاجس التنموي يسكن جميع أركان الإنتاج الإعلامي.

من هنا يتوجب دعم ورقمنة الإعلام المحلي ليقوم بدوره الأساس والفعال لخدمة الصالح العام، لأن هذه الرقمنة من الاتجاهات المتزايدة في العصر الحديث، حيث تسعى العديد من وسائل الإعلام المحلية إلى

---

[17] هواري حمزة، مواقع التواصل الاجتماعي وإشكالية الفضاء العمومي، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، 2015، ص 40.

[18] بن صفية عبد اللطيف، جريدة الاتحاد الاشتراكي، النسخة الإلكترونية بتاريخ 28 نونبر 2019:
https://alittihad.info

تحويل محتواها الإعلامي إلى صيغ رقمية قابلة للوصول عبر الإنترنت. ويتم ذلك عادة من خلال إطلاق مواقع إلكترونية وتطبيقات تلفزيونية وإذاعية تتيح للمستخدمين الوصول إلى محتوى الإعلام المحلي بسهولة وفي أي وقت. حيث يمكن تأهيل الأشكال الإعلامية المحلية لمواكبة التحولات الجديدة، والتي أحدثتها الثورة الرقمية في وسائل الاتصال والتواصل، وتبادل الخبرات والانفتاح على التجارب الوطنية والدولية، ما يجعل مختلف المؤسسات الإعلامية العمومية والخصوصية، خاصة المحلية منها والتنموية، أن تخوض هذه التجربة، التي أصبحت من مستلزمات المرحلة الراهنة.

ويمكن لرقمنة الإعلام المحلي أن تحقق العديد من الفوائد، منها:

- زيادة الوصول إلى المحتوى الإعلامي المحلي بشكل أسرع وأكثر سهولة ومرونة.
- تحسين قدرة الإعلام المحلي على التفاعل مع المجتمع المحلي والتواصل معه.
- تحسين كفاءة العمليات الإعلامية وتقليل التكاليف اللازمة لإنتاج وتوزيع المحتوى الإعلامي المحلي.

ومع ذلك، قد يواجه الإعلام المحلي بعض التحديات في عملية رقمنة محتواه، مثل التحديات التقنية والتكنولوجية والتحديات المتعلقة بحقوق النشر والترخيص. لذلك، يجب على الإعلام المحلي أن يعمل على تجاوز هذه التحديات والعمل على تحسين قدرته للوصول إلى شريحة كبيرة من الجمهور المتلقي، وتوفير محتوى إعلامي ذو رسالة وقيمة تخدم المصالح المشتركة لأفراد المجتمع.

2. الرأي العام الرقمي وسياسة صنع القرار

أدت الثورة التكنولوجية في وسائل الاتصال والمعلومات إلى ظهور الكثير من المفاهيم وتغير بعض القناعات، وكسر الحدود المكانية والزمانية، ما أدى إلى بروز المواطنة الرقمية أو الرأي العام الرقمي بالتحديد. وبفضل الإعلام الجديد والرقمي أصبحت تتشكل لدينا فضاءات وأمكنة تواصلية وتفاعلية إفتراضية، تحمل شحنات لغوية وثقافية ودينية مختلفة.

إن الرأي العام الرقمي يتشكل عبر وسائل الإعلام الجديدة، مثل الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي والرسائل الإلكترونية والمدونات والمواقع الإخبارية الإلكترونية وغيرها، ويمكن أن يكون مفيدًا في العديد من المجالات، مثل التنمية المحلية والسياسة والاقتصاد والبيئة وحقوق الإنسان وغيرها. كما يمكن استخدام هذا الرأي العام الافتراضي لجمع الآراء والمعلومات والاقتراحات حول مشكلات المجتمعات المحلية وتحديد الأولويات فيما يتعلق بالتنمية المستدامة، كما يمكن استخدامه في الحملات السياسية وتأثيره على نتائج الانتخابات وصناعة القرار.

ويرتبط مفهوم الرأي العام الإلكتروني بمفاهيم ذات صلة مثل مفهوم المواطنة النشطة Citoyenneté active، ومفهوم المعارضة الإلكترونية E-Opposition بكل أشكالها، ومفهوم الديمقراطية الافتراضية Virtual Democracy ومفهوم الإنغماس السياسي الافتراضي Virtual Political Involvement، ومفهوم

التنوع الإعلامي Media Diversity ومفهوم المزاج العام الإلكتروني Online Public Mood ومفهوم التعبئة الافتراضية Virtual Mobilization وغيرها من المفاهيم الآخرى.

إن الجماعات الافتراضية حاضنة لكل أشكال تجمع المستخدمين في بيئة الرأي الافتراضية، ما يقودنا لمناقشة مفهوم الجماعات الافتراضية للاقتراب من تفسير دورها في تشكل الرأي العام في هذه البيئة الجديدة، فمفهوم الجماعات يشير إلى عملية ديناميكية وإلى ممارسات خاصة تسمح مستخدمي الشبكات بتشكيل الإجماع حول قضايا الرأي العام عبر ما تمتلكه من إمكانيات تعبيرية كالإعجاب والتعليق والمشاركة والإبلاغ، فالبنية التحتية للإنترنت ليست مجرد إنجاز تكنولوجي خال من أي روح اجتماعية، إنما نمط عيش وطد من امتداد القبلية الجديدة وجذر حقيقتها في كل الثقافات، راسما جغرافيا جديدة للجماعات الافتراضية الشبيهة بالعشائر أو القبائل الجديدة داخل المجتمع الافتراضي، والتي تسعى بشكل مستمر إلى الانتماء إلى جماعات عديدة بدوافع المصالح والقيم والسمات المشتركة، وتقدم لنا مواقع التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك ترجمة سوسيوثقافية للجماعات الافتراضية المتناثرة[19]

ومع ذلك، يجب الانتباه إلى أن الرأي العام الرقمي أو المواطن الافتراضي، يمكن أن يكون غير دقيق في بعض الأحيان، حيث يمكن أن يتأثر بالشائعات والأخبار الكاذبة والتحريض والتأثيرات الخارجية. لذلك، يجب التحقق من مصادر الأخبار والمعلومات والاهتمام بالتعليم والتدريب على استخدام وسائل الإعلام الرقمية بشكل صحيح ومسؤول.

فالفرد في الهوية الافتراضية غالبا ما يتلاعب بهويته ويتقمص أدوارا أخرى ليدفع الآخرين للتفاعل معه، فربما يكون رجلا ويتعامل على أنه امرأة، أو يكون طالبا ويتعامل على أنه أستاذ، وهذا ما يطلق عليه بالتلاعب بالذات. لأن هذا التحرر النسبي لمستخدمي تطبيقات الإعلام الرقمي في علاقتهم بالمكان والجسد والوضع الاجتماعي، خلق نوعا جديدا من الممارسات متمثلة تحديدا في تمكين الأفراد من اصطناع هويات افتراضية وإدارتها بما يتناسب ورغباتهم في التعدد الهوياتي، فهي هوية تخيلية تسعى إلى القفز على "محرمات" الهوية الاجتماعية.[20]

إن الطبيعة الانتقائية للمعلومات والآراء السياسة تعزز من الاستقطاب ما يسمى بظاهرة صدى الغرفة Echo chamber، وذلك من خلال ميل مسخدمي الإنترنت إلى تكوين مجموعات اتصالية منغلقة معرفيا، تتداول معلومات متفق عليها بين مواطنين متجانسين سياسيا، مما يزيد من حالات الرنين وترديد نفس الآراء وتأكيدها والتعصب لها على نحو يزيد من الانقاسمات السياسية حول مختلف قضايا الشأن العام، كما يعمل على

[19] الحيدري عبد الله الزين، زمن الذباب والعشائر الالكترونية، معارك الإثبات والإبطال في مجرة الذكاء الاصطناعي، مجلة لباب، العدد 3،مركز الجزيرة قطر، 2019، ص 179.

[20] الصادق رابح، الانترنيت كفضاء مستحدث لتشكيل الذات، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، المجلد الثامن، الجزء الثاني، 2007، ص 266.

تشجيع تدفق الأكاذيب والشائعات، وقد يصل رواد الغرفة لدرجة التوهم بأن رأيهم المتفق عليه هو الرأي العام الإلكتروني السائد بالفضاء الافتراضي.[21]

إن التحلي بمبادئ المواطنة والوطنية، تجعل الجماهير الافتراضية والرقمية تشتغل كما في الواقع، رغم اختلاف الأمكنة والأزمنة، واختلاف الطرق والبدائل، لأن حب الوطن والارتباط به، ينبثق عنه استجابات عاطفية وتضحيات إنسانية، ويمكن تعريفها بأنها الانتماء والارتباط بالوطن، وأن المواطنة كذلك، صفة المواطن التي تحدد حقوقه وواجباته الوطنية، وتعني أيضا ولاء المواطن لوطنه وخدمته في أوقات السلم والحرب والتعاون مع المواطنين الآخرين عن طريق العمل المؤسساتي والفردي الرسمي والتطوعي لتحقيق الأهداف التي يصبو لها الجميع وتوحد من أجلها الجهود وترسم الخطط وتوضع الموازنات[22]. في السياق ذاته، جعلت الدولة التنمية ممركزة على الإنسان، إذ لا جدوى من التنمية ما لم يكن المواطن في الوقت نفسه، هدفها وأداة إنجازها. لهذا، يجب أن يتم الانطلاق من رصد حاجات السكان في ميادين التربية والتكوين والتشغيل والصحة والسكن والترفيه، وترتيبها طبقا لدرجة أولويتها لبلورة أهداف التنمية المرغوبة.

وبالتالي فالمواطنة الافتراضية تقوم في الأساس على تسخير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بغية تأسيس علاقات "مواطنية" جديدة تسبح في عالم افتراضي يتيح للفرد فرص أرحب للمشاركة والتعبير عن هويته وأفكاره بدون حدود أو قيود، وتكوين علاقات فكرية في إطار مجموعات افتراضية يمكن أن تختزل وتخترق حدود الزمان والمكان، أو ما عبر عنه البعض بنهاية الجغرافيا ونهاية الدولة وبزوغ مفهوم الدولة الافتراضية[23].

ورغم أن نشاط هذه الشريحة من الجماهير التي تمثل الرأي العام الإلكتروني ينحصر داخل هذا العالم الاقتراضي، فالأمر لا يتعدى كونه وسيلة جيدة للتواصل والنقاش وتبادل الآراء أو لعمليات التثقيف ونشر الوعي، إلا أن الأمر تعدى مؤخرا ذلك العالم الافتراضي، بتحول الشبكة إلى ساحة للفعل المدني والتعبوي في أرض الواقع من خلال التشبيك بين الناشطين والتنسيق بينهم.[24]

ويلعب الجمهور الرقمي دورا أساسيا في نشر وتبادل المعلومات بما يؤثر على المعتقدات والقرارات الشخصية والجماعية والمنافع، وحتى الاحتجاجات والإضرابات.. مع الأخذ في الاعتبار أن الاعتماد المتبادل لهذا الجمهور الرقمي والافتراضي يكون بحسب قوة الروابط بين الأفراد والجماعات. وتتفاوت قوة الروابط بالدوافع

---

[21] حسني التماس ايمان، المعلومات السياسية من شبكات التواصل الاجتماعي وعلاقته بالإتجاهات التعصبية لدى الشباب المصرى الجامعي دراسة في ضوء مداخل التماس المعلومات والتوازن والتصنيف المعرفي، المؤتمر العلمي الدولي التاسع عشر، كلية الإعلام جامعة القاهرة 23 - 25 أبريل 2012، ص 120.

[22] xenos, nicholas" unlovable patriotism on love, nationality, and patriotism in j. S. Mill "paper presented at the annual meeting of the wpsa annual meeting "ideas interests and institutions", canada, p5.

[23] خليفة الكوت عبد المجيد، المواطنة الرقمية: التجليات والتحديات ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الدولي الثاني "الإعلام الجديد وقضايا المجتمع المعاصر التحديات والفرص"، جامعة بسكرة الجزائر 25 - 26 نوفمبر، 2014، ص6.

[24] زريقات مراد بن علي، تأثير وسائل الاتصال الإلكتروني في الرأي العام، ورقة مقدمة ضمن ندوة الجرائم الإلكترونية: الملامح والأبعاد، جامعة نايف، 2007، ص 8.

المختلفة لاستخدام الوسائط الرقمية. فالدوافع الترفيهية تختلف عن الدوافع الاجتماعية التي تختلف بدورها عن الدوافع السياسية، مع ملاحظة دينامية العلاقات عبر هذه المنصات والوسائط، إذ أنها من الممكن أن تضعف لأنها مرتبطة باهتمامات الأفراد التي ربما تتهاون في قوتها بما يؤثر علي فاعلية الاعتماد المتبادل.[25]

وبإسقاط نفس المعايير التي حددها هابرماس في نظريته المجال العام على المجتمع الافتراضي نجد أنه يتسم بثلاث سمات رئيسية وهي:

- المساواة في المجتمعات الافتراضية يتم التغاضي عن المكانة والمنزلة الاجتماعية لأي شخص، ويتم التعبير عن كافة الآراء بشكل حر وكامل دون مراعاة وتأثير لرأي المشاركين، وهنا يتحقق مبدأ المساواة.
- سلطة التفسير والتعبير عن الرأي: تعتبر سلطة التفسير من أهم السلطات في المجتمعات الديمقراطية، ومن يمتلكها هو المواطن العادي وليس الدولة أو المؤسسة الدينية كما أوروبا في العصور الوسطى، وبالقياس نجد أن المجتمعات الافتراضية تتيح لمستخدميها سلطة التفسير والنقد والتعبير عن رأيهم حتى ولو أصطدم مع الرأي العام الواقعي أو رأي الأغلبية.
- الشمولية: لا يمكن استثناء أي فرد أو مواطن من المشاركة في الجدل السياسي والجدل حول مختلف القضايا المجتمعية. وكما ساعد الإعلام التقليدي على تشكيل الرأي العام، يعمل الإعلام الاجتماعي على صناعة القضايا وتشكيل رأي عام حولها، بل وسهل من ذلك سهولة وصول الفرد إلى صفحته الخاصة في أدوات الإعلام الاجتماعي من خلال الهواتف المحمولة الملازمة للفرد طوال الوقت.[26]

خاتمة:

لقد عرف العالم تغيرات كبيرة في مجال انتاج وتوزيع وتلقي المعلومات والأخبار، وظهرت تقنيات وخصائص ووظائف اتصالية جديدة غيرت مجرى الاتصال الجماهيري من المحتوى المتجانس، إلى محتوى تفاعلي بامتياز، ما جعلنا نلج مرحلة جديدة تتنوع من حيث الخصائص والسمات وتنامي خاصيتي الفردانية والتخصيص في استخدام التطبيقات الرقمية لدى الجمهور المتلقي، مع عدم إغفال التفاعلية أثناء عملية إبداء الرأي كسمة رئيسة للإعلام الرقمي، والتي ساهمت بشكل كبير في استقطاب جمهور ورأي عام تعدى الحدود المكانية والزمانية.

[25] K.-H. Kim and H. Yun (2007) Cying for Me, Cying for US: Relational Dialectics in a Korean Social Network Site, Journal of Computer – Mediated Communication, 13 (1), Available at: http://jcmc.indiana.edu/vol13/issue1/kin.yun.html.

[26] بركات نوال، الفضاء السيبيري والعلاقات الاجتماعية في المجتمع الافتراضي بين جغرافيا الواقع والجغرافيا الافتراضية، جامعة بسكرة، الجزائر، 2014، ص 6.

لقد استطاع الإعلام الرقمي من قلب المعادلة الاتصالية وغير نمط تدفق المعلومات، وتأسست في ضوئه نظريات متجددة حيث بات الفرد المتلقي منتجا ومرسلا ومستقبلا في الوقت ذاته، وأصبحت الجوانب الاجتماعية والسياسية والمعرفية من أهم الجوانب التي بدأت تتفاعل مع هذا الإعلام الرقمي، والسعي لفهم آليات هذا التشكيل يمر عبر فحص الخصائص الاتصالية للبيئة الرقمية للإعلام والرأي العام.

إن بروز وسائل التواصل الرقمية كدعامة اتصالية جديدة، أنتج محيطا مفتوحا يتميز بالشفافية والديمقراطية في حرية الرأي والتعقيب والانتقاد، والخوض في قضايا الشأن العام و التفاعل معها ضمن الفضاء العام الافتراضي، ليتحول كذلك إلى ساحة للدفاع عن الفعل المدني والتنموي والتعبوي، وانخراط الجمهور الرقمي أو الافتراضي في مناقشة قضايا وأحداث الشأن العام، والجهر بالرفض والتنديد والنقد للأوضاع الاجتماعية والسياسية، وأهمية توجيه الجهود نحو التنمية الإنسانية واستثمار رأس مال الأفكار كموارد وقواعد أساسية للتنمية المحلية.

لائحة المراجع والمصادر:

1. أمين رضا عبد الجواد، دور وسائل الإعلام والاتصال في دعم التنمية خطط التنمية المستدامة والنهوض بها في البلدان العربية، دراسة حول دور الصحافة في معالجة مشكلات التنمية المستدامة بالتطبيق على عينة من الصحف العربية اليومية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، 2008.
2. بخيت السيد، نحو صياغة مؤشرات تقييم الأدوار السياسية لشبكات التواصل الاجتماعي، جامعة الملك سعود، الرياض، 2012.
3. بركات نوال، الفضاء السيبيري والعلاقات الاجتماعية في المجتمع الافتراضي بين جغرافيا الواقع والجغرافيا الافتراضية، جامعة بسكرة، الجزائر، 2014.
4. بن صفية عبد اللطيف، جريدة الاتحاد الاشتراكي، النسخة الإلكترونية بتاريخ 28 نونبر 2019.
5. حسني التماس ايمان ، المعلومات السياسية من شبكات التواصل الاجتماعي وعلاقته بالإتجاهات التعصبية لدى الشباب المصرى الجامعي دراسة في ضوء مداخل التماس المعلومات والتوازن والتصنيف المعرفي، المؤتمر العلمي الدولي التاسع عشر، كلية الإعلام جامعة القاهرة 23 – 25 أبريل 2012.
6. الحيدري عبد الله الزين، زمن الذباب والعشائر الالكترونية، معارك الإثبات والإبطال في مجرة الذكاء الاصطناعي، مجلة لباب، العدد 3،مركز الجزيرة قطر، 2019.
7. خالد وليد محمود، شبكات التواصل الاجتماعي وديناميكية التغيير في العالم العربي، دار مدارك للنشر، بيروت، 2011.

8. خليفة الكوت عبد المجيد ، المواطنة الرقمية : التجليات والتحديات ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الدولي الثاني "الإعلام الجديد وقضايا المجتمع المعاصر التحديات والفرص"، جامعة بسكرة الجزائر 25 – 26 نوفمبر، 2014.
9. زريقات مراد بن علي، تأثير وسائل الاتصال الإلكتروني في الرأي العام، ورقة مقدمة ضمن ندوة الجرائم الإلكترونية: الملامح والأبعاد، جامعة نايف، 2007.
10. الشمالية ماهر عودة، اللحام محمود عزت، كافي مصطفى يوسف، الإعلام الرقمي الجديد، ط1، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع، عمان، 2014.
11. الصادق رابح، الانترنيت كفضاء مستحدث لتشكيل الذات، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، المجلد الثامن، الجزء الثاني، 2007.
12. عبد الصادق عادل، الفضاء الالكتروني والرأي العام تغير المجتمع والأدوات والتأثير، سلسلة قضايا استراتيجية، المركز العربي لأبحاث الفضاء الالكتروني، القاهرة، 2011.
13. علواني عمار، دور المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في التنمية المحلية، مجلة العلوم الإقتصادية وعلوم التسيير، جامعة فرحات عباس –سطيف–، العدد 10 ،2010.
14. كامل خورشيد مراد، مدخل إلى الرأي العام، دار المسيرة، الأردن، 2012.
15. لامة محمد فرج، الديمقراطية الرقمية: الفرص والتحديات، المؤتمر الدولي الثاني "الإعلام وقضايا المجتمع المعاصر التحديات والفرص"، جامعة بسكرة، الجزائر، 2014.
16. ماشطي شريفة، الإعلام الجديد و التحولات الديمقراطية، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر الدولي الإعلام الجديد التحديات والفرص، مجلة العلوم الإنسانية،جامعة منتوري، قسنطينة، 2010.
17. مفيدة بلهامل، الإعلام الجديد : مصطلحات مفاهيم خملاج، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر الدولي الثاني الإعلام الجديد وقضايا المجتمع المعاصر، 2014.
18. هواري حمزة، مواقع التواصل الاجتماعي وإشكالية الفضاء العمومي، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، 2015.
19. burns, padraic, "the global internet: utopia, democracy, and the digital divide" paper presented at the annual meeting of the american sociological association, montreal, quebec, canada,2006.
20. Gross, E.F. (2004), Adolescent Internet Use: What we expect, What teens report, Journal of Applied Development Psychology, 25 (6).
21. K.-H. Kim and H. Yun (2007) Cying for Me, Cying for US: Relational Dialectics in a Korean Social Network Site, Journal of Computer – Mediated Communication, 13 (1).
22. Lu, Yu., Dou, Xue. & Kumar, Sonali (2011) Using Media Richness and Interactivity in Website Design: Promoting Physical Activity Among College Students " Paper presented at the annual meeting of the International Communication Association, Boston.

23. Sonia Livingstone, (2008) Taking Risky Opportunities in Youthful Content Creation: Teenager's Use of Social Networking Sites, for Intimacy and Self-expression, New Media & Society, 2008.
24. xenos, nicholas" unlovable patriotism on love, nationality, and patriotism in j. S. Mill "paper presented at the annual meeting of the wpsa annual meeting "ideas interests and institutions", Canada.

الصحافة المكتوبة وحرية الرأي والتعبير بين المواثيق الوطنية والدولية

The written press and freedom of opinion and expression between national and international conventions

مريم الجابري

طالبة باحثة بسلك الدكتوراه بمختبر الدراسات الأدبية واللسانية وعلوم الإعلام والتواصل، بجامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس، المغرب.

ملخص:

من خلال مقالنا العلمي هذا سيتم تعريف حرية الرأي والتعبير، مرورا بالبدايات الأولى للصحافة بالعالم والمغرب وذلك من خلال الإحاطة بمفهومي حرية التعبير والصحافة وتاريخ هذين المفهومين، كما سنحاول تحديد عناصر حرية الصحافة والنظريات المؤطرة لها، من خلال تحليل للمواثيق والنصوص الدولية والوطنية التي تنص على حرية الرأي والتعبير، ومحاولة الكشف عن مدى تنزيل مضامين هذا الحق على أرض الواقع في الصحافة بالمغرب.

الكلمات الافتتاحية: الصحافة، حرية الرأي والتعبير، المواثيق الدولية.

Abstract

Through our scientific article, freedom of opinion and expression will be defined, passing through the early beginnings of the press in the world and Morocco, by taking note of the concepts of freedom of expression and written press and the history of these two concepts. On freedom of opinion, expression and the press, and an attempt to reveal the extent to which the contents of this right are implemented on the ground in the press in Morocco

Keyword: press, freedom; of opinion and expression, international conventions

❖ **إشكالية البحث:**

يجيب بحثنا أساسا عن إشكاليات متعددة وأسئلة جوهرية شكلت في أوساط السياسيين والمهنيين، أهمية كبرى بين الممارسة الصحافية وهامش الحرية المسموح بها، فإشكالية بحثنا تتفرع إلى مجموعة من الأسئلة من قبيل:

. ما هي حدود حرية الرأي والتعبير؟

. وهل تشكل ضوابط حرية الرأي والتعبير حاجزا يقف أمام الصحافيين أم أنها تنظم الممارسة الصحفية؟

. كيف يمكن خلق التوازن بين حرية الرأي والتعبير والصحافة؟

المنهج المعتمد: لتحقيق الأهداف المتوخاة من البحث، اعتمدنا على المنهج التحليلي، عبر وصف وتحليل التشريعات المنظمة للممارسة الصحافية وعلاقتها بحرية الرأي والتعبير، وأهم الأسس والعناصر القائمة عليها، مرورا بالمواثيق الدولية والوطنية التي همت بالأساس حرية الرأي والتعبير

مقدمة:

تعتبر حرية التعبير أحد أهم أساسيات الحياة، لازمت بني البشر منذ وجوده، رغم الانتهاكات التي طالتها لغياب ضوابط تنظمها، وهو ما جعل مختلف التنظيمات تسارع إلى النص على احترامها عن طريق تقنينها وضبطها ضمن تشريعات تحميها، ولكي يكون الإنسان فاعلا، ويحقق إنسانيته، ويحفظ كرامته، ويضمن تكامله مع المجتمع، عليه أن يسعى إلى الحصول على حقوقه المكفولة بحكم القوانين المحلية والمواثيق الدولية.

ويأتي الاهتمام بحرية الصحافة كثمرة لاحترام الصحافة ودورها المجتمعي، وممارسة الصحافيين لعملهم الرقابي على السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية كسلطة رابعة، وتنقسم حرية الصحافة إلى قسمين: حرية الرأي والتعبير، وحرية الحصول على المعلومات وتداولها، لكن على الرغم من الأهمية الكبيرة للحق في حرية التعبير والصحافة إلا أنها ليست مطلقة، حيث وضعت الاتفاقيات الدولية والإقليمية لحقوق الإنسان مجموعة من القيود التي يلعب القانون دورا فعالا في تحديدها ورسم معالمها.

وفي هذا السياق قطع المغرب منذ حصوله على الاستقلال سنة 1956 أشواطا لضمان حرية الصحافة، عن طريق إقرار الدساتير المغربية موادا وفصولا منذ مشروع دستور 1908 إلى دستور 2011، هذا الأخير الذي أعطى مكانة جد هامة للإعلام بجميع مكوناته، أضف إلى ذلك القوانين المنظمة لمهنة الصحافة المتمثلة في قانون الصحافة والنشر والقانون الأساسي للصحافيين المهنيين، والمجلس الوطني للصحافة، وكذا القانون المتعلق بالحق في الحصول على المعلومات، الذين أحدثوا قفزة نوعية في تنظيم المهنة وتوفير جو قانوني مؤطر للصحافة.

وتسعى هذه المقالة العلمية إلى التعرف على واقع حرية الصحافة بالمغرب، لذلك ارتأينا أن تكون الإشكالية التي سنعالجها من خلال هذا الموضوع كالتالي:

ما هي أهم الضمانات القانونية التي أقرتها الاتفاقيات الدولية والإقليمية، والمشرع المغربي لحماية حرية الصحافة؟ وما مدى مطابقة هذه الضمانات القانونية مع واقع الممارسة المهنية؟

المبحث الأول: نشأة الصحافة المكتوبة

المطلب الأول: نشأة الصحافة في العالم

وبالعودة إلى تاريخ الصحافة، ففي كلمات موجزة عبر من خلالها المؤرخ "شمس الدين الرفاعي"، عن الصحافة العربية قائلا: " لكل أمة تاريخها الصحفي ترى من خلاله حياتها السياسية والاجتماعية، تتأمل في مجرى أحداثه إذا ما أرادت أن تدرك مفهوم قيمة جهدها البشري."

والصحافة قديمة قدم العصور والأزمان، فقد لا تكون بالشكل الذي نراها فيه الآن، لكن بالتأكيد كانت تؤدي غرضها بنشر المعلومات التي تهم المجتمع.

"ويرجع تاريخ الصحافة عامة ونشر المعلومات إلى البابليين حيث استخدموا كتابا لتسجيل أهم الأحداث اليومية لتعرف الناس عليها. كذلك كان الصنيين، فقد كانت لهم طوال 1500 عام جريدة رسمية عرفت باسم "امبراطورية الشمس".

وفي أوائل القرن السادس عشر وبعد اختراع الطباعة من قبل "يوهان غوتنبرغ" بألمانيا، بدأ توزيع أولى الصحف المطبوعة وعندما أصبحت تلك الأخبار تطبع بصفة دورية، أصبح عندها ممكن التحدث عن الصحف بمعناها الحقيقي وكان ذلك في بدايات القرن السادس عشر. وفي القرنين السابع والثامن عشر أخذت الصحافة الدورية بالانتشار في أوروبا وأمريكا وأصبح هناك من يمتهن الصحافة كمهنة، وقد كانت الثورة الفرنسية حافز لظهور الصحافة الحديثة"[27].

كما ستؤدي التحولات السوسيوثقافية في أوروبا، ونشوء طبقة متوسطة، واتساع المجال التعليمي إلى تطور سريع في انتشار الصحافة كاستجابة طبيعية لهذه التحولات، ونظرا كذلك لتزايد الوعي داخل هذه المجتمعات بأهمية الصحافة، بدأت البلدان الأوروبية تعرف انتشار الصحافة بشكل متزامن مع توسع التجارب الإعلامية في بلدان مثل: إنجلترا، فرنسا، وألمانيا منذ بداية القرن 16.

وظهرت أول صحيفة في فرنسا تحت اسم " la gazelle "، في 30 ماي 1631[28] ، وكانت هذه الصحيفة في خدمة الملك "لويس" قبل أن تعرف فرنسا تحولا سياسيا كبيرا عقب نجاح ثورة 1789، وصدور إعلان حقوق الانسان في 17 يونيو 1789 الذي اعترف بشكل صريح بمبدأ حرية الصحافة مما سمح بظهور العديد من العناوين الصحفية.

أما الصحافة العربية فقد بدأت في الظهور على أرض الواقع منذ العقد الثاني من القرن التاسع عشر، حيث انتقلت الطباعة والمطبعة إلى العالم العربي بعد قرنين من اختراعها، وأول صحيفة ظهرت على يد الوالي "داوود باشا"، الذي أصدر أول جريدة عربية في بغداد أسماها "جورنال عراق"، باللغتين العربية والتركية، وذلك عام 1816، وبعدها ومع الحملة الفرنسية على مصر عام 1798 بقيادة "نابليون بونابرت"، صدرت في القاهرة صحيفتين باللغة الفرنسية، وفي عام 1867 أصدر "محمد باشا" صحيفة رسمية باسم جريدة "الوقائع المصرية"[29].

وقد اعتبرت سنة 1858 تاريخ ظهور الصحافة اللبنانية على يد "خليل الخوري"، الذي أصدر صحيفة "الأخبار" قبل أن تظهر العديد من العناوين الأخرى ابتداء من سنة 1870 ، حيث أصدر " بطرس البستاني" جريدة "الجنان" التي اهتمت بالجانب السياسي والإداري، كما برزت صحف ذات بعد سياسي ركزت عملها الصحافي على انتقاد الاوضاع السياسية ومواجهة الوجود العثماني، وهو ما أدى بهذه الصحف إلى الاصطدام مع "السلطان عبد الحميد"، الذي فرض قيودا على الصحافة اللبنانية دفعت الصحافيين والسياسيين إلى الهجرة وانتشار صحف خارج بلدانهم في إطار ما عرف بـ"صحافة المهجر"[30].

وقد أثرت الصحافة المصرية واللبنانية بشكل كبير على بروز تجارب صحافية في البلدان العربية المجاورة، وعموما لقد تميزت الصحافة في العالم العربي بارتباط ظهورها بالنفوذ الأجنبي والصراع السياسي الذي لازم هذه الدول سواء إبان حقبة التواجد العثمان أو الغربي، واستمرت هذه الصحافة في التطور ارتباطا بالوضع السياسي في هذه البلدان.

---

[27] فتحي حسين عامر، تاريخ الصحافة العربية، 2014، ص: 7.
[28] طلعت هشام، مائة سؤال عن الصحافة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983، ص :1.
[29] المرجع نفسه، ص: 8.
[30] محمد صاحب سلطان، وسائل الإعلام والاتصال، دراسة في النشأة والتطور، دار الحيرة، الطبعة الأولى، 2012 ص: 56.

المطلب الثاني: نشأة الصحافة في المغرب

ارتبط تاريخ الصحافة المغربية بالتواجد الاستعماري، فكانت الصحافة فرصة للمستعمر لفرض سيطرته وخدمة أجندته وتوجهه وأغراضه، ومع اختلاف الكثير في تحديد تواريخ الإصدارات الصحافية الأولى في المغرب المعاصر بدقة متناهية، إلا أن هناك اتفاق على كون أولى الصحف التي خرجت للوجود كانت بمدينتي "بسبتة" و"تطوان"، بحكم التواجد القوي للإسبان بهما، ففي "سبتة" أصدر الإسبان جريدة "المتحرر الإفريقي" سنة 1820، والتي كانت تطبع في "مدريد"، كما صدرت صحيفة "صدى مدريد" سنة 1860، وهي أول جريدة طبعت في مطابع الجيش الإسباني في "تطوان[31].

وكانت مدينة "طنجة" على وجه الخصوص، المسرح الرئيسي لظهور ونشأة الصحافة بالمغرب، ويرجع ظهور الصحافة في "طنجة" لأسباب منها؛ الأهمية الاستراتيجية التي يكتسيها الموقع الجغرافي للمدينة، التي تعتبر بوابة شمالية مفتوحة على أوروبا، الأمر الذي جعل المدينة العاصمة الديبلوماسية للمغرب منذ أواخر القرن الثامن عشر، ومنها المشروع الفرنسي الإمبريالي الرامي إلى ضم المغرب إلى إمبراطورية فرنسا الاستعمارية بإفريقيا، خاصة بعد أن اتخذت فرنسا قرارا بإعلان الجزائر إقليما فرنسيا سنة 1848، واحتلالها لتونس سنة 1881، وارتفاع حدة الأطماع الإسبانية بعد حرب "تطوان"، ثم ضعف المخزن عن مسايرة الركب الحضاري، وعدم قدرته على الحفاظ على السيادة الوطنية[32].

والظاهر أن الصحف التي ظهرت بـ "طنجة" أواخر القرن التاسع عشر، كانت بمثابة مرآة للصراع الدولي حول المغرب، وأداة فعالة صخرتها المفوضيات الأوروبية قصد الدعاية والترويج لأطروحتها الإمبريالية والدفاع عن مصالحها بالمغرب، وكأسلوب جديد يسهل إنجاز المشروع الاستعماري في أحسن الظروف وبأدنى التكاليف المادية والبشرية[33].

وبمجرد سقوط المغرب تحت الحماية الفرنسية، لم يتأخر الوطنيون المغاربة، في تقديم مذكرة للمستعمر حول مطالب الشعب المغربي، إذ خصصوا فصلا كاملة للصحافة والحريات العامة، لكن الإدارة الاستعمارية الفرنسية لم تستجب لهذه المطالب، وهذا ما جعل زعماء الحركة الوطنية المغربية بفاس كأحمد بلافريج ومحمد حسن الوزاني ومحمد اليزيدي، يعمدون إلى إنشاء مجلة موجهة للمغرب انطلاقا من فرنسا سميت بـ"مجلة المغرب"، وهذا ما تحقق سنة 1932، حيث مكن هؤلاء من اكتساب مهارات عامة في مجال العمل الصحفي وسبل تمرير المطالب الوطنية والتعبير عنها، وعندما فتح الباب أمام إمكانية إصدار الصحف المغربية باللغة العربية إبان أواخر الأربعينات من القرن الماضي، كانت هذه الصحف تقع تحت الرقابة الفرنسية، كما منعت الصحف في بداية الخمسينات، وأقفلت مقراتها بعدما ارتفعت حدة المقاومة في شتى أرجاء البلاد[34].

ومن ضمن التجارب الصحفية التي ارتبطت أيضا بالأحزاب الوطنية، جريدة "المغرب" و"التقدم" التي كانت تميل إلى حزب الاستقلال، واللتين كانتا تصدران من مدينة سلا، ثم جريدة "الريف" التي كانت تصدر من تطوان، وفي المنطقة المستعمرة من طرف الفرنسيين، وبمدينة فاس تحديدا صدرت جريدة "عمل الشعب" "l'action du peuple" وهي أول جريدة وطنية

---

[31] عثمان بن شقرون، رواد الصحافة الوطنية في طنجة، مطبعة الشمس، طنجة، 2012 ص: 17.

[32] الطيب بوتبوقالت، الصحافة الأوروبية الصادرة في أواخر القرن التاسع عشر أهميتها وتأثيرها، ضمن كتاب طنجة في التاريخ المعاصر، 1800_1956، طنجة، 1991، ص: 198.

[33] جامع بيضا، صحافة طنجة، مرآة للصراع الدولي حول المغرب 1900_1912، ضمن كتاب طنجة في التاريخ المعاصر، 1800_1956، طنجة، 1991، ص: 206.

[34] محمد الطاهري، عميد الصحافيين المغاربة يستذكر صحافة بلاده في الرباط، موقع رأي اليوم /عميد-الصحافيين-المغاربة-يستذكر-تاريخ https://www.raialyoum.com/index.php/ الاطلاع بتاريخ: 25.04.2019.

مغربية باللغة الفرنسية عام 1933، ترأس تحريرها محمد حسن الوزاني، وكان ذلك مقصودا لكونها كانت تستهدف إطلاع الرأي العام الفرنسي على ممارسات سلطات الحماية بالمغرب[35].

وهكذا شكلت المنابر الصحفية مجالا مناسبا لفضح الأنشطة الاستعمارية وتجاوزاتها، بحيث تطورت واتسعت مع نشأة التجارب الحزبية الأولى، فكانت رغم كل المضايقات القانونية لسلطات الحماية، رافعة للحركة الوطنية ونقلة نوعية في تاريخها وأسلوبها، كما كانت وسيلة في التحسيس والتوعية والتحدي، وفي فضح تجاوزات المعمرين وإدارة الإقامة العامة[36].

ومنه فقد واكبت الصحافة الوطنية مجريات التاريخ في آنيته وفي مختلف مفاصله، وتحول الصحافي حينها، في حدود معينة، إلى فاعل ومؤرخ للحظة التي عايشها، وتحولت مادته الصحافية إلى وثيقة ومصدر من مصادر التاريخ، وبالتالي فإن الصحف التي صدرت في فترة الحماية لا يمكن اعتبارها في الحاضر، إلا وثائق تاريخية، ذات أهمية بالغة في فهم هذه الفترة بكل ملابساتها، ومادة أساسية لإنارة دروب هذا الماضي[37].

وقد دخل المغرب بعد مرحلة الحماية وظاهرة التنظيمات السياسية الأولى التي انبثقت عن الحركة الوطنية المغربية، منعطفا جديدا في ظل الاستقلال السياسي سنة 1956، وذلك من خلال التعددية الحزبية التي واصلت مشوارها السياسي مواكبة بذلك مرحلة الاستقلال، فظهرت تنظيمات جديدة كان لها وقعها الكبير داخل الخارطة السياسية المغربية، وبذلك يكون المشهد السياسي المغربي قد مر بعدة مراحل جعلته يتميز عن باقي الدول الأخرى، وبالتالي كانت التعددية الحزبية في المغرب الدور الفعال في نتشيط الحركة السياسية، الشيء الذي سيؤدي حتما إلى تعدد آخر، يتمثل في تعدد العناوين الصحفية الموالية لتلك الأحزاب، بحيث كانت الصحافة هي الملاذ الوحيد للتعبير ونشر الأفكار[38].

وترتبط بداية الألفية الثالثة في المغرب، بمجموعة من الظواهر والتطورات ويعد الإعلام والصحافة راصدا لها من جهة ومحركا من محركاتها من جهة أخرى.

فقد شهدت هذه السنوات تطورات كبيرة في حقل الصحافة المكتوبة والإعلام السمعي البصري على السواء، ففي حقل الصحافة المكتوبة تعددت الصحف اليومية والأسبوعية، باللغتين العربية والفرنسية. ويحمل بعضها مواصفات مهنية من حيث البحث عن الخبر، والقيام بتحقيقات تهم عددا من المجالات، كما أفسحت هذه الصحف المجال لتعدد الآراء، فاشتدت التنافسية التي تستدعي تطور المهنة. وهكذا ظهرت إلى جانب الصحافة المهنية الحزبية صحافة مستقلة، تأخذ مسافة من الدولة ومن الأحزاب ومن سلطة المال... مثل "الأيام" و"الصحيفة" "le journal" و "telquel" و"البيضاوي "(المواطن حاليا)، و"المساء" وصحف جديدة أخرى تحاول أن تحدو حدوها.

كما تظافرت عوامل سياسية أهمها مجيء حكومة التناوب بقيادة الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي سنة 1998 وانتقال العرش إلى الملك محمد السادس في يوليوز 1999.

لقد نمت وتطورت حرية الصحافة من الإدراك على أن حرية التعبير وحق إصدار الصحف عنصر أساسي في تطوير الحقوق السياسية والمدنية، خصوصا مع تطور الإدراك أيضا في الحق في الحرية والمعرفة والمعلومة كأساس لتطور

---

[35] عبد السلام النويكة، حول تاريخ الصحافة المغربية المكتوبة، مجلة حوار المتمدن، العدد 5965، 08.12.2016.
[36] عبد السلام النويكة، مصدر سابق، ص 86.
[37] عثمان بنشقرون، مصدر سابق، ص 7.
[38] علي كريمي، قوانين الإعلام المكتوب في دول المغرب العربي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، اسيسكو_2011، الرباط، ص 12.

الإنسان، وارتباط التحول الديمقراطي بشكل كبير بتوسع هامش الحرية المخول للصحافة انطلاقا من الدور الذي تلعبه هذه الأخيرة في تشكيل وتطوير وتوجيه الرأي العام[39].

ونظرا لخطورة الإعلام وتأثيره القوي في المجتمعات وقناعاتها السياسية والفكرية، فقد حاولت التشريعات الوطنية والدولية تنظيم هذا الحق، انطلاقا من معايير ومرجعيات معينة بغية تحقيق التوازن بين الحق في ممارسة حرية الرأي والتعبير، وحقوق الأفراد، ومصالح المجتمع فما هي أبرز هذه التشريعات والنصوص والمواثيق التي نصت على هذا الحق وساهمت في تنظيمه؟

المبحث الثاني: مفهوم حرية التعبير والصحافة وتطورهما

سنتناول في هذا المبحث تعريف كل من حرية التعبير وحرية الصحافة والإحاطة بتاريخ هذين الأخيرتين، وتحديد عناصر حرية الصحافة والنظريات المؤطرة لها، كما سنحاول تسليط الضوء على نشأة الصحافة وتطورها على الصعيد العالمي ثم على الصعيد الوطني.

المطلب الأول: تعريف حرية التعبير وحرية الصحافة

- **مفهوم الحرية**

قبل الحديث عن حرية التعبير لا بد من تعريف مفهوم الحرية أولا؛

فالحرية لغة؛ نقيضة العبودية، والحرة: نقيض الأمة والجمع حرائر، والحر من الناس: أخيارهم وأفضالهم، وحرية العرب: أشرافهم، والحرة: الكريمة من النساء[40].

وتعرف الحرية وفقا للمعجم "عربي عربي" بكونها، " الخلوص من الشوائب أو الرق أو اللؤم" وهي حالة يكون عليها الكائن الحي غير خاضع لقهر أو غيض أو غلبة، ويتصرف طبقا لإرادته وطبيعته خلافا للعبودية.

أما اصطلاحا فقد تعددت تعاريف الحرية، واختلفت الآراء، وتباينت تباينا شديدا في تحديد مصطلح للحرية.

فقد ورد في إعلان حقوق الإنسان والمواطن الصادر عام 1789 أن " الحرية هي حق الفرد في أن يفعل ما لا يضر بالآخرين".

وتعني الحريات على أنواعها حق الإنسان في أن يكون سيد قراره في مجالات حياته المختلفة؛ نمط حياته، إيمانه الديني، رأيه السياسي والتعبير عنه، استقلالية الإنسان بنفسه وجسده، باختصار إنها حق الإنسان في تقرير مصيره، وهذا يعني أن الحرية مسؤولية، فالإنسان مسؤول لا عما اختاره وقام به فحسب، بل عن نتائج هذا الخيار أيضا[41].

[39] أحمد الوحيدي، قانون الصحافة بين التشريع بالمغرب والمعايير الدولية، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة محمد الخامس أكدال الرباط، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، السنة الجامعية 2014 / 2015، ص:2.

[40] انظر: لسان العرب: ابن منظور4_ 181.

[41] مقالة في الحرية، عزمي بشارة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،

فالحرية حق طبيعي للإنسان، بل هي أقدس حقوقه وأغلاها، يحرص عليها حرصه على الحياة، وقد أدركت شعوب العالم أهمية الحرية فناضلت منذ البدء من أجلها وعلى مر العصور، حيث قطعت البشرية في تاريخها الطويل شوطا مهما في سبيل القضاء على المظالم وأنواع القهر.

وللحرية عدة تعريفات يطلقها المفكرون والمختصون في هذا المجال تكاد تتناقض مع بعضها البعض، كل بحسب المبادئ التي يعتنقها أو الواقع الذي يعيشه، ومن أبرز التعريفات نذكر ما يلي: [42]

"الحرية هي مقولة فلسفية تعبر عن العلاقة بين النشاط البشري والقوانين الموضوعة للطبيعة والمجتمع ويعتبرها الفلاسفة هي تقرير الروح لمصيرها، وحرية الإرشادات وإمكانية التصرف وفق إرادة لا تحددها الظروف الخارجية، وهو تعريف يقرر الحريات المطلقة باعتباره أمرا يستحيلا إلا في ظل فوضى لا يرضى بها أحد ويشهد على ذلك التاريخ القديم والحديث.

ويعرفها بعضهم بأنها الفكاك من كل قيد مادي أو معنوي، ويعرفها آخرون بأنها القدرة على فعل الشيء بدون سبب سوى وجود القدرة عليه وهي ما يسمى بحرية اللامبالاة وهذه التعريفات ترمي بعرض الحائط كل القيم والمبادئ والقوانين واحترام الآخرين.

وعرفت بأنها رخصة العمل المباح من دون مانع غير مباح ولا معارض محظور، وهو تعريف منطقي مقبول، إلا أن عليه تساؤلا يتعلق بمن يحدد غير المباح من الموانع والمحظورات الفعلية في العمل والترك بشرط ألا تضر بالغير."

إن مفهوم الحرية هو مفهوم نسبي يختلف باختلاف الزمان والمكان، لذا لم يكن لها تعريف ثابت ومحدد، فقد نحى الكتاب والباحثون إلى اتجاهات مختلفة في تحديده، على الرغم من اتفاقهم على عناصر معينة فيها، ويمكن التمييز بين اتجاهين مختلفين في هذا الصدد:

الاتجاه الأول يذهب إلى أن الحرية التي يتمتع بها الفرد في ظل نظام معين، هي تلك الحريات التي يعترف بها ويحددها هذا النظام، من هذا الاتجاه، تعريف الفيلسوف "جون لوك" للحرية، بأنها "الحق في فعل أي شيء تسمح به القوانين". كذلك تعريف الفيلسوف "جون جاك روسو" للحرية بأنها، "عبارة عن طاعة لإرادة عامة" ويذهب "مونتسكيو" في تعريفه للحرية، بأنها " الحق فيما يسمح به القانون، والمواطن الذي يبيح لنفسه ما لا يبيحه القانون لن يتمتع بحريته، لأن باقي المواطنين سيكون لهم القوة نفسها".[43] وفقا لوجهة نظر هذا الاتجاه تبدو لنا الحرية حق لصيق بالسلطة ولهذا يتغير مفهومها باختلاف الأنظمة السياسية السائدة.

أما الاتجاه الثاني فيرى أن الحرية تستمد من الطبيعة الإنسانية، سواء اعترفت بها الأنظمة الوضعية أم لم تعترف بها، ومن هذا القبيل تعريف الأستاذ "أندريه هوريو" للحرية "بأنها سلطة، ولكن قبل أن تكون سلطة على الآخرين، إنها سلطة على الذات، وأن الإنسان حر لأنه بفضل عقله سيد نفسه"، من هذا الاتجاه أيضا تعريف الدكتور "ماجد راغب الحلو" للحرية بأنها "إمكانيات يتمتع بها الفرد بسبب طبيعته البشرية أو نظرا لعضويته في المجتمع"[44]، وكذلك تعريف الدكتور "زكريا

[42] مرشد عبد صافي، الحرية في الصحافة والإعلام، الجنادرية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2017، ص 17، 28.
[43] كريم يوسف كشاكش، الحريات العامة في الأنظمة السياسية المعاصرة، دار المعارف في الإسكندرية، 1987، ص 24، 25.
[44] ماجد راغب الحلو، القانون الدستوري، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية،1986، ص 385.

إبراهيم" للحرية بأنها "الملكة الخاصة التي تميز الإنسان من حيث هو موجود عاقل يصدر في أفعاله عن إرادته هو، لا عن أية إرادة أخرى، فالحرية تعني انعدام القيد الخارجي"[45].

ولا شك أن التأكيد على الحرية والحرص على احترامها وضمان ممارستها، لا يعني بحال من الأحوال أن تكون مطلقة من كل قيد أو تنظيم، فلا وجود للحرية المطلقة في ظل المجتمع المنظم بالدولة، لأن وجودها يعني انهيار الدولة وانتشار الفوضى، ذلك أن مجال ممارسة الحرية هو المجتمع والذي يقتضي فرض قيود وشروط لممارستها، حفاظا لحريات الآخرين والنظام العام للجماعة، وفي هذا الصدد يقول الأستاذ "آلان" أن "الحرية لا تسير دون نظام كما أن النظام لا قيمة له دون حرية"[46].

"فحرية الإنسان مفهوم متعدد الأبعاد وتختلف مجالات تطبيقه من حرية سياسية أو اقتصادية أو دينية واجتماعية، وهو ما انعكس على النظريات المؤطرة لحرية الإعلام"[47].

ونخلص هنا إلى أن الحرية هي مجموع الحقوق المعترف بها للفرد ومجموع القدرات التي يتمتع بها، وذلك بتحديد القوانين والأعراف والأوامر التي تؤلف الأفق الاجتماعي للفرد والوسائل التي يملكها داخل مجتمعه وعصره وحياته[48].

- **مفهوم حرية الرأي والتعبير:**

أما فيما يتعلق بحرية التعبير فيمكن تعريفها بالحرية في التعبير عن الأفكار والآراء عن طريق الكلام أو الكتابة أو العمل الفني بدون رقابة أو قيود حكومية بشرط ألا يمثل طريقة ومضمون الأفكار والآراء ما يمكن اعتباره خرقا لقوانين وأعراف الدولة التي سمحت بحرية التعبير[49].

وحرية التعبير هي حق مزدوج، بمعنى أنها حرية إذاعة الآراء والأفكار أيا كان نوعها، وهي أيضا حرية استقاء المعلومات والأفكار، وذلك عن طريق الوسائل الصوتية أو المكتوبة أو المطبوعة أو على شكل أعمال فنية أو من خلال أية وسيلة من وسائل الإعلام، بما في ذلك التكنولوجيا الجديدة. وليس من الواجب استخدام الحدود الجغرافية للتدخل في هذا الحق، وتبعا لذلك، يمكن اعتبار حرية اعتناق الآراء دونما أي تدخل، وحرية استقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها؛ هما العنصران الأساسيان لحرية التعبير.

وهذا ما تؤيده منظمة "اليونيسكو" التي قسمت حرية التعبير إلى بعدين؛ يمثل البعد الأول الحق في إذاعة المعلومات والآراء، وهذا أساس الحق في حرية الصحافة الذي يشير إلى حرية نشر المعلومات لدى جمهور واسع، ويمكن اعتباره السياق الذي يتسنى فيه للصحافة المهنية، بوصفها فرعا منبثقا من حرية التعبير، أن تزدهر وتسهم في بناء مجتمعات المعرفة.

أما البعد الثاني لحرية التعبير فهو الحق في التماس المعلومات وتلقيها، وهو أساس الحق في تداول المعلومات، وهذا الحق بدوره هو أحد أسس الشفافية التي يعترف بأنها عنصر أساسي في تحقيق التنمية والديموقراطية، وتتيح التكنولوجيا الرقمية

[45] زكريا إبراهيم، مشكلة الحرية، مكتبة مصر، القاهرة، 1971 ص 18.
[46] عبد الوهاب محمد عبده خليل، الصراع بين السلطة والحرية، ص269، جامعة الإسكندرية-كلية الآداب- اقتصاد 2004.
[47] - جيهان أحمد رسي، (الأسس العلمية لنظريات الإعلام) ، الطبعة 2 ، القاهرة ، دار الفكر العربي، 1978 ، ص 13.
[48] عبد الله العروي، مفهوم الحرية، المركز الثقافي العربي، ط6، الدار البيضاء، 2002، ص 91.
[49] عزام محمد علي الجويلي، القواعد الدولية للإعلام، دار معتز للنشر والتوزيع، الأردن عمان، 2014 ص 55.

تحقيق تقدم هائل في مجال الشفافية، ويشمل ذلك المؤسسات العامة والخاصة على حد سواء، ويتيح مساءلة لم يسبق لها مثيل وتمكينا للمواطنين[50].

- **تاريخ مفهوم حرية التعبير:**

تعود بدايات هذا المفهوم إلى القرون الوسطى في المملكة المتحدة بعد الثورة التي أطاحت بالملك جيمس الثاني من إنكلترا عام 1688، ونصبت الملك وليام الثالث والملكة ماري الثانية على العرش، وبعد مرور سنة أصدر البرلمان البريطاني قانون "حرية الكلام في البرلمان"، وبعد عقود من الصراع أصدرت الجمعية التأسيسية الوطنية في فرنسا إعلان حقوق الإنسان والمواطن عام 1789 عقب الثورة الفرنسية، والذي نص على أن حرية الرأي والتعبير جزء أساسي من حقوق المواطن[51].

ويعتبر الفيلسوف "جون ستيوارت ميل"، من أوائل من نادوا بحرية التعبير عن أي رأي مهما كان هذا الرأي غير أخلاقيا في نظر البعض، حيث قال إذا كان كل البشر يمتلكون رأيا واحدا وكان هناك شخص واحد فقط يملك رأيا مخالفا فإن إسكات هذا الشخص الوحيد لا يختلف عن قيام هذا الشخص الوحيد بإسكات كل بني البشر إذا توفرت له القوة، وكان الحد الوحيد الذي وضعه ميل لحدود حرية التعبير عبارة عما أطلق عليه "إلحاق الضرر بشخص آخر"[52].

- **تعريف الصحافة:**

يقصد بالصحافة لغة مهنة من يجمع الأخبار والآراء وينشرها في صحيفة أو مجلة، والصحفي هو من يزاول مهنة الصحافة، والصحيفة هي مجموعة من الصفحات تصدر يوميا، وفي مواعيد منتظمة بأخبار السياسة، الاجتماع، الاقتصاد، الثقافة وما يتصل بذلك[53].

وفي قاموس أكسفورد الإنجليزي" الصحافة مهنة جمع وكتابة ونشر الأخبار، في الجرائد والمجلات، وكذلك عن طريق التلفاز والمذياع"[54].

وفي قاموس "لورس" الفرنسي "الصحافة هي كتابة وسرد أحداث يومية، تنشر فترة بعد فترة في العديد من المجالات"[55].

"والصحافة هي وسيلة من وسائل الإعلام أو الاتصال الجماهيري التي تقوم على توصيل الرسائل الاتصالية للجمهور المتعلم والقارئ وتعليمه وتزويده بالثقافة والمعارف والخبرات والتسلية والترفيه... وهي المهنة التي تقوم على جمع وتحليل الأخبار والتحقق من مصداقيتها وتقديمها للجمهور، وغالبا ما تكون هذه الأخبار متعلقة بمستجدات الأحداث على الساحة السياسية، المحلية، الثقافية، الرياضية أو الاجتماعية وغيرها"[56].

---

[50] منشورات اليونيسكو، الاتجاهات العالمية في حرية التعبير وتنمية وسائل الإعلام: تركيز خاص على الوسائل الرقمية في عام 2015، تحرير راشيل بولاك إيشو ص:19.

[51] نوال عبد الرحيم إسماعيل، الأسس والقواعد الدولية لمنهجية الإعلام، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ص 79، 80.

[52] نوال عبد الرحيم إسماعيل، مرجع سابق، ص:56.

[53] المعجم الوجيز، معجم اللغة العربية، طبعة 2000، ص: 360.

[54] Nadjoh chama, ocford word powet, third edition, oxford university press, London, 2008, P 436 .

[55] La Rousse dictionnaire de français, Euro livres Amanche court, mai, P 234 .

[56] فتحي حسين عامر، حرية الإعلام.. والقانون العربي للنشر والتوزيع القاهرة 2011 ص 17.

ويحدد "طلحت همام" مفهوم الصحافة بكونها مهنة ورسالة، تصنع حياة الأمم نفسيا واقتصاديا وسياسيا وفكريا، فهي صوت يخاطب الرأي العام، كما أنها قوة مؤثرة تستمد فعاليتها من قوة الكلمة التي تستقر في الأذهان والعقول[57].

- **تعريف حرية الصحافة وعلاقتها بحرية التعبير**

إن الحديث عن حرية الصحافة يجرنا إلى نقاش طويل عريض، تختلف توجهاته ونظرياته، فمنهم من يرى أنها مطلقة، ولا ينبغي أن تقع ضحية القيود والخطوط الحمراء التي تتجاوز الحد المسموح به، ومنهم من يرى أنه لا مجال لإطلاق حرية الصحافة، وجعلها بدون حسيب أو رقيب.

وحرية الصحافة كأحد أشكال حرية التعبير، فهي إحدى صور حرية الرأي وهذه بدورها واحدة من الحريات العامة كحرية الاجتماع، وحرية تكوين الجمعيات...، وهي تتعلق بسلوك الفرد الذي يتصل بالآخرين[58].

ويرى الباحث اللبناني "حازم عبد الحميد النعيمي"، أن حرية الصحافة تعني: "حق الأفراد والجماعات، في إصدار الصحف، والعمل بها، والتعبير عن آرائهم ونشرها، ومعرفة ونقل ونشر الأخبار والمعلومات بموضوعية وتنوير المواطنين وتثقيفهم بواسطتها، والرقابة على الهيئات العامة والخاصة ومناقشة سياستها ونقدها من خلالها، وذلك ضمن تعددية صحافية تمثل مختلف الاتجاهات السائدة في المجتمع، ويتم ذلك خارج جميع الضغوط والمؤثرات من الأفراد والجماعات الحكومية والإدارية والسياسية والاقتصادية والمالية والاجتماعية والمهنية الواقعة على الصحيفة أو الصحافي، والهادفة إلى صرف الصحافة عن أداء مهامها وكل هذا ضمن الالتزام بالمسؤولية تجاه الموضوعية والصدق والمصلحة العليا الحقيقية للمجتمع والإنسانية، وتجاه خصوصيات الأفراد وكرامتهم، والمتضمنة في قوانين عادلة غير متعسفة ومشروعة ديموقراطيا وفي مواثيق شرف المهنة والتزام المجتمع وأجهزته الإدارية، بتقديم المساعدة للصحف لتحسينها وضمان استمرارها في أداء رسالتها.

وحرية التعبير وحرية الصحافة، من الناحية الفلسفية هما؛ النتيجة الطبيعية لحرية الاعتقاد، فالإنسان يفكر بحرية كما يجب ألا يحال بينه وبين نمو كيانه المعنوي وازدهار إنسانيته، فحرية الاعتقاد في الأساس هي أولى الحريات لأنها تحدد جميع الحريات الأخرى[59].

- **تاريخ حرية الصحافة:**

إن تاريخ حرية الصحافة هو تاريخ الصراع بين الصحف الحرة والسلطات التي سعت إلى قمع الحريات حماية لمصالحها وتكريسا لنفوذها [60]، ولن يتسع المجال هنا لسرد ما واجهته الصحافة من عسف واستبداد وما حققته من مكاسب وانتصارات سواء في الدول الديموقراطية التي بلغت شأنا كبيرا في هذا المجال أو في الدول المتخلفة التي لا تزال صحافتها تخوض صراعا مريرا من أجل انتزاع حق حرية الرأي والتعبير.

---

[57] همام طلحت، موسوعة الإعلام والصحافة (مئة سؤال عن الصحافة) الطبعة 2، دار الفرقان للنشر، الأردن، 1988، ص05.
[58] منير ممدوح الشامي، د. صلاح محمد عبد الحميد، الإعلام السياسي، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، ص 165.
[59] منير ممدوح الشامي، صلاح محمد عبد الحميد، مرجع سابق ص 165.
[60] علي عبد الفتاح كنعان، نظريات الإعلام، اليازوري للطباعة والنشر، ص 54.

فقد تعرضت حرية الصحافة في أوروبا لضروب من القمع وخلال أكثر من قرن ظلت الصحافة تحت رحمة الكنيسة حتى أن نشر أي مطبوع بغير ترخيص كان يعاقب عليه بالموت.

وقد تحدث عن ذلك المفكر الفرنسي "فولتير" بقوله: "إنك لا يمكن أن تفكر إلا بإرضاء الملك"، وظل هذا الوضع قائما حتى قيام الثورة الفرنسية حيث زاد عدد الصحف والمطبوعات الدورية من 41 عام 1779 إلى حوالي 1400 صحيفة عام 1789، ولم يقلص هذا العدد إلا في موجة جديدة من القيود الحكومية تحت حكم "نابوليون الأول" الذي قال عام 1800: "لو أني تركت الصحافة تفعل ما تريده لخرجت من الحكم في غضون ثلاثة أشهر"[61].

نخلص من هذا إلى أن حرية الصحافة مرت بفترات انتكاس وفترات انتعاش، وبقدر ما عانت من التعسف والقيود إلا أن الحق في حرية التعبير لم يستند فقط إلى ضمانات دستورية وقانونية ولكنه استند في الأساس إلى القيم الديموقراطية وآليات المجتمع الديموقراطي.

ومهما قيل عن حرية الصحافة، فإنها تعني توفر أدوات للتعبير عن الرأي، دون أن يكون عليها أية قيود، على أن يكون ذلك ضمن الضوابط التي يحددها القانون، والتي يجب أن تدفع العمل الإعلامي إلى الأمام وتصونه لا تحجز عليه، أو توقف مداه وتطوره[62]، وعموما لا توجد صحافة بدون حرية التعبير لأن هذا الحق يعتبر أساسي لممارستها.

المطلب الثاني: عناصر حرية الصحافة والنظريات المؤطر لها:

- **عناصر حرية الصحافة:**

لكي تتحقق حرية الصحافة لا بد من الالتزام بجملة من الشروط أو الضمانات السياسية، الاقتصادية والاجتماعية الأخرى، كما أن هذه الحرية لا تتحقق جملة واحدة، وإنما يجب توافر مجموعة من العناصر أو الأبعاد الأساسية التي يستدل بوجودها على وجود حرية الصحافة، ويختلف تحديد هذه العناصر تبعا لاختلاف المفاهيم المعطاة لمصطلح حرية الصحافة، والتي تختلف بدورها باختلاف البيئة الاجتماعية وما تخلقه من تحديات في وجه الصحافة.

ويحدد "عماد النجار" عناصر حرية الصحافة، من الناحية الدستورية والقانونية، في الجوانب الثلاثة التالية[63]:

أولا: عدم خضوع المطبوعات لرقابة سابقة على طبعها، من جانب السلطة لأن هذه الرقابة السابقة تنازل عن الحرية، وهو أمر غير مقبول في جميع الأحوال حتى في الظروف الاستثنائية في حالات لحرب والطوارئ إلا في أضيق الحدود.

ثانيا: تحديد المجال، الذي يخول للمشرع تقييد حرية الصحافة فيه بمعنى ألا يكون في وسع المشرع وضع تشريعات تجرم شيئا ينفع المجتمع.

ثالثا: حق الفرد والجماعة في إصدار الصحف من دون اعتراض من السلطة.

وقد أورد المعهد الدولي للصحافة "بزيوريخ" تبعا لتعريفه لحرية الصحافة، مجموعة من العناصر يلخصها "محمد سعد إبراهيم" على النحو التالي:

---

[61] المرجع نفسه، ص 54، 55.
[62] أشرف الراعي، جرائم الصحافة والنشر: الذم والقذف، دار الصفاقة للنشر والتوزيع، عمان، 2010 ص 46.
[63] منير ممدوح الشامي، د. صلاح محمد عبد الحميد، مصدر سابق، ص 165.

- حرية استقاء الأخبار.
- حرية نقل الأخبار.
- حرية إصدار الصحف.
- حرية التعبير عن وجهات النظر.

كما يرى "جمال الدين العطيفي" أن لحرية الصحافة أربعة عناصر هي:

- ❖ عدم خضوع الصحافة لرقابة سابقة على النشر.
- ❖ تحديد المجال الذي يجوز للمشرع أن يتدخل فيه للحد من حرية الصحافة.
- ❖ حرية الصحافة في استقاء الأنباء وفي نشرها.
- ❖ حرية إصدار الصحف بغير توقف على رضا الحكومة.

والصحف كذلك تعتبر مصنفات أدبية فتحظى بالحماية القانونية المقررة لقواعد حماية الملكية الأدبية والفنية، فتشمل العديد من المقالات ذات الموضوعات المختلفة والأخبار المتنوعة[64].

ويتضح لنا مما سبق أن الصحافة تتميز بعناصر محددة يتفق عليها الجميع حيث ترفض التضييق من طرف المشرع وتقلص سلطته فيما يمس حرية الصحافة.

- ➢ **نظريات حرية الصحافة:**

ويبدو من خلال تطور الحق في ممارسة حرية الرأي والتعبير، والحق في حرية الإعلام، أن حرية الصحافة خضعت ليس فقط لطبيعة الأنظمة السياسية الحاكمة، وإنما أيضا للنظريات التي تطرقت لحرية الصحافة، والتي حاولت تفسير العلاقة العضوية بين السلطة والصحافة في المجتمع، حيث برزت مجموعة من النظريات لعل أبرزها[65]:

نظرية السلطة أو النظرية السلطوية:

نشأت هذه النظرية في القرن 16 و17، ومرجعيتها السلطة المطلقة للحكومة أو الحاكم لتعزيز سلطة هذا الأخير، وبمقتضى هذه النظرية فإن امتلاك وإصدار الصحف يكون من اختصاص الحكومات، أو بعد الحصول على ترخيص من الحاكم وكرست هذه النظرية كذلك حق السلطة السياسية في حظر نقد الجهاز السياسي، وهي إشكالية بقيت لازمة للعمل الصحفي وعلاقاته بالفاعل السياسي لحد الآن.

النظرية الليبرالية في الإعلام

[64] . Rolland de Reougerve, l'application du droit d'auteur en matière de presse en France, Paris, 2 1988, P 19

[65] محمد الركراكي، الصحافة المكتوبة بالمغرب بين الإطار التشريعي والبعد السياسي المهني 1958_2016، أطروحة لنيل الدكتوراه، السنة الجامعية 2016_2017 من الصفحة 8 إلى ص 12 (بتصرف).

مقابل نظرية السلطة، برزت في عصر النهضة ابتداء من القرن 18 و19، النظرية الليبرالية كبلورة لأفكار مفكري الفكر الليبرالي مثل الكاتب الانجليزي "جون ميلتون" و"جون لوك" هذا الأخير الذي اعتبر أن الحرية هي الحق في فعل أي شيء تسمح به القوانين، وهو ما بلوره في بيانه المقدم للبرلمان الإنجليزي سنة 1665 الذي كان قد أصدر قرار يقيد فيه حرية الصحافة.

وقد جاءت هذه النظرية كحد لما فرضته نظرية السلطة التي سادت في بداية عصر النهضة، وهو توجه لم يتكرس بشكل واضح إلا في القرن 18، حينما أصدر البرلمان البريطاني قرارا يحظر فيه أي رقابة مسبقة على الفكر، مقابل منح الأفراد حق إصدار الصحف دون إذن مسبق من قبل السلطة السياسية.

وبذلك فقد اعتبرت النظرية الليبرالية أساسا للفكر الفلسفي الذي سيكرس فيما بعد قدسية حرية الرأي والتعبير، وحرية الممارسة الصحفية ضدا على النظرية السلطوية، اعتبارا لأهمية وسائل الإعلام في تزويد الجمهور بالمعلومات لكن بالمقابل، فإن كانت هذه النظريات قد لعبت دورا كبيرا في تكريس حق الأفراد في النشر وإصدار الصحف وتحرير الصحافة من سيطرة الدولة، فإن التحولات السياسية والإعلامية التي عرفتها أوروبا عقب الحرب العالمية الأولى والثانية، عرضت هذه النظرية للكثير من النقد.

نظرية المسؤولية الاجتماعية:

عند نهاية الحرب العالمية الثانية، بدأت نظريات الإعلام الخاصة بالممارسة الصحفية تعرف العديد من المراجعات في ظل التطورات السياسية، وجدلية العلاقة بين السياسي والإعلامي، حيث ازداد العامل السياسي وتأثيره في العمل الصحفي والإعلامي، وبرز اتجاه قوي على أن الحرية يجب أن ترتبط بالمسؤولية.

ويحدد "دنيس ماكويل" المبادئ الأساسية لنظرية المسؤولية الاجتماعية من خلال الالتزام بالمعايير الدقيقة التي تصف ممارسة صحفية تراعي مصالح المجتمع وتوازناته وحاجياته، إذ تلتزم بمعايير رفيعة في أدائها.

كما طرحت هذه النظرية إشكالية التنظيم الذاتي لمهنة الصحافة لإنهاء أزمة الاحتكار، واحترام المواثيق المهنة والالتزام بالمعايير المهنية، وضمان التنوع في المادة الإعلامية بعيدا عن ضغوطات السلطة السياسية.

النظرية الشيوعية

ترتكز هذه النظرية في الممارسة الصحفية على أساس أن وظائف الإعلام هي نفسها وظائف السلطة السياسية الحاكمة، ويجب على وسائل الإعلام وفق هذا المفهوم أن تعمل على نشر السياسة الاشتراكية باعتبارها جزء لا يتجزأ من الدولة ومن أدواتها التي تقوم بتشغيلها وتوظيفها.

ويعتبر "كارل ماركس" الأب الروحي لهذه النظرية الذي كان متأثرا بفكر زميله "هيغل" نظرا لكون وسائل الإعلام يجب أن تكون خاضعة للحزب وللفكر الشيوعي، وأن كل ما يمكن أن تقوم به وسائل الإعلام هو دعم السياسة الرسمية للسلطة السياسية ومن ثم فإنه من حق المجتمع فرض القيود على الحق في امتلاك وسائل الإعلام، وعلى المضامين التي تنشرها هذه الوسائط لمنع نشر أي مضامين معارضة أو مخالفة للفكر الحاكم.

وإلى جانب هذه النظريات فقد برزت نظرية:

المشاركة الديمقراطية

إن امتلاك الأنظمة السياسية لوسائل الإعلام، والتأثير عليها وتوجيهها لخدمة أهدافها السياسية، كان السبب في التحول العميق نحو التجارب الإعلامية والنظريات المؤطرة لها، حيث برز ما أصبح يعرف بنظرية المشاركة الديمقراطية كرد فعل مباشر على التوجه السريع نحو الطابع التجاري والاحتكاري لوسائل الإعلام، ليس فقط من حيث الملكية وإنما أيضا بيروقراطية وسائل الإعلام العامة التي انحرفت عن معيار المسؤولية الاجتماعية.

ويعبر مصطلح المشاركة الديمقراطية عن التحرر من النظام السياسي والنظام البرلماني الذي بدأ يعيق المشاركة ضرورة أساسية لتمكين وسائل الإعلام من مجتمع نشط، وتفاعلها مع حاجياته، مع التخلص من السيطرة الحكومية على وسائل الإعلام، ضمانا لحرية الصحافة والإعلام وحرية إصدار الصحف بدون رقابة إلا في إطار ما تستلزمه مصالح المجتمع.

إن حرية الصحافة والإعلام لابد أن تضمن العديد من الضمانات التي تكفل هذا الحق مثل:

1. تقييد مجال تدخل المشرع لإصدار تشريعات تحد من حرية الأفراد والجماعات في ممارسة حقوقهم إلا في الحالات الاستثنائية وبضمانات قانونية واضحة،

2. عدم خضوع وسائل الإعلام لأية رقابة مسبقة من جانب السلطة السياسية حيث ترغب هذه الأخيرة في فرض سلطتها على وسائل الإعلام،

3. حق الأفراد والجماعات في إصدار الصحف دون قيود أو شروط ودون اعتراض السلطة السياسية، وكان هذا البند أحد البنود الأساسية التي اعتمدتها التشريعات الدستورية من أجل الحد من تدخل السلطة السياسية، وهي تجربة عاشها المغرب منذ صدور أول ظهير منظم للصحف المتمثل في ظهير 27 أبريل 1914 تحت السلطة الاستعمارية، حيث لجأت السلطة الاستعمارية آنذاك إلى حذف هذا الحق.

4. ضمان حرية التعبير عن الآراء والأفكار هو ضمان لحق الجمهور في المعرفة،

5. ضمان حق وسائل الإعلام والصحف في الحصول على الأخبار وترويجها بكل حرية مع حرية الصحف في الوصول إلى مصادر المعلومات.

المبحث الثالث: حرية الصحافة في المواثيق والنصوص الدولية والإقليمية والوطنية

عرف العالم في الأعوام الماضية نقلة نوعية في مجال حقوق الإنسان، وفي الدفاع عن الحريات باعتبارها حقا أساسيا يجب على كل فرد من أفراد المجتمع أن يتمتع به.

وقد حظيت هذه الحقوق والحريات باهتمام عالمي وطني وإقليمي نتيجة لتظافر جهود الأنظمة السياسية، وخاصة الديموقراطية فيها، والمنظمات الدولية والإقليمية، بهدف ضمان الحياة الكريمة للإنسان من خلال ممارسة الأفراد والجماعات لحقهم في تقرير مصيرهم.

وقد أخذت حرية الصحافة نصيبا هاما من العناية الدولية، سواء من خلال الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان بصفة عامة أو الإعلانات الدولية أو الإقليمية التي اهتمت بهذه الحرية، وبأوضاع الصحفيين وحقوقهم.

المطلب الأول: حرية الصحافة في المواثيق الدولية

تناولت مجموعة من الاتفاقيات والإعلانات بشكل عام حقوق الإنسان وحرية الإعلام والصحافة ومن أبرز هذه الاتفاقيات نجد:

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان:

يعتبر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وثيقة تاريخية هامة في مجال حقوق الإنسان، صاغه ممثلون من مختلف الخلفيات القانونية والثقافية من جميع أنحاء العالم، واعتمدت الجمعية العامة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في باريس في 10 شتنبر 1948 بموجب القرار 217 بوصفه المعيار المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافة الشعوب والأمم وهو يحدد وللمرة الأولى حقوق الإنسان الأساسية التي يتعين حمايتها عالميا، وترجمت تلك الحقوق إلى 500 لغة[66].

ويتألف الإعلان العالمي لحقوق الإنسان من مقدمة وثلاثين مادة، كرس فيها حقوق المساواة والحرية والسلامة البدنية، ففي المقدمة ذكرت الأسباب التي دفعت الدول الأعضاء لإصدار مثل هذا الإعلان، وذلك بالإشارة إلى الاعتراف بالكرامة المتأصلة بين جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية...كما أن الجمعية تنادي كل فرد وهيئة في المجتمع إلى تعزيز احترام هذه الحقوق والحريات عن طريق التعليم والتربية واتخاذ إجراءات قومية وعالمية لضمان الاعتراف بها ومراعاتها بين الدول الأعضاء ذاتها والشعوب الخاضعة لسلطتها[67].

وتشير المادة 1 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي اعتمدته الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام 1948 إلى الدعائم الأساسية التي يرتكز عليها نظام حقوق الإنسان، ألا وهي الحرية والمساواة والتضامن. فإن حقوق الإنسان تحمي الحريات، مثل حرية الفكر والوجدان والدين وكذلك حرية الرأي والتعبير، وتضمن حقوق الإنسان والمساواة مثل؛ الحماية المتساوية من جميع أشكال التمييز في التمتع بجميع حقوق الإنسان، بما في ذلك المساواة التامة بين النساء والرجال. أما التضامن فيشير إلى الحقوق الاقتصادية والاجتماعية مثل؛ الحق في الضمان الاجتماعي والحق في الحصول على الأجر العادل وعلى المستوى المناسب للحياة والصحة، والحق في الحصول على التعليم ويجري بيان هذه الحقوق تفصيلا تحت خمسة عناوين باعتباره؛ الحقوق السياسية، المدنية، الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية، التي تم تعريفها قانونا في صورة عهدين متوازيين يسيران جنبا إلى جنب لكي يكونا مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان[68].

وينص الميثاق في الجانب المتعلق بحرية الصحافة في مادته التاسعة عشرة على أنه "لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقييد بالحدود الجغرافية."

---

[66] الموقع الخاص بالأمم المتحدة https://www.un.org/ar/universal-declaration-human-rights/index.html تم الاضطلاع عليه في 2019_05_18.

[67] شفيق السمائري، حقوق الإنسان في المواثيق والاتفاقيات الدولية، دار المعتز للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 2015 ص 151.

[68] المرجع نفسه ص23-24.

وبالتالي فإن تلك الوثيقة وضعت المسؤولية المطلقة عن انتهاكات حقوق الإنسان على عاتق الحكومات، وهكذا أسقطت المفاهيم العالمة لحقوق الإنسان المرتكزة على مفاهيم إنسانية عامة، وحولتها إلى مفاهيم قانونية تتحدد بموجبها المسؤولية الإنسانية للدولة تجاه مواطنيها[69].

فعلى المستوى الدولي فإن ما جاء في مضمون الإعلان العالمي كان السبب في إدانة العديد من تصرفات الدول المنافية لحقوق الإنسان، باعتبار أن هذه التصرفات تعتبر انتهاكا للقانون الدولي، كما أن كثيرا من المعاهدات الدولية قد فصلت القواعد الواردة في الإعلان العالمي ورددتها في ديباجتها وجعلت منها أساسا للتنظيم التشريعي الذي أرسته.

وبغض النظر عن الظروف التي رافقت إصدار الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وانعدام الصفة الإلزامية فيه، إلا أنه يعد خطوة هامة في تاريخ البشرية، لجمعه الدول كافة بمختلف اتجاهاتها الإيديولوجية والفكرية في أن تتبنى مبادئ محددة شكلت اللبنة الأولى لوثائق قانونية دولية أخرى تلتزم بها الدول وتطبقها على شعوبها بشكل منصف وعادل[70].

العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية:

يعتبر العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية إلى جانب العهد الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بمثابة الوثائق التفصيلية والتطبيقية للإعلان العالمي لحقوق الإنسان، حيث أن كلا من العهدين الصادرين عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في 16 شتنبر 1966، يعتبر أن المعاهدات الدولية الجماعية واجبة التطبيق والتنفيذ وملزمة لكافة الدول الموقعة عليها.

وقد نص العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية على إنشاء لجنة خاصة بحقوق الإنسان تتخذ من جنيف مقرا لها، وتعمل باستقلالية في إطار هيئة الأمم المتحدة لمتابعة تنفيذ العهد الدولي والالتزام به، وتلقي أية شكاوى بشأن أي مخالفة أو انتهاك لنصوصه والتحقيق في ذلك، وإعلام المنظمة الدولية بما يلزم.

وبذلك فإن العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية يعتبر وثيقة قانونية دولية ملزمة لكافة الدول الأطراف فيه تتعهد "باحترام الحقوق المعترف بها فيه، وبكفالة هذه الحقوق لجميع الأفراد الموجودين في إقليمها والداخلين في ولايتها دون أي تمييز".[71]

وقد نص هذا العهد على ضرورة احترام حرية الصحافة وحرية التعبير عن الرأي بكافة الوسائل، على اعتبار أن ذلك أحد أهم الحقوق المدنية والسياسية للأفراد والتي يجب على الدولة أن تكفلها وتحميها، ولا تفرض عليها أية قيود أو مضايقات، حيث نصت المادة 19 من العهد على أن:

- لكل إنسان حق في اعتناق آراء دون مضايقة.

[69] أمل المرشدي، بحث قانوني عن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، موقع محاماة 27 شتنبر 2016 www.mohamah.net/law تاريخ الاطلاع 2019/05/08.

[70] المرجع نفسه ص 158 _160

[71] علاء العلاونة/ عبيدة فارس/ محمد عايش/ بثينة محدين/ عماد عباهرة، دراسات في حقوق الإنسان، دار الخليج للصحافة والنشر، الطبعة الأولى 2017 ص 67.

- لكل إنسان حق في حرية التعبير، ويشمل هذا الحق حريته في التماس مختلف ضروب المعلومات والأفكار وتلقيها ونقلها إلى الآخرين دونما اعتبار للحدود، سواء على شكل مكتوب أو مطبوع أو في قالب فني أو بأية وسيلة يختارها.

فكل فرد من حقه أن يمارس التعبير عن رأيه، وبث أفكاره ومعتقداته، بكافة الطرق والوسائل التي يرغب في استخدامها، وهذا حق مطلق للأفراد والجماعات على حد سواء، لا يجوز لأحد بما في ذلك الدول والحكومات أن تفرض عليه أية قيود أو عوائق، إلا ما أوردته المادة 19 من العهد الدولي، وهو أن هذا حق مطلق للجميع شريطة احترام حقوق الآخرين وسمعتهم، وعدم المساس بالأمن القومي، أو النظام العام أو الصحة أو الآداب العامة، وفي كافة هذه الحالات يمكن وضع قيود محدودة في هذا الإطار، على أن تكون قيودا بالقانون[72].

لقد تكفل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، بضمان حرية الفكر والمعتقد والرأي والتعبير باستخدام كافة الوسائل، ويمكن اعتبار حرية الإعلام والصحافة هي الامتداد الطبيعي لهذه الحريات.

وبذلك فلا يجوز لحال من الأحوال فرض أي قيود على حرية الصحافة، وقفا لهذه النصوص إلا في سياق القيود الواردة في المادة 19 من العهد الدولي، وهذه القيود لا تفرض إلا بقانون، وليس بإجراءات تعسفية أو قرارات إدارية.

والجدير بالذكر أن المغرب هو أحد الدول التي وقعت وصادقت على العهد الدولي، وبالتالي فإن الحكومة المغربية ملزمة دوليا بما جاء فيه، وفقا للمادة الثانية من العهد التي تلزم الدول الأطراف فيه بالعمل بما جاء به، وبما ينسجم مع الحقوق الواردة في العهد.

المطلب الثاني: حرية الصحافة في المواثيق الإقليمية لحقوق الإنسان:

بدورها سعت المواثيق الإقليمية لحقوق الإنسان في ضمان حق حرية التعبير من خلال تكريسه في عدة مواد، سواء في الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان التي كانت أولى هذه النصوص، أو في الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان، وبعدها الميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب، وأيضا الميثاق العربي لحقوق الإنسان، فقد بذلت جهود كبيرة على المستوى الإقليمي فيما يضمن حقوق الإنسان، بما فيها الحق في حرية الرأي والتعبير.

<u>الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان:</u>

من الاتفاقيات الأخرى الهامة في تاريخ حماية وضمان حقوق الإنسان، والتي عقدت من قبل 15 دولة أوروبية، وأبرمت من أجل تعزيز حقوق الإنسان وتم التوقيع عليها في روما بتاريخ 1950/11/04 من قبل الدول الأعضاء في المجلس الأوروبي وأصبحت سارية المفعول اعتبارا من 3 شتنبر 1953 متألفة من 66 مادة بالإضافة إلى الديباجة[73].

وتنص هذه الاتفاقية في المادة العاشرة على حرية التعبير:

- لكل شخص الحق في حرية التعبير، ويشمل هذا الحق حرية الرأي وحرية تلقي أو نقل المعلومات أو الأفكار من دون أن يحصل تدخل من السلطات العامة.

[72] المرجع نفسه، ص 68.
[73] ده شتي صديق محمد، دور المنظمات غير الحكومية في ضمان حقوق الإنسان، الطبعة الأولى 2016 ص 62_63.

- يجوز إخضاع ممارسة هذه الحريات وما تشمله من واجبات ومسؤوليات، لبعض المعاملات أو الشروط أو القيود أو العقوبات المنصوص عليها في القانون، والتي تشكل تدابير ضرورية في المجتمع الديمقراطي للأمن الوطني أو سلامة الأراضي أو السلامة العامة أو حماية النظام ومنع الجريمة أو لحماية الصحة أو الأخلاق، أو لحماية سمعة الغير أو حقوقه، أو لمنع الكشف عن معلومات سرية، أو لضمان سلطة القضاء ونزاهته[74].

وقد ركزت المادة 10 من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان على نقطتين أساسيتين ألا وهما حرية الحصول على المعلومات "يشمل هذا الحق حرية تلقي..." وأيضا حرية بث المعلومات والأفكار " أو نقل المعلومات والأفكار من دون أن يحصل تدخل من السلطات العامة..." لكنها لم تنص على حرية البحث عن المعلومات، فهل يعني ذلك بأن هذه الاتفاقية لا تحمي هذه الحرية؟

كان موقف القانون الأوروبي واضحا من وجود مثل هذه الثغرة في الاتفاقية الأوروبية. ولكن أجمع رجال هذا القانون في المقابل على أن حرية البحث عن المعلومات هي جزء أساس من حرية التعبير، وأن على الدول واجب فتح المجال للبحث عن المعلومات من مختلف مصادرها، وعليها أن تسهل أيضا هذا البحث إن كانت تدعو له المصلحة العامة[75].

الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان:

اعتمدت الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان عام 1969، وتم التوقيع عليها في سان خوسيه بجمهورية كوستاريكا، بلغ عدد الدول الأطراف فيها 24 دولة إثر انسحاب ترينيداد وتوباغو من المعاهدة، وعززت لجنة البلدان الأمريكية لحقوق الإنسان التي وجدت منذ عام 1960 ودخلت حيز التنفيذ عام 1998 بوصفها "كيانا يتمتع بالاستقلال الذاتي تابعا لمنظمة الدول الأمريكية". وأصبحت هذه اللجنة ذراع تعاقدي ومحكمة البلدان الأمريكية لحقوق الإنسان وتتمتع باختصاص فيما يتعلق بالمسائل المتصلة بالوفاء بالالتزامات التي قطعتها على نفسها الدول الأطراف في الاتفاقية[76].

تتعهد الدول الأطراف في الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان باحترام الحقوق والحريات المعترف بها في هذه الاتفاقية وبأن تكفل لجميع الأشخاص الخاضعين لولايتها حرية الممارسة الكاملة لتلك الحقوق والحريات دون أي تمييز.

أما الحقوق المدنية والسياسية التي تضمنها الاتفاقية فهي تشمل مجموعة من الحقوق من بينها الحق في حرية التفكير والتعبير، كما جاء في المادة13؛ " لكل إنسان الحق في حرية الفكر والتعبير، ويشمل هذا الحق حريته في البحث عن مختلف أنواع المعلومات والأفكار وتلقيها ونقلها إلى الآخرين، دونما اعتبار للحدود، سواء؛ كتابة، طباعة أو في قالب فني أو بأية وسيلة يختارها".

---

[74] المادة 10 من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان.

[75] G. Malinverni, "Freedom of information in the European Convention on Human Rights and in the International Covenant on Civil and Political Rights", Human Rights Law Journal, vol. 4, n° 4, 1983, p. 448.

[76] الفصل الثالث من صكوك حقوق الإنسان الإقليمية الرئيسية وآليات تنفيذها ص 74.

وتضيف الفقرة الثالثة من نفس المادة أنه لا يجوز تقييد حق التعبير بأساليب أو وسائل غير مباشرة، كالتعسف في استعمال الإشراف الحكومي أو غير الرسمي على ورق الصحف، أو تردد موجات الإرسال الإذاعية أو التلفزيونية، أو الآلات أو الأجهزة المستعملة في نشر المعلومات، أو بأية وسيلة أخرى من شأنها أن تعرقل نقل الأفكار والآراء وتداولها وانتشارها.

وإذا كانت الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان لم تتطرق في مادتها 10 إلى حرية البحث عن المعلومات، فإن الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان أولت لها أهمية وشملتها بالحماية الصريحة الواضحة[77].

وتتميز الاتفاقية الأمريكية فيما يخص حرية بث المعلومات والأفكار، ما نصت عليه الفقرة 5 من المادة 13 من اعتبار "أية دعاية للحرب وأية دعوة للكراهية القومية أو العرقية أو الدينية... أو الأصل القومي جريمة"، وبالتالي فإذا تضمنت الأفكار أو احتوت المعلومات أية دعاية من هذا النوع، سواء ثم نقلها أو بثها أو إذاعتها عن طريق وسائل الإعلام المختلفة أو نشرها في الصحف مثلا فهي تعتبر "جرائم يعاقب عليها القانون"[78].

وتطرقت الاتفاقية الأمريكية في مادتها 13 إلى حرية الفكر والتعبير، وأن لكل متضرر من ممارسة هذه الحرية لأي سبب من الأسباب حق الرد[79].

وعموما فالاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان دافعت بدورها عن حرية الرأي والتعبير وكذا حرية الإعلان وتلقي المعلومات ونقلها والبحث عنها دون قيود.

الاتفاقية الافريقية لحقوق الإنسان:

تعود فكرة الميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب إلى مشروع قرار طرحته دولة السنغال مطالبة بعقد اجتماع لخبراء في حقوق الإنسان يكلفون بوضع الميثاق الإفريقي في دكار عاصمة السنغال فيها توصلوا إلى إعداد مشروع ميثاق قدم في مؤتمر القمة السادس عشر الذي عقد في نيروبي عاصمة كينيا وتم اعتماد المشروع بقرار القمة المؤرخ 1981/06/28، ولم تتم المصادقة عليه إلا بعد مرور خمس سنوات ودخل حيز التنفيذ في 21 أكتوبر سنة 1986 بعد حصوله على موافقة أكثر من نصف الدول الأعضاء في المنظمة البالغ عددهم 51 دولة في منظمة الوحدة الإفريقية[80].

يتكون الميثاق الإفريقي الذي أقره مؤتمر رؤساء الدول والحكومات من ديباجة 68 مادة مقسمة إلى ثلاثة أجزاء يتضمن الجزء الأول الحقوق والواجبات مقسم على بابين يحدد أولهما حقوق الإنسان والشعوب في المواد من 1 إلى 26 فيما تنص ثانيها على الواجبات من المواد 27 إلى 29، أما الجزء الثاني فيتضمن تدابير الحماية في المادة 30 إلى 36 في الوقت الذي يهتم فيه الجزء الثالث والأخير بالأحكام العامة من المادة 64إلى 68[81].

وينص الميثاق في المادة السادسة أنه "لكل فرد الحق في الحرية والأمن الشخصي ولا يجوز حرمان أي شخص من حريته إلا في حالات يحددها القانون سلفا..."

---

[77] محمد عطا الله شعبان، حرية الإعلام في القانون الدولي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية 2007، ص 10.
[78] المصدر نفسه ص11.
[79] المصدر نفسه ص12.
[80] سامي سالم الحاج، المفاهيم القانونية لحقوق الإنسان عبر الزمان والمكان، الطبعة الثالثة، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2004، ص 333_334.
[81] شتي صديق محمد، مرجع سابق ص 68.

كما ينص في مادته التاسعة على أنه:

- من حق كل فرد أن يحصل على المعلومات.
- يحق لكل إنسان أن يعبر عن أفكاره وينشرها في إطار القوانين واللوائح.

فقد نص الميثاق الإفريقي بدوره عن الحريات عموما وحرية التعبير عن الأفكار والحق في الحصول على المعلومات بشكل صريح في المادتين 6 و9.

الميثاق العربي لحقوق الإنسان:

كما هو الحال في البلدان الأوروبية والأمريكية والإفريقية نجد بأن دول العالم العربي ومن خلال جامعة الدول العربية في سنة 1968 أنشأت اللجنة الدائمة لحقوق الإنسان كإحدى اللجان الدائمة المنصوص عليها في المادة 4 من ميثاق الجامعة بوصفها هيئة تمثل الحكومات العربية وأعضائها، يعملون بصفة شخصية وفقا لقرار صادر عن مجلس جامعة الدول العربية يعتبر قرارات اللجنة توصيات ترفع إلى مجلس الجامعة للمصادقة أو الإلغاء[82].

في بيروت عام 1968 عقد مؤتمر إقليمي عربي حول حقوق الإنسان ليصدر توصية بتكليف لجنة خبراء لوضع إعلان عربي لحقوق الإنسان، حددت مهام اللجنة في دورتها الثامنة في 1969/04/26 وصادق عليها المجلس في 1969/09/11 وتتلخص هذه المهمات في "وضع حقوق الإنسان في الدول العربية ضمن الاهتمامات الوطنية الأساسية، التي تجعل من حقوق الإنسان مثلا ساميا وأساسيا..."

وينص الميثاق العربي لحقوق الإنسان في مادته الثانية والثلاثون على ما يلي[83]:

- يضمن هذا الميثاق الحق في الإعلام وحرية الرأي والتعبير، وكذلك الحق في استقاء الأنباء والأفكار وتلقيها ونقلها إلى الآخرين بأي وسيلة، ودونما اعتبار للحدود الجغرافية.
- تمارس هذه الحقوق والحريات في إطار المقومات الأساسية للمجتمع، ولا تخضع إلا للقيود التي يفرضها احترام حقوق الآخرين أو سمعتهم أو حماية الأمن الوطني أو النظام العام أو الصحة العامة أو الآداب العامة.

ويتضح لنا مما سبق أن الميثاق العربي لحقوق الإنسان نص بدوره عن الحريات ولم يستثني حرية الرأي والتعبير، وأن هذا الحق متعارف عليه دوليا وإقليميا، وقد أشارت المحكمة الأمريكية لحقوق الإنسان "أن حرية التعبير هي الحجر الأساس الذي يستند إليه النظام الديموقراطي ولا مفر منه لتشكيل الرأي العام"، إلا أن هذه المواثيق جميعها سواء الدولية أو الإقليمية تفتقد لطابع الإلزامية، ما عدا العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية ولكن رغم أنها لا تتسم بطابع الإلزامية إلا أنه لا يجب إنكار أهميتها في ضمان حرية الرأي والتعبير.

المطلب الثالث: حرية الصحافة في المواثيق الوطنية

[82] شتي صديق محمد، مصدر سابق ص 70.
[83] الميثاق العربي لحقوق الإنسان المادة 32.

إن حرية التعبير أصبحت من أهم الحقوق في كافة الدول والمجتمعات التي ترعى وتصون حقوق الإنسان، كونها تنظر لهذا الحق كحق أصيل وثابت، ولا يجوز أن وضع أية قيود أو استثناءات، إلا ما يفرضه القانون والنظام العام والآداب العامة.

علاوة على ما هو منصوص عليه في الاتفاقيات والمواثيق الدولية لحقوق الإنسان، بشأن حق اعتناق الآراء والتعبير عنها بحرية، حرصت كل دساتير الدول الديموقراطية على تأكيد ضمانات دستورية لحرية التعبير وحرية الصحافة، إذ نصت الدساتير والتشريعات الداخلية لسائر الدول على حرية اعتناق الآراء والتعبير عنها.

من أجل توضيح هذا التراوح الموجود في تكريس حرية التعبير والصحافة على الصعيد الدستوري، يمكن الوقوف عند بعض النماذج التي لا تستثني غيرها لنذكر بعض الأحكام بدءا من أكثرها عمومية؛

ففي الدستور التونسي لسنة 1959 في المادة 8 ورد أن " حريات الرأي والتعبير والنشر والاجتماع والجمعية مضمونة وأنها تمارس وفق الشروط المحددة في القانون."

وفي السينغال ينص دستور 1963 في المادة 8 على أن " لكل واحد الحق في التعبير عن آرائه ونشرها بحرية بواسطة الكلمة والقلم والصورة... وتجد هذه الحقوق حدودها في مقتضيات القوانين والأنظمة واحترام شرف الغير".

وينص القانون الأساسي الألماني المؤرخ بتاريخ 23 ماي 1949 في المادة 5 على أن: "لكل واحد الحق في التعبير عن رأيه ونشره بحرية بواسطة الكلمة، الكتابة أو الصورة، وفي الاستخبار بحرية من المصادر المتاحة للعموم، فحرية الصحافة وحرية الإعلام بواسطة الإذاعة والشريط مضمونتان، ولا وجود لأية رقابة".

وبالنسبة لدستور 1949 الهندي، في المادة 19، فإن "لجميع المواطنين الحق في حرية الكلام والتعبير".

وفي الدستور الإسباني لسنة 1978 في المادة 20 ورد " حق التعبير عن الأفكار والآراء ونشرها بحرية بواسطة الكلمة، الكتابة أو أية وسيلة إعادة إنتاج أخرى، والحق في إرسال أو تلقي للخبر الصحيح عبر أية وسيلة نشر".

ولا نستثني الدستور الفرنسي بحكم أن المشرع المغربي يأخذ الكثير من تشريعاته من التجارب الفرنسية، فالدستور الفرنسي يشدد بأهمية على الحق في التعبير عن الآراء التي يسميها عادة "حرية المعلومات"[84].

وتعتبر الدول الإسكندنافية من الدول التي تحتل صدارة مؤشر حرية الصحافة في العالم الذي تصدره منظمة "مراسلون بلا حدود" الدولية حيث جاءت في مقدمتها النرويج وتلتها السويد للسنة الثانية على التوالي[85]، وهذا لم يأت صدفة وإنما لكون هذه البلدان تعتبر حرية الصحافة محددة بكونها حرية للوصول إلى المعلومات أكثر من كونها مظهرا لحرية التعبير، فقد سبق للسويد أن تبنت في 2 ديسمبر 1776 قانونا يسمح للمواطن بالاضطلاع على الوثائق الرسمية إلا إذا كان هناك تحفظات استثنائية.

وتعتبر الصحف اليومية سلعة أساسية في النرويج، لمساهمتها ليس فقط في العمل من أجل الديموقراطية، ولكن أيضا لمساهمتها في الحياة الثقافية، فالنرويج لديها على الأرجح أكبر عدد من الصحف اليومية في أوروبا.

---

[84] نزار أيوب، مقالة بعنوان حرية الرأي والتعبير في الدساتير والفقه الأوروبي نشرت في 1 من أكتوبر 2017 https://geiroon.net/archives/96496 تاريخ الاضطلاع 2019/05/24.

[85] تقرير صادر عن منظمة مراسلون بلا حدود سنة 2019.

وللحفاظ على استدامة هذه الصحف، طورت الترويج نظام الموارد القائمة على الاستهلاك للدعم العام، وذلك في شكل من أشكال الدعم للصحافة، عن طريق الإعلانات الحكومية والمنح المباشرة، وترتيبات القروض والتوزيع الأرخص.

خاتمة

يتضح مما سبق أن مفهوم الحرية شاسع ولا يستقر عند مفهوم موحد بل يختلف باختلاف المصدر والزمان والمكان، والأوضاع السياسية في كل مجتمع، وأن حرية الصحافة مفهوم يتجاوز الإطار الضيق الذي يتم حصره فيه في الكثير من الأحيان، لأن ممارسة هذه الحرية لا يمكن أن تتم بشكل جدي، إلا إذا توفرت مجمل الشروط، من ضمانات لحرية التعبير، احترام للتعددية السياسية والثقافية والإيديولوجية، وتوفير الحق في الحصول على المعلومات.

وعليه، فإن الوضع المقبول لحرية الصحافة هو أن تعمل في بيئة قانونية واضحة المعالم تسمح للمهنيين الاشتغال بكل أريحية، لأن للصحافة دور أساسي في تقوية البناء الديمقراطي عبر توفير فضاءات ذات مصداقية، لممارسة الاختلاف، وإغناء النقاش السياسي بشكل جدي ومسؤول وتطوير حرية الفكر والعقل النقدي.

وبالفعل أخذت حرية الصحافة نصيبا هاما من العناية الدولية لوضع آليات ملائمة وفعالة تكفل حرية الصحافة عبر اتفاقيات دولية وإقليمية وآليات تقوم على حماية وتعزيز حقوق الإنسان، وتضمن وفاء الدول بالالتزامات الناتجة عن انضمامها إلى هذه الاتفاقيات، إلا أن ما يعاب على هذه الآليات افتقادها إلى صفة الإلزام.

وإذا كان المغرب قد نهج بعد الاستقلال سياسة مرنة ومنح الصحافة فضاء واسعا من الحرية على شاكلة البلدان الليبرالية، فإنه سرعان ما تم تدريجيا تقليصها، وهو ما يتجسد من خلال المراتب المتأخرة التي يحتلها المغرب في التقارير الدولية حول حرية صحافته.

لائحة المراجع:

الكتب:

- ✓ محمد الركراكي، الصحافة المكتوبة بالمغرب بين الإطار التشريعي والبعد السياسي المهني 1958_2016، أطروحة لنيل الدكتوراه، السنة الجامعية 2016_2017.
- ✓ أشرف الراعي، جرائم الصحافة والنشر: الذم والقذف، دار الصقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2010.
- ✓ الطيب بوتبوقالت، الصحافة الأوروبية الصادرة في أواخر القرن التاسع عشر أهميتها وتأثيرها، ضمن كتاب طنجة في التاريخ المعاصر، 1800_1956، طنجة، 1991.
- ✓ العلمي المشيشي، القانون المبني للمجهول، منشورات جمعية تنمية البحوث والدراسات القضائية، الرباط، 1991.
- ✓ جامع بيضا، صحافة طنجة، مرآة للصراع الدولي حول المغرب 1900_1912، ضمن كتاب طنجة في التاريخ المعاصر، 1800_1956، طنجة، 1991.

- ✓ جيهان أحمد رسي، (الأسس العلمية لنظريات الإعلام)، الطبعة 2 ، القاهرة ، دار الفكر العربي، 1978.
- ✓ حسن عماد المكاوي، أخلاقيات العمل الإعلامي، دراسة مقارنة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة 1994.
- ✓ ده شتي صديق محمد، دور المنظمات غير الحكومية في ضمان حقوق الإنسان، الطبعة الأولى 2016.
- ✓ زكريا إبراهيم، مشكلة الحرية، مكتبة مصر، القاهرة، 1971.
- ✓ سامي سالم الحاج، المفاهيم القانونية لحقوق الإنسان عبر الزمان والمكان، الطبعة الثالثة، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2004.
- ✓ شفيق السمائري، حقوق الإنسان في المواثيق والاتفاقيات الدولية،دار المعتز للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 2015.
- ✓ طلعت هشام، مائة سؤال عن الصحافة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983
- ✓ عبد الوهاب محمد عبده خليل، الصراع بين السلطة والحرية، ص269، جامعة الإسكندرية–كلية الآداب– اقتصاد 2004
- ✓ عبد الله العروي، مفهوم الحرية، المركز الثقافي العربي، ط6، الدار البيضاء2002.
- ✓ عثمان بنشقرون، رواد الصحافة الوطنية في طنجة، مطبعة الشمس، طنجة، 2012.
- ✓ عزام محمد علي الجويلي، القواعد الدولية للإعلام، دار معتز للنشر والتوزيع، الأردن عمان، 2014.
- ✓ علاء العلاونة/ عبيدة فارس/ محمد عايش/ بثينة محدين/ عماد عباهرة، دراسات في حقوق الإنسان، دار الخليج للصحافة والنشر، الطبعة الأولى 2017
- ✓ علي عبد الفتاح كنعان، نظريات الإعلام، اليازوري للطباعة والنشر.
- ✓ علي كريمي، قوانين الإعلام المكتوب في دول المغرب العربي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، اسيسكو_2011، الرباط.
- ✓ منير ممدوح الشامي، صلاح محمد عبد الحميد، الإعلام السياسي، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع.
- ✓ فتحي حسين عامر، تاريخ الصحافة العربية، 2014
- ✓ كريم يوسف كشاكش، الحريات العامة في الأنظمة السياسية المعاصرة، دار المعارف في الإسكندرية، 1987
- ✓ ماجد راغب الحلو، القانون الدستوري، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية،1986،

- ✓ محمد صاحب سلطان، وسائل الإعلام والاتصال، دراسة في النشأة والتطور، دار الحيرة، الطبعة الأولى، 2012.محمد عطا الله شعبان، حرية الإعلام في القانون الدولي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية 2007.
- ✓ مرشد عبد صافي، الحرية في الصحافة والإعلام، الجناردية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2017.
- ✓ نوال عبد الرحيم إسماعي، الأسس والقواعد الدولية لمنهجية الإعلام، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.
- ✓ همام طلحت، موسوعة الإعلام والصحافة (مئة سؤال عن الصحافة) الطبعة 2، دار الفرقان للنشر، الأردن، 1988.

- ✓ **أطروحات ودراسات**

- ✓ محمد الركراكي، بحث الدوكتراه بعنوان: الصحافة المكتوبة بالمغرب بين الإطار التشريعي والبعد السياسي المهني (1958_2016)، جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس – فاس: 2017_2018.
- ✓ أحمد الوحيدي، قانون الصحافة بين التشريع بالمغرب والمعايير الدولية، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة محمد الخامس أكدال الرباط، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، السنة الجامعية 2014 / 2015.

- ✓ **المقالات وبلاغات:**

- ✓ أمل المرشدي، الحقوق والحريات في الدساتير المغاربية، موقع محاماه نت، نشر بتاريخ 13 أكتوبر 2016 www.mohamah.net/law/الحقوق-والحريات-الأساسية-في-الدساتير/ تم الاضطلاع عليه بتاريخ 2016/06/13
- ✓ جمال كريمي بنشقرون، حضور الإعلام في الدستور المغربي، موقع جريدة البيان، http://bayanealyaoume.press.ma/حضور-الإعلام-في-الدستور-المغربي تم الاضطلاع عليه بتاريخ 2019/06/13.
- ✓ عبد السلام النويكة، حول تاريخ الصحافة المغربية المكتوبة، مجلة حوار المتمدن، العدد 5965، 08.12.2016[1].
- ✓ منشورات اليونيسكو، الاتجاهات العالمية في حرية التعبير وتنمية وسائل الإعلام: تركيز خاص على الوسائل الرقمية
- ✓ محمد الطاهري، عميد الصحافيين المغاربة يستذكر صحافة بلاده في الرباط، موقع رأي اليوم /عميد-الصحافيين-المغاربة-يستذكر-تاريخ/https://www.raialyoum.com/index.php الاطلاع بتاريخ: 25.04.2019
- ✓ مقالة في الحرية، عزمي بشارة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،

- ✓ نزار أيوب، مقالة بعنوان حرية الرأي والتعبير في الدساتير والفقه الأوروبي نشرت في 1 من أكتوبر 2017 https://geiroon.net/archives/96496 تاريخ الاضطلاع 2019/05/24.

المعاجم بالعربية والفرنسية:

- ✓ [1]انظر: لسان العرب: ابن منظور،4_ 181[1]
- ✓ المعجم الوجيز، معجم اللغة العربية، طبعة 2000، ص 360
- ✓ La Rousse dictionnaire de français, Euro livres Amanche court, mai, P 234[1]

المراجع بالفرنسية:

- ✓ G. Malinverni, "Freedom of information in the European Convention on Human Rights and in the International Covenant on Civil and Political Rights", Human Rights Law Journal, vol. 4, n° 4, 1983.
- ✓ Nadjoh chama, ocford word powet, third edition, oxford university press, London, 2008.
- ✓ Rolland de Reougerve, l'application du droit d'auteur en matière de presse en France,Paris, 2 1988.

المواقع الإلكترونية:

- ✓ الموقع الخاص بالأمم المتحدة https://www.un.org/ar/universal-declaration-human-rights/index.html تم الاضطلاع عليه في 2019_05_18
- ✓ الموقع الخاص بمنظمة مراسلون بلا حدود، https://rsf.org/ar/news/-71 تم الاضطلاع عليه بتاريخ 23.06.2019
- ✓ محمد علي الركراكي، قانون الحق في الحصول على المعلومة نُشر بتاريخ : 07-03-2019 https://ar.hibapress.com/details-134389.html تم الاضطلاع عليه بتاريخ 19.06.2019.

"مداخل نظرية في تعريف الإعلام الجديد"

"Theoretical Approaches to Defining New Media"

حسام الكاوزي
باحث في سلك الدكتوراه: تكوين الصحافة والإعلام الحديث،
جامعة ابن طفيل / القنيطرة

ملخص:
تحاول هذه الورقة البحثية الخوض في مغامرة تعريف الإعلام الجديد من خلال مجموعة من المداخل، نسلط عبرها الضوء على بعض المجهودات النظرية التي تسعى لتوضيح أوجه التشابه والاختلاف والتقاطع بين الجديد والتقليدي كتوصيفات لحقل الإعلام. تتجه مختلف التعريفات إلى تعريف الإعلام الجديد من زاويتين هي "التقنية" و"المحتوى"، دون إغفال الدينامية المستمرة في مجال الإعلام والتنامي المتصاعد لخاصية التفاعلية. يتناول المقال أيضًا مقارنة بين الإعلام التقليدي والجديد، مشيرًا إلى التحولات في سياق الانتقال من تقديم المعلومات إلى تفاعلية أكثر ومشاركة المحتوى.

Abstract :
This research paper endeavors to delve into the adventure of defining new media through various perspectives. Shedding light on theoretical efforts that seek to elucidate the similarities, differences, and intersections between the new and the traditional media. These definitions tend to characterize new media from two angles: "technology" and "content," while recognizing the ongoing dynamism in the field of media and the escalating growth of interactivity. The article also addresses a comparison between traditional and new media, highlighting the transitions in the context of shifting from information presentation to heightened interactivity and content sharing.

مقدمة:

إن السمة الرئيسة التي تسم عصرنا الحالي، بفضل التطور التكنولوجي، هي أنه عصر التواصل". ما من وصف أدق من هذا الذي قدمه أستاذ الصحافة والإعلام الأردني عصام سليمان الموسى للتحول الكبير الذي يعيشه العالم خلال العقود الأخيرة، بعد التطورات التكنولوجية المتتالية والمتسارعة التي جعلت منه قرية صغيرة على حد تعبير المنظر الكندي مارشال ماكلوهان. [86]

[86] هربرت مارشال ماكلوهان، ولد في 21 يوليوز 1911 في مدينة إدمونتون، وتوفي في 31 دجنبر 1980 في تورنتو. مفكر كندي، اشتغل كأستاذ للأدب الإنجليزي واهتم بالبحث في نظريات الإعلام والاتصال، ويعتبر من مؤسسي ورائدي الدراسات الإعلامية المعاصرة.

فمنذ القدم، أدرك الإنسان حاجته للاتصال كفرد يرغب في التعبير عن ذاته، وتبادل الآراء والأفكار مع الناس من حوله، وكانت هذه الرغبة حافزا قويا لتطوير الاتصال ووسائله وأساليبه. لكن هذا التطور استغرق آلاف السنين، إذ كانت رحلة مضنية ومثمرة، عكست تظافر الجهود الإنسانية التي شاركت فيها مختلف الحضارات والشعوب، مستفيدة من خبرات بعضها البعض. وبقي انتشار المعرفة محدودا، على نطاق ضيق نسبيا حتى منتصف القرن الخامس عشر، حين تم اختراع المطبعة على يد غوتنبرغ، وتعتبر هذه المرحلة فاصلة في تاريخ الإعلام والاتصال، بحيث أعلنت بداية عهد جديد أطلق عليه "عهد الاتصال الجماهيري"، عرف انتشارا واسعا للمعلومات والأخبار، من خلال انتشار الصحف والكتب والمجلات. وقد كانت لهذا التطور الكبير آنذاك مكاسب عديدة على المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية، فالمطبعة أتاحت مشاركة أكبر للأفكار والآراء والمعارف والمعلومات، بشكل مادي وملموس، ومحفوظ على الورق، فكان من نتائجها خلق حلقة وصل بين الدول والشعوب، وتوجه الإنسان نحو التخصص والبحث، وبالتالي تسارع عملية الإنتاج .

لكن سعي الإنسان الدؤوب نحو تسهيل عملية الاتصال، قاده لاختراع أجهزة جديدة قادرة على نقل الرموز عبر الأثير مباشرة. وكان اختراع التلغراف والهاتف في القرن الماضي مقدمة لبداية "عصر الاتصال الإلكتروني" الذي أدى إلى تطوير تقنية اتصالية غاية في الدقة والفعالية، تجلت في اختراع المذياع والتلفزيون، الذين عرفا انتشارا واسعا في القرن الماضي بفضل ما وفراه من سرعة في نقل الأخبار لحظة وقوعها بالصوت والصورة، علاوة على تأثيرهما في حياة الإنسان والمجتمع.[87] وكان الفيلسوف والمفكر مارشال ماكلوهان قد أطلق على المرحلة التي أعقبت سنة 1900، وصف "عصر الاتصال الإلكتروني"، وهي في تقديره رابع مرحلة مرت بها الإنسانية من حيث الاتصال والتواصل، الأولى كانت المرحلة الشفوية، والثانية مرحلة الكتابة، أما الثالثة مرحلة الطباعة مع مطبعة غوتنبرغ في القرن 15م.[88]

ولقد أفضى التطور التكنولوجي الذي شهده ميدان الإعلام والاتصال خلال السنوات الأخيرة، إلى ظهور أنماط جديدة ومبتكرة أسهمت في التأسيس لتغيير بنيوي على آلية وهيكلة سريان الاتصال وتوصيف عناصره الأساسية والثانوية والعلاقات التبادلية بينها .

لكن الانقلاب الحقيقي جاء مع اختراع الإنترنت في النصف الثاني من القرن العشرين. غيرت الشبكة العالمية منطقة الاتصال والمعلومات بشكل كامل. أصبح بإمكان الناس التواصل ونقل المعلومات عبر الزمن والمكان بسهولة، وأصبح للأفراد القدرة على إنتاج المحتوى الإعلامي ونشره على نطاق واسع.

يعتبر هذا التطور التكنولوجي، وما تلاه من تطور لوسائل الإعلام، من أهم الظواهر التي شهدتها البشرية على مر العصور. ولكن الاهتمام العلمي بدراسة هذه الظاهرة وتأثيرها لم يبدأ في التوسع حتى القرن العشرين.

ويذهب الباحثون في مجال الإعلام والاتصال، إلى دراسة التطور التاريخي لهذا المجال عبر عرض مراحل تطور هذه الوسائل: الطباعة والإذاعة والتلفزيون والإنترنت، بحيث كتبت حولها بحوث ونظريات عديدة. إلا أن القاسم المشترك بين هذه الوسائل، أنها كانت نتيجة لتطور تكنولوجي متدرج، وقد وصفت عند ظهورها بالجديدة والحديثة، لكونها ببساطة شديدة تحمل شيئا من الجدة على مستوى التقنية والمحتوى والانتشار مقارنة بالوسيلة التي سبقتها. كما تتشارك جميعها اليوم، في وصفها بـ "التقليدية"، هذا الوصف اخترق البحوث الأكاديمية والمقالات الإعلامية المتخصصة. وجاءت هذه

[87] عصام سليمان موسى: المدخل في الاتصال الجماهيري، دار ومكتبة الكتاني للنشر، الأردن، 1995، الطبعة الثالثة، ص14
[88] جيهان رشتي: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1985، ص348

التسمية(الوصف) لتمييزها عن الوسائل الجديدة التي ظهرت خلال نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي، والتي تسمى بدورها، "وسائل الإعلام الجديد".

من هذا المنطلق تهدف هذه الورقة البحثية إلى تأطير ورسم حدود الإعلام الجديد كمفهوم، مستعينة في ذلك بالمداخل النظرية التي اجتهد في وضعها المنظرون والباحثين في حقل الإعلام والاتصال. ولهذا الغرض سنعمل أولا على كشف الغموض الذي يلف مصطلح "الجديد"، قبل استعراض مجموعة من التعريفات التي تناولت الإعلام الجديد من زاويتين أساسيتين، الأولى هي زاوية التقنية، والثانية تتعلق بالمحتوى والتغيير الذي حملته هذه الوسائل على هذا الأخير، قبل أن نرصد صور التشابه والاختلاف والتقاطع بين الإعلام الجديد والتقليدي، ومدى صلابة الحدود القائمة بين المفهومين.

1. الإعلام الجديد: بين غموض المصطلح وشساعة المفهوم

لعل أول ما يثير الاهتمام عند الحديث عن هذا الإعلام الجديد، كمفهوم حديث في حقل الإعلام والاتصال، هو الإشكال المفاهيمي الذي يطرحه المصطلح نفسه. فأكثر ما يستوقف الباحثين هو غموض مصطلح "الجديد" وتعريفه.

في كتابها حول وسائل الإعلام الجديدة والناشطة، أبدت الباحثة والأستاذة الأمريكية في الإعلام والتواصل ليا ليفرو Leah A. Lievrouw ملاحظات مهمة ودقيقة حول هذا الجانب، إذ ترى أن مصطلح الإعلام الجديد أصبح شيئا من الدارج الثقافي، غالبا ما يستخدمه الناس دون فكرة واضحة عن معانيه ومضامينه[89].

من جهته يتساءل الدكتور عباس مصطفى صادق، إن كان العالم يعيش فعلا مرحلة الإعلام الجديد؟ أم أنها مرحلة تتجدد باستمرار لمرات عديدة تطبيقا لانتقالات مارشال ماكلوهان في فكرة الحتمية التكنولوجية؟ أم أن الإعلام الجديد يعكس حالة تغيير شامل في نظم الاتصال بعد اختراع الحاسوب وظهور الانترنت؟[90]

بدأت تتضح ملامح هذا التغيير منذ تسعينيات القرن الماضي، وهي الفترة الزمنية التي حددها بعض الباحثين كمحطة انشطر خلالها المشهد الإعلامي والاتصالي إلى عالمين متجاذبين، حيث لم تعد السيادة للجريدة والإذاعة والتلفزيون، بعد ظهور وسائل جديدة لنقل الخبر والمعلومات. هذه الوسائل الجديدة استطاعت شق طريقها بسرعة نحو الانتشار، حتى أصبح شيوعها واستهلاكها مؤشرا على ميلاد عصر جديد، تطلق عليه اصطلاحات عديدة: الإعلام الجديد، الإعلام الرقمي، العالم الافتراضي، الاتصال الإلكتروني ومجتمع المعرفة، وهي كلها تعبيرات عن ظاهرة اتصالية واحدة.[91]

تذهب العديد من الكتابات للقول بأن مجال الإعلام والاتصال من بين المجالات التي تحولت بشكل جذري خلال العقدين الأخيرين، وكان لها تأثير بالغ على الحياة اليومية للإنسان. فمصطلح الإعلام مثلا، الذي كان في منتصف القرن الماضي يشير إلى نقل خبر أو معلومة بسيطة، أصبح اليوم تعبيرا عاما يصف نظاما معقدا يرتقي إلى منزلة "المجتمع".[92] واستحضار "مجتمع المعلومات" هذا يلخص بمفرده المسار الذي قطعه العالم في النصف الأول من القرن، والتطورات التقنية التي حدثت والتحديات الجديدة التي تواجه عالما يتغير تحت تأثير التقنيات الجديدة للاتصال.

---

[89] ليا ليفرو: وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة، ترجمة هبة ربيع، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016، الطبعة الأولى، ص12

[90] عباس مصطفى صادق: الإعلام الجديد، المفاهيم، الوسائل والتطبيقات، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2011، الطبعة الأولى، ص9

[91] عبد الرزاق محمد الدليمي: مدخل إلى وسائل الإعلام الجديد، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2012، الطبعة الأولى، ص175

[92] Seban Alain : « Médias traditionnels, nouveaux médias », Ministère de la culture et de la communication ; 25 Octobre 2004, (Visité le 28 Mars 2022) : https://www.culture.gouv.fr/Media/Thematiques/Audiovisuel/Files/Medias-traditionnels-et-nouveaux-medias-25-10-2004

من جهته يرى الباحث جمال زرن أن اصطلاحات الإعلام الجديد متعددة، لكن خصائصه ودلالته اللغوية لم تتبلور بعد. وبالتالي تجد تسميته بـ "الإعلام الجديد" تفسيرها، ببساطة منهجية، في اختلافه عن وسائل الاتصال القديمة التي سبقته. بحيث نشأت داخل الإعلام الجديد حالة تزامن نادرة وجديدة بين مجموعة من العمليات التي كانت إلى زمن قريب متباعدة، لتصبح عملية بث وإرسال النصوص والصور المتحركة والثابتة والأصوات ممكنة بشكل حر ومجاني.[93]

وبحسب معجم Oxford فإن الإعلام الجديد مصطلح شامل ظهر لأول مرة في ثمانينيات القرن الماضي، يشير بشكل عام إلى الوسائط القائمة على الحاسوب. وينطبق المصطلح على مجموعة واسعة من الظواهر والممارسات من بينها:[94]

- مختلف أشكال الترفيه (ألعاب الفيديو، الإنترنت، العوالم الافتراضية)؛
- الأنماط الجديدة للتواصل (المحادثات النصية، التناظر المرئي، الاجتماعات الافتراضية)؛
- الأساليب المستحدثة للرأي والتعبير (التدوين النصي/السمعي البصري، البث المباشر، التصوير الفوتوغرافي)،
- المجتمع الافتراضي (غرف الدردشة، الشبكات الاجتماعية)؛
- العلاقات الجديدة بين وسائل الإعلام والجمهور (التفاعل، المشاركة، صحافة المواطن، إنتاج المحتوى).

وبحسب نفس المعجم فإن هذا المفهوم يطرح إشكالًا من قبل الكثيرين بسبب التأويلات التي تمنح لمصطلح "الجديد" بأنه يشير إلى ما هو "أفضل"، كما أنه يتعارض مع منطق الزمن/التاريخ لأنه يحجب حقيقة أن جميع وسائل الإعلام جديدة عند تقديمها لأول مرة.[95]

2. التقنية كمدخل لتعريف الإعلام الجديد

لقد أفضى التطور التكنولوجي الذي شهده ميدان الإعلام والاتصال خلال السنوات الأخيرة، إلى ظهور أنماط جديدة ومبتكرة أسهمت في التأسيس لتغيير بنيوي على الية وهيكلة سريان الاتصال وتوصيف عناصره الأساسية والثانوية والعلاقات التبادلية بينها.

فهل يمكن أن نقتصر في تعريفنا للإعلام الجديد على ربطه بالتطورات التكنولوجية الحاصلة في مجال الإعلام والاتصال فقط؟

معظم التعريفات تذهب في هذا الاتجاه.

إن تاريخ الإعلام هو تاريخ تطور تقني بالدرجة الأولى، فبعد مراحل التواصل الشفهي ثم الكتابة فالطباعة التي ظهرت خلال القرن 15م، عرفت القرون اللاحقة ظهور اختراعات وابتكارات متعددة ساهمت بشكل متراكم في الدفع بعجلة الإعلام بشكل خاص والتواصل بشكل عام نحو آفاق أرحب.

---

[93] جمال زرن: الإعلام التقليدي والجديد في سياق تمدد الإعلام الاجتماعي وشبكاته، مقال منشور ضمن كتاب " سُلطة الإعلام الاجتماعي، تأثيراته في المنظومة الإعلامية التقليدية والبيئة السياسية "، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، 2017، ص23

[94] انظر https://www.oxfordreference.com/display/10.1093/oi/authority.20110803100231836 :

[95] المرجع نفسه

ففي عام 1844، قام ساموبل مورس بإرسال أول برقية عبر الكابل الكهربائي بين واشنطن وبالتيمور، مما أعطى دفعة قوية لتطور تكنولوجيا الاتصالات. هذا الاختراع الهام للغاية أثر بشكل كبير على وسائل الإعلام وأسهم في نشوء صناعة الاتصالات الحديثة.

مع تطور الإعلام وظهور وسائل جديدة مثل الإذاعة والتلفزيون، أصبح للإعلام تأثير كبير على حياة الناس. في عام 1920، أجرت شركة "ويستنجهاوس إلكتريك" أول بث إذاعي ناجح في العالم، ومن هنا بدأت صناعة الإذاعة تنمو وتنتشر. كما أدى انتشار التلفزيون في الستينيات والسبعينيات إلى تغييرات كبيرة في الطريقة التي يتفاعل بها الناس مع الأخبار والبرامج التلفزيونية.

لكن الانقلاب الحقيقي جاء مع اختراع الإنترنت في النصف الثاني من القرن العشرين. غيرت الشبكة العالمية منطقة الاتصال والمعلومات بشكل كامل. أصبح بإمكان الناس التواصل ونقل المعلومات عبر الزمن والمكان بسهولة، وأصبح للأفراد القدرة على إنتاج المحتوى الإعلامي ونشره على نطاق واسع.

يعتبر هذا التطور التكنولوجي، وما تلاه من تطور لوسائل الإعلام، من أهم الظواهر التي شهدتها البشرية على مر العصور. ولكن الاهتمام العلمي بدراسة هذه الظاهرة وتأثيرها لم يبدأ في التوسع حتى القرن العشرين.

هناك إجماع في الدراسات والمعاجم وبين صفوف الباحثين على أن الإعلام الجديد مرتبط بشكل وثيق بهذا التطور، يستند هذا الاتجاه إلى الترابط بين الابتكارات التكنولوجية والمشهد الإعلامي المتغير، ومساهمة التطور التكنولوجي في تشكيل طبيعة الإعلام وتحوله إلى وسيلة أكثر فعالية وتأثيراً على المجتمعات.

من بين أبرز الباحثين الذين ساهموا في دفع دراسة التطور التكنولوجي في علاقته بوسائل الإعلام، نجد الفيلسوف والمفكر الكندي مارشال مكلوهان .

في عام 1964، قام مكلوهان بنشر كتابه:

"Understanding Media : The Extensions of Man"

)فهم الوسائل: امتداد الإنسان(

وتناول فيه كيفية تأثير وسائل الإعلام على البشر والمجتمعات. قدم مكلوهان مفهوم "الوسيط الرسالة (The Medium is the Message)" الذي يشير إلى أن طبيعة وسيلة الاتصال نفسها تؤثر على طريقة انتقال المعلومات واستيعابها بشكل أكبر من المحتوى نفسه"[96]. وينطلق ماكلوهان، من نقطة مفادها أن "الوسيط هو الرسالة"، لأن الوسيط هو الذي يشكل ويتحكم في حجم وشكل الارتباط والعمل البشري، باختلاف وتنوع محتوى أو استخدامات هذه الوسائط [97].

ومن هذا المنطلق، فإنه في ظل التقدم التكنولوجي المستمر، أصبح من الواضح أن وسائل الإعلام ليست مجرد وسيلة لنقل المعرفة، بل أصبحت جزءًا من الحياة اليومية للناس. فازداد الاهتمام بدراسة أثر الإعلام على التواصل الاجتماعي وتشكيل

[96] Marshall McLuhan, Understanding Media : The Extensions of Man Paperback – October 20, 1994, page 7
[97] Ibid ; p11

الثقافات وتأثيره على الاقتصاد والسياسة. وظهرت العديد من النظريات والأبحاث الأكاديمية التي تتناول تطور وسائل الإعلام وأثرها في التغيير الاجتماعي والثقافي.

هكذا، تعرف موسوعة وبوبيديا Webopedia[98] الإعلام الجديد بأنه: " مصطلح يشير إلى أشكال التواصل الإلكترونية المختلفة التي أصبحت متاحة من خلال استخدام تكنولوجيا الحاسوب. كما يشير نفس المصطلح، إلى المحتوى المتاح، عند الطلب، عبر الإنترنت."[99]

ويعرف معجم كامبريدج Cambridgeالإعلام الجديد بأنه: "مجمل الخدمات التي توفر المعلومات والأخبار ووسائل الترفيه باستخدام الحاسوب أو الإنترنت، وليس بالطرق التقليدية مثل التلفزيون والصحف."[100]

كما عرفت كلية شيردان Sheridan الإعلام الجديد بأنه: " الإعلام الذي يقدم في شكل رقمي وتفاعلي، ويعتمد على اندماج النص والصورة والفيديو والصوت، فضلا عن استخدام الحاسوب كآلة رئيسة له في عملية الإنتاج والعرض."[101]

وهناك من عرفه بأنه: " مصطلح يستخدم لوصف أشكال التواصل الإلكتروني التي أصبحت ممكنة باستخدام الحاسوب، كمقابل للإعلام القديم الذي يشمل الصحافة المكتوبة من جرائد ومجلات، وإذاعة وتلفزيون وغيرها من الوسائل."[102]

يعرَّف الإعلام الجديد كذلك بأنه مجموع الوسائط الجديدة التي تستخدم التكنولوجيا الحديثة في عملية الإنتاج أو كدعامات للعرض.[103]

ووفقًا للمفكر Lev Manovitch، في كتابه لغة الإعلام الجديد The Language of New Media، فإن الإعلام الجديد يشير إلى الأعمال المنتجة على الوسائط الرقمية (الأشرطة السمعية البصرية، والأقراص المدمجة، والأقراص الصلبة، ومواقع الإنترنت)، ولكن أيضًا إنتاجات الوسائط التقليدية مثل السينما أو التلفزيون المحولة إلى وسائط رقمية لاحتياجات التوزيع.[104]

وإجابة على سؤال: من أين جاء الإعلام الجديد؟ يقول السوسيولوجي الفرنسي والباحث في الإعلام والصحافة شارون جان ماري Charon Jean Marie بأنه حصيلة اندماج تكنولوجيات الاتصال الجديدة والتقليدية، مع جهاز الحاسوب وشبكاته والبث الفضائي والرقمنة.[105]

---

[98] ويبوبيديا هي موسوعة التكنولوجيا عبر الإنترنت، المتخصصة في تكنولوجيا المعلومات والتي توفر تعريفات للكلمات والعبارات والاختصارات المتعلقة بالحاسوب وتكنولوجيا المعلومات، وهي موسوعة مجانية.

[99] New media. In Webopedia. https://www.webopedia.com/definitions/new-media/
تاريخ الزيارة: 2022/03/31

[100] انظر: https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/new-media

[101] صلاح عبد الحميد: الإعلام والثورات العربية، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة،2013، الطبعة الأولى، ص63.

[102] Steve Jones, Encyclopedia of new media: an Essential Reference to communication and technology, sage publication ,2002.
نقلاً عن: عباس مصطفى صادق: الإعلام الجديد دراسة في تحولاته التكنولوجية وخصائصه العامة، مجلة الأكاديمية العربية المفتوحة، الدنمارك، العدد 2، ص171.

[103] Patricia Maincent, Les nouveaux médias, Centre Pompidou, direction des publics, 2011, p2

[104] Simona De Iulio, « Lev Manovich, The Language of New Media », Questions de communication, mis en ligne le 01 décembre 2003, consulté le 31 mars 2023 : http://journals.openedition.org/questionsdecommunication/5949 ;

[105] Charon Jean Marie, « Les médias à l'ère numérique », Cahiers du journalisme, (N°22 /23,2011), (Visité le 28 Octobre 2022) : https://www.cahiersdujournalisme.net/pdf/22_23/01_CHARON.pdf

للتفاعل، لا تتمتع جميع الابتكارات التكنولوجية في مجال الإعلام والاتصال بنفس القيمة، فبعضها يمثل تغييراً جذرياً في مجال معين، فيما يمثل البعض الآخر تحسيناً تدريجياً في ميزات التقنية الحالية. كمثال على ذلك: ما الفرق الممكن رصده بين التلفزيون والتلفزيون الرقمي؟ كلاهما فكرة واحدة بدعامات تقنية مختلفة، لكن الأول صار يصنف تقليديا، بينما يصنف الثاني جديدا.

3. المحتوى والتفاعلية كمدخل لتعريف الإعلام الجديد

تذهب الباحثة ليا ليفرو Leah A. Lievrouw وزميلتها سونيا ليفنجستون Sonia Livingstone إلى تعريف الإعلام الجديد انطلاقا من العلاقة بين تقنيات الإعلام والاتصال وسياقاتها الاجتماعية، والتي تتضمن ثلاثة عناصر رئيسية:[106]

1. الأدوات المادية أو الأجهزة التي تمكن وتوسع من قدرات الناس على التواصل والمشاركة
2. أنشطة الاتصال أو الممارسات التي ينخرط فيها الناس باستخدام وتطوير هذه الأجهزة
3. الترتيبات الاجتماعية والأشكال التنظيمية التي يبدعها الناس، وينشئونها حول هذه الأدوات والممارسات.

ومن هذا المنطلق تشير الباحثتان إلى أربعة عوامل تميز الإعلام الجديد، العامل الأول يرتبط بتطور هذه الوسائل بشكل مستمر ومتواصل، مقاوم للاستقرار أو الإغلاق، نتيجة للجمع بين التكنولوجيا القائمة والابتكارات الجديدة. أما العامل الثاني، فيتعلق بالجمع بين أنظمة الاتصال وأنظمة الإعلام الجماهيري، بحيث يسمح الإعلام الجديد بالاتصال من نقطة إلى أخرى، بشكل يمكن أي مستخدم تبادل الرسائل والبرامج، ما يفتح أمامه مسارا واسعا للانتقال والتواصل والتفاعل بعوائق تكنولوجية قليلة، عكس وسائل الإعلام الجماهيرية التي تتميز بمسار خطي مباشر من منتج الرسالة الإعلامية إلى مستقبلها. العامل الثالث الذي تحدث عنه الباحثتان، هو الانتشار الواسع، في كل مكان وزمان، لهذه الوسائل التي أصبحت في متناول الجميع. أما العامل الرابع الذي يميز الإعلام الجديد، فهو التفاعلية، التي تمنح للمستخدمين حرية كبيرة، لكن غير مطلقة، في التعبير عن آراءهم وتعبيراته الشخصية. وترى ليا ليفرو أن العاملين الأخيرين لهما علاقة بعواقب الإعلام الجديد وتأثيراته على الثقافة والمجتمع.

فريق آخر يرى أن الإعلام الجديد ليس مجرد تحول تقني، وإنما يمثل تغييرًا جذريًا في المضمون والمحتوى المقدم. وتشمل هذه التغييرات الفكر والأنساق الجديدة التي تنشأ من خلال الثورة التكنولوجية في عالم الإعلام. وتعتقد هذه المجموعة أن الناس يحتاجون إلى الأخبار والصحافة بشكل دائم، ولكن النسق التقليدي للإعلام والصحافة لم يعد كافيا لتلبية هذه الحاجة[107].وبالتالي، يتعين على الإعلام الجديد أن يتوافق مع هذه الاحتياجات الحديثة وأن يساعد في تشكيلها وتوجيهها بشكل إيجابي.

في هذا السياق يطرح السؤال، هل تاهت الصحافة وسط هذا الكم الهائل من المستجدات التقنية على مستوى وسائل الإعلام والاتصال؟ من الباحثين من يرى أن الإعلام التقليدي هو من يمارس الصحافة، ينقل الأخبار بشكل موضوعي، يرصد تفاعلات الشارع واتجاهات الرأي العام بمصداقية، يتحرى الخبر قبل النشر ويحترم الخصوصية. ومع التطور التكنولوجي،

---

[106] ليا ليفرو، مرجع سابق، ص15

[107] Balle Francis, « Médias historiques et médias sociaux : le retour du débat entre technophiles et technophobes », Revue Européenne des Médias ; (N°20,2011), p.59

صارت بعض الكتابات تصفه بالإعلام التقليدي الجديد[108]. تقليدي بممارسته المهنية، وجديد بحوامله الرقمية، والتفاعلية مع المتلقي.

4. ثنائية: الجديد/ القديم كمدخل لتعريف الإعلام الجديد

الملاحظات الممكن استخلاصها من التعريفات السابقة التي قدمها الباحثون، هي تقسيم وسائل الإعلام الجديدة إلى فئتين متقابلتين: الجديدة مقابل القديمة، وما يرافق كل فئة من خصوصيات على مستوى التقنية والمحتوى. يتوافق هذا التقسيم مع التمييز بين الوسائط التماثلية والرقمية، وكذلك بين مرحلتي ما قبل الإنترنت وما بعد الإنترنت، بين الاتصال الخطي والتفاعلي، وهكذا. ومع ذلك، فإن هذا التصنيف يظل غير مكتمل ما لم يحدد بشكل واضح نقط الالتقاء والتقاطع بين الوسائط الجديدة والقديمة والتقنيات المستخدمة في كل منها. علاوة على ذلك، فإن الاستخدام المستمر لوسائل الإعلام التقليدية كوسيلة أساسية في المشهد الإعلامي يعني أن تصنيف وسائل الإعلام على أنها جديدة أو قديمة ليس دقيقًا تمامًا، خاصة بالنظر إلى أن بعض هذه الوسائط التقليدية تشبه وظيفيًا وتقنيًا وسائل الإعلام الجديدة.

على سبيل المثال، شهدت الإذاعة والتلفزيون تغييرات كبيرة وأصبحتا الآن متصلتين رقميًا بالأقمار الصناعية وتبثان على الإنترنت، وهما خاصيتان رئيسيتان للوسائط الجديدة. بالإضافة إلى ذلك، أصبحت الإذاعة والتلفزيون أيضًا وسائط تفاعلية تعمل على منصات التواصل الجديدة. هذا التفاعل هو أهم خاصية تميز وسائل الإعلام الجديدة عن نظيراتها التقليدية. وهو أيضًا السبب وراء تطور التغطية الإخبارية من مجرد الإبلاغ عن الأحداث إلى البث المباشر الذي يصل إلى المتلقي أينما كان بضغطة زر واحدة، هو إذا تغيير في مفهوم التغطية الإخبارية يواكب التطور التكنولوجي.

أما بالنسبة للصحافة الورقية، فقد كان لظهور العصر الرقمي تأثير عميق عليها، بحيث شهدت طريقة إنتاجها تحولًا كاملاً، حيث تعتمد الآن حصريًا على الوسائل الرقمية طوال المراحل المختلفة للإنتاج، بدءا من التحرير الصحفي إلى الطباعة. ونتيجة لهذا التغيير، تأثرت كتابة الأخبار والإخراج والتصميم واستخدام الألوان والطباعة، حيث أصبحت الطباعة الرقمية شائعة الآن في العديد من المواقع في جميع أنحاء العالم. ولم يترك ظهور المواقع الإخبارية، وتحول المؤسسات من الورقي إلى الإلكتروني، أدنى شك بأن الورق سيصبح سريعًا شيئًا من الماضي.

في محاولة لتجاوز هذا التداخل بين الفئتين، اقترح الباحثان الأمريكيان ريتشارد ديفيس وديانا أوين تصنيفًا ثلاثيًا لوسائل الإعلام الجديدة في كتاب حول " وسائل الإعلام الجديدة والسياسة الأمريكية "[109] ، ويمكن وضع التصنيف كالاتي:

- **وسائل الإعلام الجديدة ذات التكنولوجيا القديمة:**

يغوص هذا النوع الأول في المحتوى أكثر منه في التقنية، ويرى من خلاله الباحثان أن الإعلام الجديد كان في البداية متعلقا بشكل الصحافة المقدمة في الإذاعة والتلفزيون. يشمل هذا التصنيف البرامج الحوارية التي انتشرت منذ الثلاثينيات، والنموذج الأبرز يبقى استخدام الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت (Franklin D. Roosevelt) الإذاعة بشكل مبتكر وفعال خلال فترة حكمه التي استمرت من عام 1933 حتى وفاته في عام 1945. وكان له دور هام في تشكيل الطريقة التي سيصبح الرئيس الأمريكي يمارس بها تواصله مع الشعب.

---

[108] انظر جمال زرن: الإعلام التقليدي والجديد في سياق تمدد الإعلام الاجتماعي وشبكاته، مرجع سابق، ص24

[109] Richard Davis, Diana Owen, New media and America politics, Oxford University Press, New York 1998, P9

أحد أبرز الأدوار التي لعبها روزفلت عن طريق الإذاعة كانت في إطلاقه سلسلة من البرامج الإذاعية الأسبوعية المعروفة باسم "الحديث بالنار(Fireside Chats) "، حيث تحدث إلى الشعب مباشرة عبر الإذاعة. كانت هذه المواعيد الإذاعية تعطي روزفلت فرصة لشرح سياساته وبرامجه لمواجهة الركود الاقتصادي الذي كان قد أثر على الولايات المتحدة خلال تلك الفترة. وتميزت هذه البرامج الإذاعية باستخدام لغة بسيطة وشفافة، كان روزفلت من خلالها يقدم تحليلًا واضحًا للأوضاع الاقتصادية والسياسية، ويوضح بصورة فعالة كيف تعمل السياسات الحكومية لمساعدة الناس في التغلب على الأزمة، كما كان يشجع الأمريكيين على التحدث إليه مباشرة عبر الإذاعة من خلال الردود والأسئلة، وهو ما اعتبر أنداك ثورة في استخدام وسائل الإعلام الجماهيرية. وبفضل استخدام الرئيس روزفلت الإذاعة بشكلٍ مبتكر وفعّال، نجح في بناء علاقة وثيقة مع الناس وتعزيز شعبيته وتأييدهم لسياساته. حتى اليوم، يعتبر "الحديث بالنار" من أهم الأدوات التي استخدمها الرؤساء الأمريكيون للتواصل مع الجمهور عبر وسائل الإعلام الجماهيرية. هذا التطور شمل كذلك التلفزيون الذي جدد نفسه من خلال الاعتماد على البرامج الحوارية المباشرة والمجلات الإخبارية، والبرامج والصباحية الشهيرة Tv Showsمثل البرنامج الشهير Good Morning America .

- **وسائل الإعلام الجديد بتكنولوجيا جديدة:**

يختلف هذا النوع الثاني عن الأول في وضع الجانب التقني كمعيار للتصنيف، تمثله كل الوسائط التي تشتغل على الحاسوب، وتشمل الإنترنت ومن خلاله المواقع الإخبارية وشبكات التواصل الاجتماعي وغيرها. وقد أحدثت هذه الوسائل ثورة في كيفية نقل المعلومات والتواصل بين الناس، إذ مكنت الأشخاص من الوصول إلى المعلومات في أي وقت ومن أي مكان، والمشاركة في النقاشات والتعبير عن آرائهم بشكل مباشر. كما أسهمت في نشر الوعي والتثقيف بشأن قضايا مختلفة، وتقليل المسافات بين الناس في مختلف أنحاء العالم وتمكينهم من التواصل والتفاعل بسهولة. إلى جانب الشفافية والمساءلة وتمكين الجمهور من رصد الأحداث ومراقبة أداء الحكومات والشركات بشكل أفضل .

- **وسائل الإعلام الجديد بتكنولوجيا مختلطة:**

تتضمن الفئة الثالثة من وسائل الإعلام الجديد دمج التكنولوجيا المختلطة، حيث تصبح الاختلافات بين وسائل الإعلام القديمة والجديدة منعدمة. وبدلاً من ذلك، تصبح بين وسائل الإعلام القديمة والجديدة حالة تجديد وتبادل للمنافع .

من هذا المنطلق تبنى العديد من الممارسين الذين يعملون في وسائل الإعلام التقليدية وسائل جديدة لأداء أدوارهم الإعلامية المتنوعة، باستخدام كلا النوعين بشكل فعال. وإدراكًا لأهمية وسائل الإعلام الجديدة، بدأت المؤسسات التقليدية أيضًا في تبني تقنياتها وتطبيقاتها المختلفة. على سبيل المثال، طورت الصحف الكبرى مثل واشنطن بوست ونيويورك تايمز مواقع إخبارية واسعة النطاق على الإنترنت. بالإضافة إلى ذلك، تستفيد العديد من البرامج التلفزيونية والنشرات الإخبارية من الأدوات الإعلامية الجديدة للتواصل مع الجمهور وإكمال مشاريعها الإعلامية وإجراء الاستطلاعات باستخدام وسائل جديدة. كما مكّن دمج التكنولوجيا المختلطة ممارسي الإعلام من الاستفادة من نقاط القوة في كل من وسائل الإعلام القديمة والجديدة، وبالتالي تعزيز فعالية استراتيجيات الاتصال الخاصة بهم.

خاتمة:

بعد عرض كل هذه التعريفات المختلفة التي حاولت تأطير وحصر مفهوم الإعلام الجديد، يمكن القول في الختام، بأن الإعلام بشكل عام عرف تغييرات كبيرة على مر السنين، مما أدى إلى تغيير الطريقة التي نتواصل بها، والوصول إلى المعلومات، والتفاعل مع العالم. ويشمل الإعلام الجديد مجموعة واسعة من المنصات الرقمية، بما في ذلك الإنترنت والشبكات الاجتماعية وتطبيقات الهاتف المحمول وخدمات البث عبر الإنترنت، والتي أحدثت ثورة في طريقة نشر المعلومات وتلقيها. قد تبدو هذه المداخل التي استعرضناها متباعدة، وكأنها تنتمي إلى مجالات بحثية مختلفة، ولكنها في الحقيقة تشكل نموذجًا معقدًا لتشابك الآراء والمفاهيم في ساحة الإعلام الجديد.

في ختام هذا السرد العلمي، تجدر الإشارة إلى أن تعريف الإعلام الجديد ليس مجرد ممارسة نظرية جامدة، بل هو نقاش مستمر ومتجدد يتطلب تفاعلاً دائمًا مع التحولات السريعة في العالم المعاصر. إنها دعوة للعقل إلى الانفتاح والتجاوب مع تلك الظروف المتغيرة التي يتخبط فيها الإعلام ويتعاظم دوره وأثره.

ففي زمن تتسارع فيه وتيرة التكنولوجيا والابتكار، يظهر تعريف الإعلام الجديد كموضوع لا يزال يتطور ويتشكل، ما يستدعي السعي بشكل دائم إلى مواصلة البحث والتعمق، وفهم أفضل وأعمق لتعريف الإعلام الجديد في هذا العالم المعقد والمتغير باستمرار. إنها مهمة تتطلب استدراك التطورات والتحديات، والسعي نحو التعلم والتجديد المستمرين.

قائمة المراجع:

الكتب:

- عصام سليمان موسى (1995)، المدخل في الاتصال الجماهيري، الطبعة الثالثة، دار ومكتبة الكتاني للنشر، الأردن.
- جيهان رشتي (1985)، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.
- ليا ليفرو (2016)، وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة، ترجمة هبة ربيع، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر.
- عباس مصطفى صادق (2011)، الإعلام الجديد، المفاهيم، الوسائل والتطبيقات، الطبعة الأولى، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن.
- عبد الرزاق محمد الدليمي (2012)، مدخل إلى وسائل الإعلام الجديد، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.
- صلاح عبد الحميد (2013)، الإعلام والثورات العربية، الطبعة الأولى، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
- Steve Jones (2002), Encyclopedia of new media: an Essential Reference to communication and technology, sage publication, UK.
- Marshall McLuhan (1994), Understanding Media : The Extensions of Man Paperback.

- Richard Davis, Diana Owen (1998), New media and America politics, 1st edition, Oxford University Press, New York.

المقالات:

- جمال زرن (2017)، الإعلام التقليدي والجديد في سياق تمدد الإعلام الاجتماعي وشبكاته،" سُلطة الإعلام الاجتماعي، تأثيراته في المنظومة الإعلامية التقليدية والبيئة السياسية "، مركز الجزيرة للدراسات، قطر.
- Seban Alain (2004) « Médias traditionnels, nouveaux médias », Ministère de la culture et de la communication, France.
- Patricia Maincent (2011), Les nouveaux médias, Centre Pompidou, direction des publics, Paris, France.
- Charon Jean Marie(2011) « Les médias à l'ère numérique », Cahiers du journalisme, (N°22 /23), en ligne.
- Balle Francis (2011), « Médias historiques et médias sociaux : le retour du débat entre technophiles et technophobes », Revue Européenne des Médias ; (N°20) en ligne.

بلاغة الحجاج في الخطاب الإعلامي
استراتيجيات الإقناع في البيان الصحفي لشركة لوسيور

Rhetorical Argumentation in Media Discourse
Persuasion Strategies in Lesieur's Recent Press Statement

عمر محضار
طالب باحث بسلك الدكتوراه،
مختبر الدراسات الأدبية واللسانية وعلوم الإعلام والتواصل،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس.

الملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى مقاربة نموذج من الخطاب الإعلامي هو البيان الصحفي، وذلك ضمن إطار نظري هو التحليل الحجاجي للخطاب من خلال توظيف طائفة من المفاهيم والآليات التحليلية المنبثقة عن نظريتي الحجاج اللغوي والبلاغي.

وقد اتخذت الورقة بيانَ شركة لوسيور متنا للاشتغال، وهو بيان صدر بعد حملة الغضب التي حركها ارتفاع أسعار منتجاتها. وقد كشفت هذه الدراسة عن قدرة منشئ الخطاب على الإقناع والتأثير باعتماد استراتيجيات وتقنيات متعددة، بما في ذلك اعتماد آلية المغالطة.

This paper seeks to approach a model of media discourse, the press statement, within a theoretical framework that draws upon argumentative discourse analysis. This approach employs a range of concepts and analytical mechanisms emanating from the theories of linguistic and rhetorical arguments.

The paper has taken Lesieur's statement as the subject of the work. This press declaration was issued by the aforementioned company after the angry campaign sparked by the high prices of its products. The study revealed the ability of the discourse originator to persuade and influence by adopting multiple strategies and techniques, including the adoption of the fallacy mechanism.

تمهيد

يكتسي الحجاج أهمية بالغة في تحليل الخطاب، لذلك حظي باهتمام متزايد وبعناية فائقة من لدن الدارسين، نظرا لفعاليته في فك مغالق الخطاب وكشف خباياه، وكذلك لتعدد آلياته وتقنياته التي تسعف

الباحث في البحث عن كيفية حدوث الإقناع والاقتناع، في المناظرات، واللقاءات التليفزيونية، والمهرجانات الخطابية، والخطب الدينية والسياسية، والأعمال الأدبية، والبيانات الصحفية.. خاصة حين يتم توظيف الحجج المزيفة والمغالطات المغرضة، فيتم صياغتها بهدف التحكم في عقول الناس وإدارة أفعالهم، وتوجيههم الوجهة المرسومة سلفا، وبالتالي استغلالهم لصالح جهة معينة، وحسبنا مثالا ما نشاهده كل يوم في وسائل الإعلام بمختلف أنواعها.. من استغلال للمغالطة والمناورة والاستدراج وغيرهم من الأساليب الأخرى.

من أجل هذا سنحاول الكشف عن استراتيجيات الإقناع في الخطاب الإعلامي متخذين من بيان شركة لوسيور كريسطال في سياق حملة الغضب على منتوجاتها بفعل الزيادة في الأسعار متنا للدراسة والتحليل. وتنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن الخطاب الإعلامي له أبعاد حجاجية، فهو خطاب يتجاوز الوظيفة الإخبارية إلى الوظيفة الحجاجية سواء كان ذلك صريحا أو مضمرا. ولذلك تسعى الدراسة إلى الكشف عن كيفية اشتغال الحجاج واستراتيجياته في البيان الصحفي باعتباره شكلا من أشكال الخطاب الإعلامي.

1- في مفهوم الحجاج ونظرياته:

1-1: مفهوم الحجاج:

لا ينكر أحد أن مفهوم الحجاج (Argumentation) مفهوم متشعب يصعب حصره، وتحديده، وتعريفه، وذلك راجع إلى شساعته، وكثرة المصادر المسهمة في إنتاجه، وكذا إلى تنوع مرجعياته النظرية وكثرتها. إذ نجده متواترا في الأدبيات الفلسفية والمنطقية والبلاغية وفي الدراسات القانونية، والمقاربات اللسانية والنفسانية...

ولقد حظي الحجاج باهتمام كبير من قبل الدارسين المحدثين، لعل أبرزهم **بيرلمان** (Perelman) **وتيتيكا** (Tyteca) فهما يعرفان الحجاج بأنه: "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[110].

وعليه فالحجاج عندهما هو طائفة من التقنيات التي تهدف إلى استمالة المستمَع (Auditoire) إلى القضايا التي تعرض عليه، أو زيادة درجة تلك الاستمالة، وغاية الحجاج عندهما هي: "أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"[111].

110) صولة (عبد الله): في نظرية الحجاج، ط 1، دار الجنوب للنشر والتوزيع، تونس، 2011، ص: 13.
111) صولة (عبد الله): الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص: 299.

وإلى هذا ذهب محمد الوالي حين عرفه بقوله: "الحجاج هو توجيه خطاب إلى متلق ما لأجل تعديل رأيه أو سلوكه أو هما معا"[112]. وكذلك الأمر عند **ريبول وموشلار** إذ يعتبر أن الحجاج هو "مجموعة الخطط الخطابية المستعملة من قبل المخاطب لإقناع جمهوره ومتقبله"[113]، وبحسب **محمد العمري** فإن الهدف من الحجاج هو "الإقناع، أي الحصول على موافقة المستمع ودفعه للفعل"[114].

إذن، فأصحاب التيار البلاغي –إن جازت التسمية– يعتبرون أن الحجاج يضطلع بدور فاعل في المقام التخاطبي، وذلك من خلال العمل على تسليم المخاطب لما يعرض عليه من أطروحات، أو الزيادة في درجة ذلك التسليم، سواء من خلال مخاطبة عقله، أو عاطفته، أو هما معا.

في حين أن **أوستين** (Austin) يعرف الحجاج بأنه: "هو مجموعة من الحجج المؤدية إلى النتيجة نفسها"[115]. وفي الاتجاه نفسه، يعرف "أبو بكر العزاوي" الحجاج بأنه "تقديم الحجة والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها. وإن كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محددة، لا بواسطة الوقائع (LES FAITS) المعبر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضا وأساسا بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها"[116].

من خلال هذا التعريف الذي يقدمه "أبو بكر العزاوي" للحجاج نستنتج أن الحجاج هو كل الإجراءات اللغوية، وغير اللغوية (البلاغية) التي يعتمدها خطيب ما ليقنع المستمع ويؤثر فيه، فالمقصود بالحجج اللغوية (الحجاج اللغوي) أدوات الربط التي تربط بين الجمل مثل حروف العطف، والاستدراك والإضراب...، إضافة إلى العلاقات التسلسلية التي تتخذها الحجج (السلم الحجاجي). في حين يقصد بالحجج البلاغية تلك التقنيات والصور الحجاجية التي يعتمدها الخطيب لتحقيق الإقناع مثل التعريف والمقارنة والمثال والشاهد... والحجج عند **أرسطو** نوعان يتمثل الأول في الحجج غير الصناعية؛ ونقصد بها أنها حجج لا يتدخل الخطيب في إنشائها بل هي حجج توجد خارج الصناعة الخطابية مثل (الوثائق المكتوبة والنصوص القانونية، والاتفاقيات، والشهادات..) وهي تمثل أضعف الحجج عنده. ويتمثل النوع الثاني في الحجج الصناعية التي تأتي على ثلاث صور هي: الإيتوس والباطوس اللذين يتميزان بالطابع الانفعالي، واللوغوس المتميز بالطابع العقلي.

من خلال كل ما سبق، يمكننا أن نستنتج الخلاصات الآتية:

7) الوالي (محمد): مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشاييم بيرلمان، ضمن عالم الفكر، المجلد40، العدد: 2 أكتوبر- ديسمبر2011، ص: 5.
113) ناجح (عز الدين): العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ط 1، دار نهي، صفاقس، تونس، 2011، ص: 26.
114) العمري (محمد): البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، الطبعة الثانية، أفريقيا الشرق، المغرب، 2012، ص: 12.
115) Austin .J.L: Quand dire c'est faire, Seuil, Paris, 1962, p: 114.
116) العزاوي (أبو بكر): اللغة والحجاج، ط1، العمدة، الدار البيضاء، 2006، ص: 16-17.

- إن الحجاج يتوخى جعل العقول التي يتوجه إليها تنخرط في الأطروحة، أو الدعوى المقدمة أو المدافع عنها وتسلم بها، أو الزيادة في درجة التسليم؛
- إن الحجاج يهدف إلى تأسيس موقف ما لدى المتلقي، ويتوخى دائما أخذ قبوله، وموافقته؛
- إن الحجاج يعتمد على تقديم عدد كبير من الحجج التي تم اختيارها اختيارا حسنا، وترتيبها ترتيبا محكما من أجل أن تترك أثرها في المتلقي، وهذه الخاصية تجعله يتميز عن البرهنة؛
- إن الحجاج هو إقناع، لابد أن يقع في مجال الاحتمال، وليس في مجال الحقائق البديهية المطلقة.

وصفوة القول، إن الحجاج عبارة عن فاعلية حوارية قوامها طرفان هما: المرسل والمتلقي، بحيث يسعى المرسل إلى إقناع المتلقي بفكرة ما أو تغيير وجهة نظره فيتبنى رأيا جديدا.

2-1: نظريات الحجاج:

تتباين نظريات الحجاج وتتنوع من الحجاج اللغوي إلى الحجاج البلاغي، فالمنطقي، فالجدلي التداولي إلى آخره. لكننا في هذه الدراسة سنركز على نظرية الحجاج في اللغة مع أزفالد ديكرو وجون أنسكومبر، ونظرية الحجاج البلاغي مع كل من بيرلمان وتيتيكا.

إن نظرية الحجاج اللغوي أو الحجاج في اللغة (L'argumentation dans la langue) هي نظرية عرفت مع اللغوي الفرنسي أزفالد ديكرو (O. Ducrot)، وهي نظرية لسانية تداولية تعتبر أن الوظيفة الحجاجية كامنة في بنية اللغة، وأن استعمال الحجج ليس عنصرا خارجيا يضاف إلى اللغة، بل يسري فيها بشكل طبيعي.

وتعود نظرية الحجاج في اللغة إلى كل من أزوالد ديكرو (O.DUCROT)، وجون أنسكومبر (J. C. Anscombre)، ونظرية الحجاج في اللغة (الحجاج اللغوي) -بحسب أبي بكر العزاوي رائد الحجاج اللغوي في العالم العربي- هي نظرية تتعارض مع كثير من النظريات والتصورات الحجاجية الكلاسيكية التي تعد الحجاج منتميا إلى البلاغة الكلاسيكية (أرسطو) أو البلاغة الحديثة (برلمان، أولبريخت تيتيكا، ميشال ميير، وغيرهم) أو منتميا إلى المنطق الطبيعي (جان بلير غريز...)[117]، فهي نظرية تؤسس لطرح جديد يتنافى والنظريات الأخرى، انطلاقا من اعتبارها نظرية لسانية، "فهذه النظرية التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي أزفالد ديكرو (O.DUCROT) منذ سنة 1973 نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها: "أننا نتكلم عامة بقصد التأثير""[118]، مما يجعلها امتدادا لنظرية الأفعال اللغوية، وعليه يصبح فعل الحجاج فعلا لغويا (Acte de Langage).

117) العزاوي (أبو بكر): اللغة والحجاج، ص: 14.
118) اللغة والحجاج، ص: 14.

ويضيف أبو بكر العزاوي بأن "هذه النظرية تريد أن تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية (Intrinséque) وظيفة حجاجية، وبعبارة أخرى، هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها"[119]. بمعنى أن الوظيفة الحجاجية ليست طارئة على اللغة، كما أنها ليست رهينة عمليات استدلالية صناعية، وإنما هي مبطنة في اللغة نفسها، بما تشتمل عليه في بنية الجمل من مورفيمات وتعابير وصيغ...، وحاضرة في كل المستويات اللغوية، ونجدها في كل الظواهر المعجمية والصرفية والتركيبية والدلالية، ونجدها في الحروف والظروف والأدوات والأسماء والأفعال[120].

هكذا إذن، تصبح للحجاج مبادئ أساسية، يمكن حصرها في الآتي:

-الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج؛

-المكون الإخباري في اللغة ثانوي، فيما المكون الحجاجي أساسي.[121]

ويعرف ديكرو وأنسكومبر الحجاج بأن يقدم المتكلم قولا "ق1" أو مجموعة من الأقوال الموجهة إلى جعل المخاطب يقبل قولا آخر "ق2" أو مجموعة أقوال، سواء أكان "ق2" صريحا أم ضمنيا، وهذا الحمل على قبول "ق2" على أنه نتيجة للحجة "ق1" يسمى "عمل محاجة" أو "فعل محاجة". إلا أن هذا الفعل محكوم بقيود لغوية فلا بد من أن تتوفر في الحجة "ق1" شروط محددة حتى تؤدي إلى "ق2"[122].

وعليه، يصبح الحجاج عندهما إنجازا لعمليتين: الأولى، التصريح بالحجة، والثانية، الاستنتاج سواء كانت النتيجة صريحة في القول الثاني، أو متضمنة في القول الأول.

هكذا أصبح الحجاج مع ديكرو وانسكومبر لا ينبني على أسس فلسفية أو منطقية أو بلاغية، بل "مؤسس على بنية الأقوال اللغوية وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب"[123]، وبالتالي أصبحت لأبنية اللغة الداخلية وظيفة حجاجية، وعليه بات الحجاج خاصية لغوية دلالية وليس ظاهرة مرتبطة بالاستعمال في المقام[124].

إذن، فنظرية الحجاج اللغوي أو الحجاج في اللغة تسعى دائما إلى رصد ما يمتاز به الخطاب من وسائل وأدوات لغوية يوظفها المتكلم قصد التأثير في المتلقي وإقناعه بفكرة ما أو نظرية ما أو وجهة نظر ما، من هنا تتبدى الطبيعة الحجاجية للغة على اعتبار أن كل تواصل هو في حقيقته مبني على منطق حجاجي وعلاقات استدلالية خفية تتشكل ضمن سياقات محددة واستعمالات لغوية معينة. فموضوع الحجاج اللغوي

119) اللغة والحجاج، ص: 14.
120) العزاوي (أبو بكر): الحجاج في اللغة والبلاغة (ديكرو وبيرلمان أنموذجا)، مقال ضمن مقرر الفصل الثالث لماستر البلاغة وتحليل الخطاب- مادة: الحجاج في النص القانوني)، ص: 3.
121) العزاوي (أبو بكر): نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، مجلة المناظرة، ع 4، 1991، الرباط، ص: 79. (بتصرف).
122) المبخوت (شكري)، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن أهم نظريات الحجاج، ص: 360-361.
123) العزاوي (أبو بكر): الحجاج في اللغة، مجلة فكر ونقد، السنة 7، العدد 61، شتنبر 2003، ص: 53.
124) المبخوت (شكري): نظرية الحجاج في اللغة، ص: 362.

إذن، هو الكشف عن العناصر الحجاجية المضمرة في الأقوال، والتي تجعل، المتكلم حين إصداره كلاما أو في أثناء تواصله عموما، يختار تواصلا ذا وجهة حجاجية بامتياز.

أما نظرية الحجاج البلاغي أو البلاغة الجديدة فهي نظرية ترتبط بالفيلسوف والعالم البلجيكي شاييم بيرلمان (Ch. Perelman)، بعد أن توج أبحاثه في الفلسفة والقيم بصدور كتابه "مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة" (Traité de l'argumentation : La nouvelle rhétorique) الذي ألفه بمعية ألبيرخت تيتيكا (O. Tyteca)، الصادر سنة 1958، بعد أن أعاد قراءة منجز البلاغة الأرسطية القديمة، فعُد بذلك مؤلَفه نقطة انطلاقة الدراسات الحجاجية في العالم.

يعرف بيرلمان وتيتيكا الحجاج بقولهما: "موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[125]. وعليه فالحجاج عندهما هو طائفة من التقنيات التي تهدف إلى استمالة المستمَع (Auditoire) إلى القضايا التي تعرض عليه، أو زيادة درجة تلك الاستمالة، ويضيف الباحثان في موضع آخر من الكتاب: "وغاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"[126].

هكذا، يتضح لنا أن الباحثين –بيرلمان وتيتيكا– يطلقان لفظ الحجاج (L'argumentation) على العلم وموضوعه أي على النظرية وعلى المحاجة أيضا[127]، وهما منشغلين بمنظومة التقنيات التي تؤثر في ترجيح رأي على آخر، كما يتبين لنا أنهما قد أعطيا مكانة هامة للإقناع بعد أن جعلا منه لب العملية الحجاجية[128].

حدد بيرلمان وتيتيكا في القسم الثاني من كتاب "مصنف في الحجاج" المنطلقات الحجاجية، والتي تتمثل في مقدمات الحجاج، لذلك ينبغي على الخطيب أن لا يختار نقطة انطلاق حجاجه، إلا من مقدمات (Prémisses) مقبولة ومسلم لها من قبل من يوجه إليهم الخطاب[129]، حتى يكون هناك تكيف بين الخطيب من جهة، ومستمَعه من جهة ثانية، وإلا سيكون هناك فشل في أداء المقصود، والنتيجة أنه يرتكب ما يعتبره بيرلمان أفظع خطأ في الحجاج؛ ألا وهو: المصادرة على المطلوب (Pétition de principe)[130]. بمعنى أن الخطيب ينطلق من مقدمات لا تتمتع بقبول كاف من قبل المستمعين، أي مجادل فيها. ومن هذه المنطلقات: الوقائع، والحقائق، والمظنونات، والقيم، والتراتبيات، ومواضع الأفضل.

125) صولة (عبد الله): في نظرية الحجاج، ط 1، دار الجنوب للنشر والتوزيع، تونس،2011، ص: 13.
126) صولة (عبد الله): الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص: 299.
127) صولة عبد الله، المرجع نفسه، ص: 299.
128) الشهري (عبد الهادي بن ظافر): استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2004، ص: 457.
129) بنو هاشم (الحسين): نظير الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص: 41.
130) بنو هاشم (الحسين): نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص: 41.

ويعد القسم الثالث من كتاب بيرلمان وتيتيكا –مصنف في الحجاج– أهم أقسامه، ففيه حدد الباحثان التقنيات الحجاجية وحصراها في نوعين: نوع يقوم على طرائق الوصل (Proceses de liaisons)، والثاني يقوم على طرائق الفصل (Proceses de dissociations). والمقصود بالطرائق الاتصالية تلك التي "تقرب بين العناصر المتباينة بدءا وفي الأصل، وتتيح إقامة ضرب من التضامن بينها لغاية هيكلتها أي إبرازها في هيكلة أو بنية واضحة أو لغاية تقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويما إيجابيا أو سلبيا"[131]، فهي تربط بين عناصر أو موضوعات مترابطة في الأصل. وتنقسم هذه الطرائق أو الحجج إلى: حجج شبه منطقية، وحجج مؤسَّسة على بنية الواقع، وحجج مؤَسِسة لبنية الواقع.

ويقصد بطرائق الفصل أو الانفصالية تلك "التقنيات المستخدمة لغرض إحداث القطيعة وإفساد اللحمة الموجودة بين عناصر تشكل عادة كلا لا يتجزأ أو الأقل كلا متضامنة أجزاؤه في نطاق نظام فكري واحد"[132]. وغالبا ما تستخدم هذه التقنيات في تفكيك الأبنية الحجاجية التي يخشى المتكلم على نجاح حجاجه منها[133].

2– حجاجية الخطاب الإعلامي:

يختلف الدارسون في تعريف الإعلام، فمنهم من عرفه بأنه "نقل المعلومات والمعارف والثقافات الفكرية والسلوكية بطرق مختلفة من خلال وسائل معينة لها شخصيتها الحقيقية والاعتبارية بقصد خلق التأثير لدى الطرف الآخر مستقبل المعلومة"[134]. في حين ذهب "**أو تو جرت** OTT GROTH" إلى أن الإعلام هو "التعبير الموضوعي عن عقلية الجماهير وروحها وميولها واتجاهاتها"[135].

بناءً على هذين التعرفين فإن الإعلام يؤدي وظيفة الإخبار والإبلاغ بطرق مختلفة وعبر وسائل سواء كانت سمعية أو بصرية أو كتابية.. كما يتجاوز الإعلام هذه الوظيفة أي النقل والتوصيل إلى محاولة خلق التأثير في المتلقي.

أما الخطاب الإعلامي فيقصد به "مجموعة الأنشطة الإعلامية التواصلية الجماهيرية: التقارير الإخبارية الافتتاحيات، البرامج التلفزية المواد الإذاعية وغيرها من الخطابات النوعية"[136]. أي إن الخطاب الإعلامي هو نتاج وسائل الإعلام المختلفة، كيفما كان هذا الخطاب مكتوبا أو مسموعا أو بصريا. وقد عرف البشير إبرير الخطاب الإعلامي بأنه "منتج لغوي إخباري مُنوع في إطار بنية اجتماعية – ثقافية socioculturelle محددة وهو شكل من أشكال التواصل الفعالة في المجتمع، له قدرة كبيرة على التأثير في

131) في نظريات الحجاج، ص: 41.
132) المرجع نفسه، ص: 41-42.
133) الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 127.
134) منذر جاسم صالح الزبيدي: دور وسائل الإعلام في صنع الدور السياسي، ط1، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الأرض، ص: 28.
135) ريميه حمدي: دور وسائل الإعلام في معالجة المشكلات المرورية، مجلة الدراسات الإعلامية، برلين، ألمانيا، ص: 113.
136) العاقد (أحمد): تحليل الخطاب الصحفي، من اللغة إلى السلطة، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص: 110.

المتلقي وإعادة تشكيل وعيه ورسم رؤاه المستقبلية وبلورة رأيه بحسب الوسائط التقنية التي يستعملها والمرتكزات المعرفية التي يصدر عنها"[137].

هكذا يتضح لنا أن الخطاب الإعلامي هو منتج لغوي إخباري وهو شكل من أشكال التواصل، يهدف إلى توصيل خبر ما إلى الجمهور، كما له قدرة كبيرة على التأثير في المتلقي ودفعه إلى تغيير مواقفه ورؤاه وتعديل سلوكياته.. وله قنوات مختلفة من قنوات تلفزية، وجرائد أو مجلات إلكترونية أو ورقية، أو مواقع التواصل الاجتماعي كالفايسبوك face book ويوتوب youtube... وغيرها من الوسائل.

إن ما يميز الخطاب الإعلامي هو كونه يعتمد وسائل الإقناع المتعددة بما فيها "الكلمة المسموعة في الإذاعات و الحاضرات والندوات والخطب السياسية، والصورة الثابتة والكلمة المكتوبة في الكتب والمجلات والنشريات والملصقات، والصور السمعية – البصرية في التلفزة"[138]، وهذا ما يجعله خطابا إقناعيا بامتياز، إذ يسهم في تشكيل وعي المتلقي ويصير بذلك الخطاب الإعلامي أداةً من خلالها يمكن التحكم في توجه المجتمع وأفكاره وحاجاته و آرائه وقناعاته ونمط عيشه..

لا غرو بعد الذي سبق أن وظيفة الخطاب الإعلامي لا تكمن فقط في الإخبار والنقل، بل إن وظيفته تتعدى ذلك نحو التبليغ الذي هو أكثر عمقا من النقل لأنه يزدوج فيه الإظهار والإضمار والإثبات والنفي، وهو إذ يقوم بذلك فإنه يؤدي وظيفة حجاجية[139]. فالخطاب الإعلامي الراهن لم يعد بهتم بتقديم الحقيقة إذا افترضنا أن ذلك في مكنته، وانما صار همه الأول أن يصنع "الحقيقة" المرغوب فيها، ويدخل عليها من التوضيب والتشذيب ما يكفل لها أن تظهر أمام الجمهور المتلقي في صورة مقنعة أو "حقيقية"، كما لو أن الأمر يتعلق بمجرد وقائع أو أحداث لا يؤدي فيها المنبر الإعلامي سوى دور الناقل المحايد، والوسيط الأمين، بين منبعها ومصبها[140].

بناء على ذلك، إن الخطاب الإعلامي هو خطاب حجاجي إقناعي قبل أن يكون إخباريا.. ولعل من بين أجناس الخطاب الإعلامي نجد البيان الصحفي، وهو أحد الطرق الرئيسية لإيصال المعلومات إلى وسائل الإعلام والجمهور، وقد يتخذ شكل رسالة مكتوبة أو مسجلة عبر الفيديو.

137) إبرير (البشير): استثمار علوم اللغة في تحليل الخطاب الإعلامي، مجلة اللغة العربية، العدد 23، المجلس الأعلى للغة العربية، دار الخلدونية، الجزائر، ص: 94- 95 (بتصرف). نقلا عن: مظاهر التسامح في الخطاب الإعلامي العربي خلال جائحة كوفيد 19، خالد لعنكري، مقاربة تساندية في نماذج، ص: 5.

138) إبرير (البشير): التحليل السيميائي للخطاب الإشهاري، دراسة في تفاعل أنظمة العلامات وبلاغة الإقناع، مجلة اللسانيات واللغة العربية، العدد الأول، جامعة عنابة، الجزائر، ص: 24.

139) ملوك (عبد القادر): الحجاج بالنوازع، رهان الخطاب الإعلامي، الإعلام السمعي البصري نموذجا، مجلة تكامل، العدد الأول، يناير، 2021، ص: 11 (بتصرف).

140) المرجع نفسه، ص: 13.

ويعد البيان الصحفي خطابا إعلاميا من جهة كونه تفسيرا لموقف ما أو تكذيبا لخبر ما، أو توضيحا لوجهة نظر، كما أنه يعتمد وسائل الإعلام القديمة أو الحديثة قناة لتمرير رسالته. وكذلك من جهة اقترانه بالصفة الصحفية.

بناء عل ما سبق، تقرر عندنا بما لا يدع مجالا للشك أن البيان الصحفي لشركة لوسيور كريسطال خطاب إعلامي من جهة كونه توضيح من الشركة للمستهلكين المغاربة، ومن جهة اعتماده على وسائل الإعلام الحديثة (المواقع الإليكترونية وصفحات الفايسبوك الإخبارية) قناة لإيصال رسالة الشركة والدفاع عن نفسها في مواجهة الغاضبين على اتفاع أسعار زيوت المائدة ملوحين بالمقاطعة سلاحا.

3- التأطير العام للبيان الصحفي:

نقصد بالتأطير العام للبيان الصحفي، تحديد منشئ الخطاب من خلال التعريف بالشركة صاحبة الخطاب، وتحديد السياق العام للبيان الصحفي لشركة لوسيور كريسطال من خلال التركيز على السياق الزمكاني والمناسباتي.

أ- منشئ الخطاب "الشركة":

تعد شركة **لوسيور كريسطال** أكبر شركة إنتاج للزيوت النباتية في المغرب، وهي شركة مدرجة في بورصة الدار البيضاء منذ 1972، كانت مملوكة سابقا لمجموعة أونا بنسبة 56**%** من رأس مال الشركة، قبل أن تصبح مملوكة من قبل مجموعة "سوفيبروتيول" الفرنسية متعددة الجنسيات، التي غيرت اسمها إلى مجموعة أبريل (AVRIL).

وتعمل لوسيور كريسطال على تسويق مجموعة كاملة من العلامات التجارية التي تخص إنتاج الزيوت، وكذلك منتجات النظافة الشخصية، ويوجد مقرها بالمغرب بالدار البيضاء.

ب-السياق العام:

استيقظ المغاربة في شهر فبراير من عام 2021 على وقع ارتفاع أسعار زيوت الطهي بشكل مفاجئ. إذ ارتفع ثمن قنينة زيت الطهي ذات السعة "5 لترات" بمقدار "10 دراهم". وقد دفع هذا الأمر المغاربة إلى التعبير على وسائل التواصل الاجتماعي عن انزعاجهم من هذا الوضع، والذي سيؤثر -لا محالة- بشكل أساسي على الأشخاص في وضعية هشة من أصحاب الدخل اليومي الضعيف أو المنعدم، خصوصا في ظرفية جائحة كورونا التي تعرف انتشارا للبطالة بفعل فقدان كثير من العاملين لمناصب عملهم.

ومع تصاعد الدعوات إلى مقاطعة منتوجات شركة لوسيور على وسائل التواصل الاجتماعي، أصدرت يوم الأربعاء 24 فبراير 2021 شركة "**لوسيور كريسطال**" بيانا صحفيا بعد أيام من تفاجؤ المغاربة بالارتفاع المفاجئ في أسعار زيوت المائدة، وقد فسرت الشركة الزيادة المفاجئة في الأسعار بارتفاع أسعار

المنتجات الزراعية الأولية على المستوى العالمي.. محاولة أطفاء نار الغضب ودعوات المقاطعة التي اكتوت بها مجموعة من الشركات سابقا خصوصا الشركات ذات المنشأ الفرنسي (سنطرال).

4- استراتيجيات الحجاج في البيان الصحفي:

سنحاول الوقوف عند أهم الاستراتيجيات الحجاجية التي وظفت في البيان الصحفي قيد الدراسة بهدف الإقناع أو التمويه والتضليل، والتي تنقسم إلى تقنيات الحجاج اللغوي، وتقنيات الحجاج البلاغي.

4-1: الحجاج في اللغة:

إن الحجاج يقوم -فيما يقوم- على اللغة ويكمن فيها، ولا يمكن فصل اللغة عن الحجاج، ولا الحجاج عن اللغة، ولذلك قيل: إن كل تواصل هو في حقيقته مبني على منطق حجاجي وعلاقات استدلالية خفية تتشكل ضمن سياقات محددة واستعمالات لغوية معينة، فالمتكلم حين يصدر كلاما أو في أثناء تواصله عموما، يختار تواصلا ذا وجهة حجاجية بامتياز.

ولما كانت للغة وظيفة حجاجية، فقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج[141]، منها الروابط والعوامل الحجاجية، فالرابط الحجاجي (Connecteur) هو رابط "يربط بين الحجة والنتيجة، أو بين علاقتين حجاجيتين"[142]، والروابط في اللغة العربية كثيرة من قبيل: (بل، لكن، حتى، إذن، لأن...)، وبالتالي يكون الرابط الحجاجي معطى لغويا. أما العامل الحجاجي أو العوامل الحجاجية (Les opérateurs) فتقوم بحصر الإمكانات الحجاجية وتقييدها التي تكون لقول ما وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما...إلا، وجل أدوات القصر[143].

أ- الرابط الحجاجي (إلا أنّ..):

يعد الرابط الحجاجي "إلا" من الروابط التي تجمع بين حجتين متعارضتين، فهو من رابط للحجج المتعاندة مثل روابط أخرى مثل (لكن، مع ذلك، غير أن...). للنظر في المثال الآتي:

"فقد تمكنت لوسيور كريسطال من تأمين مخزون مهم من المواد الأولية وذلك لتفادي حدوث أي نقص مرتبط بهذه المادة الحيوية. وهذا ما مكن من تأخير أثر ارتفاع الأسعار العالمية على السوق الوطنية. إلا أنه مع استمرار ارتفاع أسعار المواد الرزراعية الأولية، وجدت لوسيور نفسها مضطرة إلى عكس جزء من هذه الزيادات على أثمنة منتوجاتها".

---

[141]) العزاوي (أبو بكر): اللغة والحجاج، ص: 26.
142) الحجاج في اللغة والبلاغة، ص: 6.
143) اللغة والحجاج، ص: 27.

في هذا المثال، نلاحظ أن هناك تعاندا بين الحجتين "**تمكنت** لوسيور كريسطال من تأمين مخزون مهم من المواد الأولية... وهذا ما مكن من تأخير أثر ارتفاع الأسعار.." و"مع استمرار ارتفاع أسعار المواد الزراعية الأولية،.."، وهو ما يخدم النتيجة التي أتت بعد، وهي: "**وجدت** لوسيور نفسها مضطرة.."، فصار الرابط "إلا أنّ" موجها للحجاج لما بعد الحجتين (أ: تمكنت لوسيور كريسطال من تأمين مخزون مهم من المواد الأولية) و(ب: مع استمرار ارتفاع أسعار المواد الزراعية الأولية) وخادما للنتيجة التي تريد الشركة إقناع المتلقي بها، وهي: (وجدت لوسيور نفسها مضطرة إلى عكس جزء من هذه الزيادات على أثمنة منتوجاتها).

ب-التوكيد:

لما كان الغرض الأساس من البيان الصحفي تحقيق الوظيفة الإقناعية، كان لزاما أن يعمد منشئ الخطاب إلى تأكيد أطروحته والتأثير في المتلقي، والتوكيد من أبرز الأساليب اللغوية التي يلجأ إليها المتكلم بغية تدعيم آرائه ومواقفه، ومنشئ الخطاب في هذا البيان الصحفي، وظف أسلوب التأكيد، من خلال استعمال أدواته المتعددة، أبرزها "أنّ" و"إنَّ" و"قد"، وفيما يلي نعرض أمثلة لذلك:

- "**كما أنّها تتفهم القلق والانزعاج الذي خلفه ارتفاع أسعار زيوت المائدة...؛**
- **وللعلم، فإنّ هذه الزيادة التي همت جميع الفاعلين راجعة...؛**
- **فقد تمكنت لوسيور كريسطال من تأمين مخزون مهم من المواد الأولية...؛**
- **فإنّ شركة لوسيور كريسطال نفسها مضطرة إلى عكس جزء من هذه الزيادات على أثمنة منتوجاتها**".

كل هذه الأمثلة جاءت مؤكدة بـ"إنَّ" "أنّ" و"قد"، وقد استعمل هذا التأكيد لإثبات حقيقة ما، فقد استعمل لإثبات أن الشركة تتفهم القلق والانزعاج الذي خلفه ارتفاع أسعار زيوت المائدة، كما وظف لتأكيد أن هذه الزيادة همت جميع الفاعلين وليس لوسيور كريسطال فقط، وفي هذا توجيه ذكي من منشئ الخطاب لمن يريد مقاطعة الشركة فقط دون غيرها. وقد أدى حرف التأكيد "قد" دلالة تحقق الشيء؛ أي أن منشئ الخطاب (شركة لوسيور) يتجه إلى تحقيق الدعوة التي يدافع عنها مبعدا الشبهة والشك والريب عن خطابه.

هكذا يتضح لنا أن أسلوب التأكيد قد حضر بشكل مكثف في خطاب الشركة، وهذا ليس غريبا لأنها تحاول أن تثبت طرحها، وقد تعددت أدوات التأكيد في البيان الصحفي بين الأدوات المعروفة (إن، أن، قد)، وكذلك من خلال تكرار بعض الألفاظ بعينها بغية تأكيد الفكرة وترسيخها في ذهن المستمع.

4-2: حجاجية الفعل الكلامي:

يقصد بالفعل الكلامي "كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي، دلالي، إنجازي، تأثيري. وفضلا عن ذلك، يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية... لتحقيق أغراض إنجازية، (كالطلب والأمر والوعد والوعيد.. الخ)، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول). ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعيا أو مؤسساتيا، ومن ثم إنجاز شيء ما"[144].

ولقد ميز **أوستين** بين ثلاثة أفعال كلامية هي فعل القول، وفعل الإنجاز وفعل التأثير. كما اقترح نمذجة للأفعال الإنجازية مميزا بين خمس طبقات وهي: طبقة الأفعال الحُكمية، وطبقة الأفعال التنفيذية، وطبقة الأفعال التعهدية، وطبقة الأفعال السلوكية، وطبقة الأفعال العرضية[145].

سيرفض **سورل** هذا التصنيف، وسيقترح تقسيما خماسيا آخرَ معتمدا على القوة الإنجازية التي يحققها الفعل مركزا على ثلاثة معايير هي: (الغرض الإنجازي، اتجاه المطابقة، الموقف النفسي). وبناء على هذين التقسيمين –تقسيم أوستين وسورل– سنحاول استنباط حجاجية الأفعال الكلامية التي وظفت في البيان الصحفي قيد الدراسة.

أ– الإخباريات:

الإخباريات أو التأكيديات، هي ملفوظات غرضها نقل المتكلم لواقعة ما من خلال قضية محددة تعبر عنها؛ أي إن غرضها الأساسي هو التقرير[146]، يتعهد من خلالها المتكلم "بدرجات متنوعة بأن شيئا ما هو واقعة حقيقية، وتعهده كذلك بصدق قضية ما"[147].

ويوضح الجدول الآتي الملفوظات الإخباريات/التأكيديات التي وردت في البيان الصحفي:

الفعل الكلامي	القوة الإنجازية
تحرص لوسيور كريسطال على الإنصات الدائم لزبنائها وشركائها.	**التأكيد** على حرص الشركة على الإنصات لصوت الزبناء والشركاء.
كما أنها تتفهم القلق والانزعاج الذي خلفه ارتفاع أسعار زيوت المائدة بالسوق المغربية خلال الأشهر الأربعة الماضية.	**الإقرار** بتفهم الشركة للقلق المغاربة الناتج عن ارتفاع أسعار زيوت المائدة وهو تأكيد على مراعاة الشركة لشعورهم وانزعاجهم..
فقد تمكنت لوسيور كريسطال من تأمين مخزون مهم من المواد الأولية..	**الإخبار** عن عمل الشركة على تأمين مخزون مهم من المواد الأولية لكي لا يتأثر المستهلك المغربي بتغير الأسعار دوليا تأثرا مباشرا في

[144]) صحراوي (مسعود): التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة، 2005، بيروت، ص: 40.
[145]) ينظر: ختام (جواد): التداولية، أصولها واتجاهاتها، ط1، 2016، دار طنوز المعرفة، عمان، الأردن، ص: 90.
[146]) ينظر: عبد الحق صلاح إسماعيل: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ط1، 993م، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ص: 232.
[147]) بن ظافر الشهري (عبد الهادي): استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ط1، 2004، دار الكتاب الجديدة، بيروت، ص: 123.

	حينه..

يلاحظ من خلال الجدول اعتماد منشئ الخطاب جملة من الأفعال الإخبارية/التأكيدية التي تسهم في تقوية حجتها، ودعم موقفها في مقام الدفاع عن نفسها، من أجل كسب تأييد الجماهير وإفحام أصحاب المقاطعة. ولقد حاولت الشركة أن تنقل الوقائع والأحداث التي تؤكد خدمة الشركة لمصالح المستهلك المغربي ومراعاة وضعيتها تفهم قلقه وانزعاجه، مما يجعلها تتمتع بقوة إنجازية وتؤدي وظيفة حجاجية إقناعية.

لقد اضطلعت هذه الأفعال الإخبارية/التأكيدية بدور حجاجي مهم؛ إذ تجاوزت فعاليتها الفعل الإنجازي الذي لا يراوح مداه دائرة نقل الحقيقة المطابقة لما هو موجود في الواقع[148] إلى مدارج الفعل الحجاجي والأثر الإقناعي من خلال الإقرار والتأكيد على مراعاة الشركة للمستهلك المغربي وظروفه المادية من خلال تفهم قلقه وتأمين احتياجاته من زيت المائدة والإنصات إلى صوته في حال تضرره.

ب-التعهدية/الإلزاميات:

وهي ملفوظات "تتصف بكون المتكلم يلتزم تجاه المخاطب بإنجاز عمل ما في المستقبل"[149]، وهذه الملفوظات التعهدية يمكن أن تنفذ، كما قد لا تنفذ، وعليه فهي لا يمكن أن توصف بالصدق أو الكذب[150].

يوضح الجدول الآتي الملفوظات التعهدية (الإلزاميات) التي وردت في البيان الصحفي:

الفعل الكلامي	القوة الإنجازية
وحرصا منها على حماية القدرة الشرائية للمستهلكين المغارب فإن شركة لوسيور كريسطال ستواصل بذل قصارى جهدها للتخفيف من أثر تقلب الأثمنة العالمية للمواد الزراعية الأولية.	شركة لوسيور كريسطال **تعد** المستهلكين المغاربة بأنها تعمل جاهدة على مراعاة القدرة الشرائية لهم.

لقد ورد الملفوظات التعهدية في البيان الصحفي مرة واحدة مقارنة مع الإخباريات، كما جاء فعل التعهد (ستواصل) في سياق حجاجي حاول من خلاله منشئ الخطاب طمأنة المستهلكين المغاربة وتبديد

148) ينظر: مصدق محمد أمين: حجاجية الأفعال الكلامية في مناظرات الشيخ أحمد ديدات، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، عدد 04، المجلد8، سنة 2019، ص: 328.

149) بن ظافر الشهري (عبد الهادي): استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص: 93.

150) جون سورل: العقل واللغة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، ط1، منشورات الاختلاف، 2006، الجزائر، ص: 218.

مخاوفهم من زيادات أخرى في أثمنة المنتوجات عن طريق تقديمها التزام/تعهد بذل قصارى جهدها للتخفيف من أثر تقلب الأثمنة العالمية للمواد الزراعية الأولية.

إن منشئ الخطاب قد وعد المستهلكين المغاربة وذلك من خلال دلالة حرف "السين" الذي سبق الفعل "تواصل". فمن خلال هذا التركيب فقد ألزمت الشركة نفسها أمام المستهلكين ببذل قصارى جهدها للتخفيف من أثر تقلب السوق الدولية للمواد الأولية وتأثيرها على المغاربة. لكن الوعد هنا والإلزام ليس صريحا، أي أن الوعد يفهم من خلال التركيب اللغوي فقط، فهناك فرق بين:

- فإن شركة لوسيور كريسطال **ستواصل** بذل قصارى جهدها للتخفيف من أثر تقلب الأثمنة...

وبين عبارة:

- فإن شركة لوسيور كريسطال **تتعهد/تعد/تلتزم** بمواصلة بذل قصارى جهدها للتخفيف من أثر تقلب الأثمنة..

ففي العبارة الأولى تتاح لمنشئ الخطاب فرصة لتبرير أي زيادة أو إنكار هذا الوعد في حالة عدم الوفاء، وتعليل ذلك ببعض الحجج مثل أنه كان صادقا أو أنه كان ينوي ما وعد به لحظة التلفظ بالفعل في البيان، أو أن خطابه يتضمن، فقط، التعبير عن رغبته في بذل الجهد لكن تخلفه كان بفعل الظروف العالمية غير الملائمة. بينما في العبارة الثانية الخطاب صريح في الدلالة على عزمه على تنفيذ ما التزم ووعد به[151].

هكذا إذن يتضح لنا أن التعهد والوعد تم بطريقة ضمنية غير صريحة في الدلالة على الوعد. وهو ما يتيح لمنشئ الخطاب هامش المناورة مستقبلا والتملص من الذي قطعه مع المستهلكين المغاربة من خلال البيان الصحفي بعد أن يكون غبار المقاطعة قد انقشع وزال الخطر على الشركة ومنتوجاتها.

4-3: خطاب لوسيور من الإيتوس إلى الباطوس:

إن اكتفاء الخطيب في خطابه الحجاجي بما هو عقلي يجعل خطابه لا يتجاوز عتبة التأثير في رأي المتلقي، فإن هو أراد "التحكم في الإرادة وإنتاج الفعل وجب عليه تجاوز العقل واستثمار الوجدان والعواطف، لأنها تحظى بالدور الحاسم في توجيه الأحكام واتخاذ القرارات"[152]. وبالرغم من أننا أمام بيان صحفي مكتوب، فإن الإيتوس والباطوس تحضر وظيفتهما الإقناعية، وتبرز فعاليتهما، ولذلك سنعمل على الوقوف عند كل واحد منهما قصد استجلاء وظيفة كل واحد منهما.

---

[151]) ينظر: بن ظافر الشهري (عبد الهادي): استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص: 135-136.

[152]) في بلاغة الحجاج، ص: 257، بتصرف.

أ- حجاجية الإيتوس:

يعمل كل منتج للخطاب على رسم صورة له داخل خطابه سواء أكان خطابه كتابيا أو شفهيا، وذلك من أجل تحقيق أغراض مختلفة كالإقناع أو المحاججة أو المغالطة، فيخلق بذلك صورا عن نفسه، ويسمى ذلك إيتوسا.

إن "الإيتوس Ethos كلمة يونانية تعني السلوك أو العادة، كما تعني مميزات الشخصية. ويحاط مفهوم الإيتوس ببعض الغموض لدلالته على أكثر من معنى، واستخدامه في أكثر من مجال" من جهة، ولتنوع المصطلحات المعبرة عنه نتيجة الترجمات المتعددة من جهة أخرى، فهو يعني عند البعض "أخلاق الخطيب" les caracteres، ويعني عند آخرين "الوصف الخلقي" portrait moral، وعند فريق ثالث يأخذ معنى الصورة image، كما يستعمل بمعنى السمت l'allure واللهجة أو النبرة ton/air.."[153].

وعليه، فالإيتوس هو كل ما يرتبط بالخطيب من أفعال، وهيئة، وطريقة كلام، وحركات، وتعابير وجه..، بمعنى آخر هو كل ما يجعل كلام الخطيب مقبولا من قبل المستمع، وهو ما حاولت شركة لوسيور توظيفه في بيانها الصحفي من خلال محاول الظهور في صورة تجعل خطابا مقبولا لكي يحقق الإقناع. ومن ذلك ما جاء في البيان الصحفي:

"**رافقت الشركة المغربية لوسيور كريسطال، بالتزام دائم منذ ثمانين سنة، المغاربة في حياتهم اليومية عبر تزويدهم بزيوت مائدة عالية الجودة وبأثمنة مناسبة.**

وتحرص لوسيور كريسطال على الإنصات الدائم لزبنائها وشركائها، كما أنها تتفهم القلق والانزعاج الذي خلفه ارتفاع أسعار زيوت المائدة بالسوق المغربية خلال الأشهر الأربعة الماضية".

إن هذا الخطاب الاستهلالي في بداية الخطاب يذكر فيه منشئ الخطاب وزبناء الشركة وشركاءها بأنها تتفهم قلقهم وانزعاجهم جراء ارتفاع الأسعار، فالشركة تحرص على مصلحتهم، فهي مقدمة استندت إلى حجة الإيتوس (خطاب الشركة وأفعالها). فمنشئ الخطاب يدرك أن حججه قد لا تكون قوية، وقد ترفض من لدن المستمع، فلذلك حاول أن يظهر من خلال البيان الصحفي في صورة الشخص الموثوق، فكلما كانت الثقة متبادلة كانت الحجج قوية والخطاب مقنعا، كما "أن السياق الحجاجي يفرض أحيانا على المتكلم أن يتحدث عن ذاته أو يصفها ويثني عليها، وخاصة إذا كانت صورته في السياق الخارجي (الإيتوس الجاهز) قد تعرضت لما يشكك في قيمتها"[154].

إن للإيتوس وجوها ثلاثة: الإيتوس الجاهز والإيتوس الصريح والإيتوس المضمر، ويعني ذلك أنه قد "يدل على السمعة التي يحظى بها التكلم خارج النص الذي يواجهه المتلقي.. و قد يدل على الصورة التي

[153]) حاتم عبيد: في تحليل الخطاب، ص: 117.
[154]) في بلاغة الحجاج، ص 180.

يرسمها المتكلم لذاته في ما يشبه البورتريه الذاتي، إذ يعمد الخطيب إلى ذ كر سماته وفضائله[155]، ومن ذلك ذكر الشركة لبعض سماتها وفاضلها في بيانها الصحفي، تقول:

"**تعمل شركة لوسيور كريسطال على تسويق مجموعة كاملة من العلامات التجارية التي تخص إنتاج الزيوت، وهي العلامات التي حازت منذ ثمانين سنة على ثقة ووفاء الملايين من المستهلكين المغاربة، وتعد لوسيور كريسطال شركة مغربية بامتياز، مواطنة ومسؤولة، تضم السمن عائلتها الكبيرة أزيد من 2000 موظف وموظفة، وتواكب شراكة العديد من الجمعيات التعليمية والبيئية، كما تدعم شركة لوسيور كريسطال العديد من المشاريع التي تساهم في التنمية الاقتصادية وبالتالي المساهمة في الإشعاع الوطني**".

تقدم الشركة نفسها في البيان الصحفي ومن خلال هذه الفقرة في صورة الشركة التي كسبت ثقة المغاربة ووفاء المستهلكين منذ سنوات، وهي صورة –بدون شك– ستسهم في قبول خطابها والتحمس إليه من قبل كل مغربي متضرر من الزيادة يصله الخطاب. فخطاب الشركة لن يكون مشروعا إلا إذا اتسم قائله بالمشروعية –أي الشركة–، ومن تم تنتقل المشروعية من الشركة إلى خطابها.

إن منشئ الخطاب واعي من خلال خطابه على أن تحقيق الإقناع لن يكون بالحجج فقط، وإنما ينبغي أن تتساوق الحجج مع تلك الصورة الايجابية التي يحاول منشئ الخطاب رسمها لنفسها عند المتلقي عن الشركة، لأن "اهتمام الخطاب البليغ بإيقاع التصديق بدل خلق اليقين، واهتمامه بما يشبه الحقيقة وليس الحقيقة، هو الذي أفضى إلى إدماج الشخص (الشركة) في العملية الحجاجية بدل إقصائه منها كما يفعل المنطق الشكلي. لا يمكن فصل الخطابات الحجاجية عن الذوات المتشاركة فيها؛ فالخطاب البليغ موصول بصاحبه..."[156].

وصفوة القول، إن منشئ الخطاب من خلال توظيفه لاستراتيجية الإيتوس يسعى إلى تقريب المسافة من المتلقي وإلى الظهور بمظهر مؤثر يدفع بَالمخاطب إلى الاقتناع بخطابه وتقبل الزيادة في أثمنة منتوجات الشركة.

ب–الاحتكام إلى الأهواء:

لقد قسم أرسطو الاستراتيجيات الخطابية الحجاجية إلى ثلاث وهي: اللوغوس والإيتوس والباطوس، فإذا كان اللوغوس يكمن في الخطاب ذاته، وكان الإيتوس مرتبطا بخلق الخطيب، فإن الباطوس "لفظ عام يدل على مجموعة من الأهواء التي يثيرها الخطيب في السامع لحمله على قبول دعواه أو وجهة نظره.. ويكمن الباطوس في السامع عندما ينقله الخطيب من حالة إلى أخرى"[157]، يقول أرسطو عن الباطوس إنه

155) في بلاغة الحجاج، ص: 188.
156) مشبال (محمد): في بلاغة الحجاج، ص 169.
157) في بلاغة الحجاج، ص: 257.

"الأحوال التي يكون عليها السامعون عندما يثير الخطاب انفعالاتهم؛ لأننا لا نصدر الأحكام نفسها في حالتي الحزن أو الفرح ، والحب أو الكراهية"[158]،

وكثيرا ما ينظر إلى الباطوس باعتباره مغالطة، فهو كذلك حينما يراد به الخداع، ومغالطة في سياق الاستدلال العلمي، لكنه ممارسة اجتماعية في السياق التواصلي الإنساني العادي، فالإنسان في حياته اليومية يسعى إلى إثارة أهواء الآخر لا بقصد الخديعة دائما، ولكن لأنه سلوك تواصلي اجتماعي. فإذا "كان الموقف السائد في نظريات الحجاج المعاصرة النظر إلى الباطوس باعتباره مغالطة تعمي المخاطب عن إدراك الحجج وتعيق قدرته على التعقل وعلى الاستدلال، وتجبره على الإذعان سالبة منه حرية الاختيار، فإن هناك موقفا آخر يدافع عن مكانة هذا الضرب من الحجاج في خطابات تعد ممارسة اجتماعية سياسية وليست ممارسة منطقية"[159]، وعليه يمكن محاكمة الباطوس انطلاقا من النتائج التي يهدف إليها في سياق تواصلي مخصوص، فإذا كان الهدف منه هو الخداع وتخفيف درجة التيقظ لدى المستمع اعتُبر مغالطة، وإذا كان إجراءً عاديا في سياق تواصلي خاص، عُد حجاجا صحيحا.

لا غرو إذن أن الخطيب لكي يكون مقنعا ومؤثرا عليه أن يوجه أهواء مستَمعيه، فخطابه لا ينبغي أن يبنى فقط على قوة الحجج، وإنما على إثارة أهواء المستمع. ومن أجل إثارة هذه الأهواء وجب عليه أن يعرف جمهوره بدقه، وبأن يعرف نفسيته، والأشياء التي يتأثر بها، لذلك وجدنا منشئ الخطاب يعمل على إثارة أهواء المغاربة الذين رفعوا صوتهم احتجاجا على ارتفاع أسعار منتوجات شركة لوسيور من الزيوت، يقول:

"رافقت الشركة المغربية لوسيور كريسطال، بالتزام دائم منذ ثمانين سنة، المغاربة في حياتهم اليومية عبر تزويدهم بزيوت مائدة عالية الجودة و بأثمنة مناسبة.

وتحرص لوسيور كريسطال على الإنصات الدائم لزبنائها وشركائها، كما أنها تتفهم القلق والانزعاج الذي خلفه ارتفاع أسعار زيوت المائدة بالسوق المغربية خلال الأشهر الأربعة الماضية".

إن منشئ الخطاب من خلال هذه الفقرة يثير في متلقي خطاب الشركة العاطفة بناء على أنها تحرص دائما على التواصل والإنصات، كما أنها ترعى مصالحهم منذ ثمانين سنة. فالخطاب يربط السابق باللاحق (خطابات الشركة بخطاب آني) وهو خطاب فيه ما فيه يحمل من الكذب كما يحمل من الصدق وصدقه يمكن إثباته بالرجوع فعلا إلى ما يدعيه خطاب الشركة.

ويتكرر الأمر في الخطاب أي توظيف منشئ الخطاب في خطابه لاستراتيجية الحجاج بالعواطف من خلال إثارة الأهواء، تقول:

---

[158]) أرسطو: الخطابة، ترجمة عبد الرحمان بدوي، ص: 103-104.
[159]) في بلاغة الحجاج، ص: 263.

"وتعد لوسيور كريسطال شركة مغربية بامتياز، مواطنة ومسؤولة، تضم السمن عائلتها الكبيرة أزيد من 2000 موظف وموظفة، وتواكب شراكة العديد من الجمعيات التعليمية والبيئية، كما تدعم شركة لوسيور كريسطال العديد من المشاريع التي تساهم في التنمية الاقتصادية وبالتالي المساهمة في الإشعاع الوطني".

يحاول منشئ الخطاب من خلال هذه الفقرة اللعب على الوتر الحساس عند المغاربة وإثارة عاطفتهم وضميرهم من خلال التأكيد على مغربية الشركة، في محاولة لقطع الطريق على دعاة المقاطعة الذين يعتبرون الشركة فرنسية من حيث الأصل ومن حيث رأس المال ونسبة الاستحواذ. وتتابع استراتيجية الحجاج بالأهواء من خلال عبارة "مواطنة ومسؤولة"، وأنها توظف ما يزيد عن 2000 موظف وموظفة، مما يعني أن مقاطعة الشركة ومنتوجاتها سيكون تأثيره على الموظفين المغاربة كذلك وليس فقط على الشركة.

هكذا إذن، يتضح لنا أن منشئ الخطاب من خلال البيان الصحفي سعى إلى تحقيق الإثارة العاطفية للمتلقي، على اعتبار أن إثارة العواطف والمشاعر أكثر تأثيرا من مخاطبة العقل.

4-4: المغالطة:

إذا كان كل خطيب يهدف إلى خلق التصديق لدى مستمع خاص، وإذا كانت وسيلته في ذلك هي اعتماد استراتيجيات خطابية عقلية (اللوغوس)، وانفعالية (الإيتوس والباطوس)، فإن ذلك لا يعني بأي حال أن هذه الحجج استعملت بطريقة صحيحة (الحجاج الصحيح)، فالمناظر غالبا ما يعمد إلى تغليط السامع باستعمال الاستراتيجيات الخطابية نفسها (المغالطات الحجاجية/ الحجاج الفاسد)، وتعرف المغالطة بأنها "إيهام الصدق لا على طريق الاحتمال، كذب لا تقام عليه قرائن تحيده وتنفيه، غرضه الإيقاع عمدا في الخطأ، "خدعة" أو "خديعة" بدون تعقيب. ومعنى هذا أنها تصيب الخطاب التصديقي المقامي الموجه إلى معين: مستمع auditoire حقيقة. ولا تستعمل في الانزياح الشعري إلا مجازا. فلا يمكن مثلا أن نتهم شاعرا بالمغالطة إلا على وجه المجاز والاستعارة. ويمكن أن يتهم بالخطأ في المعرفة، إن وقع"[160]، وعليه فالمغالطة عند محمد العمري حجاج فاسد يتم توظيفه في الخطاب التداولي التصديقي، فكل ما يقوم على التصديق والإقناع والتأثير قصد فعل أمر ما أو تركه يكون مجالا للخديعة والمغالطة.

ولذلك سنقف عند مغالطة وردت في البان الصحفي، وهي قول منشئ الخطاب ما نصه:

"رافقت الشركة المغربية لوسيور كريسطال، بالترام دائم منذ ثمانين سنة، المغاربة في حياتهم اليومية عبر تزويدهم بزيوت مائدة عالية الجودة و بأتمنة مناسبة".

[160]) العمري (محمد): "المغالطة في فضاء الاحتمال"، ص: 2.

"..وتعد لوسيور كريسطال شركة مغربية بامتياز، مواطنة ومسؤولة،.."

إن منشئ الخطاب من خلال البيان يؤكد على مغربية الشركة من خلال الفقيرين أعلاه، والحال أن الشركة الآن مملوكة لمجموعة "سوفيبروتيول" الفرنسية سابقا مجموعة أبريل (AVRIL) حاليا، إذ استحوذت المجموعة سنة 2012 على أسهم الشركة بعد بيعها من قبل مجموعة "أونا"، وبالتالي فالشركة الأن وإن كان مقرها بالمغرب وتشتغل به وتحتكر السوق المغربية إلا أنها فرنسية.

لا شك أن منشئ الخطاب من خلال إصراره على عبارة "شركة مغربية" يحاول إبعاد الغاضبين وأصحاب شعار المقاطعة عن عبارة "شركة فرنسية" تجنبا لما عانت منه شركة الحليب ومشتقاته "سنطرال" أيام مقاطعة منتوجاتها بفعل الزيادة، وفي هذا مغالطة للمتلقي.

4-5: القياس المضمر:

القياس المضمر هو قياس حذفت إحدى مقدمتيه، ويكثر استعماله في الخطب والمناظرات، وفي البيان الصحفي قيد الدراسة وُظف القياس المضمر ومن ذلك:

"**وللعلم، فإن هذه الزيادة التي همت جميع الفاعلين راجعة بالأساس إلى ارتفاع مهم في أسعار المواد الزراعية الأولية على الصعيد الدولي. ومنذ ماي 2020، بلغ ارتفاع سعر الصوجا 80% وسعر عباد الشمس 90%**".

في هذه فقرة استند منشئ الخطاب إلى القياس، إذ في الفقرة مقدمة كبرى مرتبطة بإرجاء ارتفاع الأسعار إلى الأسواق الدولية، وهو ما حذا بالشركة إلى رفع ثمن المنتوج قياس هنا بناء على نتيجة، مع حذف المقدمة الصغرى، ويمكن توضيح ذلك من خلال الآتي:

المقدمة الكبرى: ارتفاع أسعار المواد الزراعية الأولية على الصعيد الدولي.

المقدمة الصغرى: ارتفاع تكلفة المواد الزراعية الأولية محليا لاعتماد المغرب على الاستيراد من الخارج.

النتيجة: زيادة الشركة وجميع الفاعلين في أثمنة زيوت الطهي.

وهذه النتيجة يمكن للمستهلك أن يسلم بصحتها، لكن، سبق أن أقرت الشركة بأن لها مخزونا كافيا من المواد الأولية. هنا يطحر السؤال: إن كان المخزون كافيا فلماذا الزيادة في الأسعار الآن؟ وإن كان هذا المخزون قد مكن من تأخير أثر ارتفاع الأسعار العالمية على السوق الوطنية، فهل المخزون يخص فقط شركة لوسيور كريسطال أم يخص جميع الفاعلين؟

4-6: حجاجية الأرقام:

اعتمد منشئ الخطاب في البيان الصحفي لتبرير الزيادة في أثمنة منتوجات الشركة حجة الأرقام من خلال النسب المئوية، تقول:

"**وللعلم، فإن هذه الزيادة التي همت جميع الفاعلين راجعة بالأساس إلى ارتفاع مهم في أسعار المواد الزراعية الأولية على الصعيد الدولي. ومنذ ماي 2020، بلغ ارتفاع سعر الصوجا 80% وسعر عباد الشمس 90%**".

إن أول ما يطالعنا في هذه الفقرة هو أنها استندت إلى حجة الأرقام وهي سفسطة اللعب بالأرقام والنسب المئوية، ذلك أن النسب المئوية تبقى قابلة للطعن. فقد يقول قائل: إذا كانت أسعار المواد الزراعية الأولية قد ارتفعت دوليا منذ ماي 2020 بنسب تقترب من 100**%، فلماذا لم تنعكس هذه الزيادة على السوق المحلية في تلك الظرفية؟ ولماذا هذه الزيادة الآن؟ ولماذا هذه الزيادة في أسعار الزيوت "طُبقت من قبل جميع الشركات؟ ألا يحيل هذا إلى وجود اتفاق ضمني بينها؟ ألا أمر يعتبر هذا الأمر غير قانوني، ويخالف منطق المنافسة؟.**

خلاصة:

بناء على هذه المحاولة الطموحة يكون قد تبدا لنا أن بلاغة الإقناع في البيان الصحفي تكمن في قدرة منشئ الخطاب على الإقناع والتأثير باستراتيجيات وتقنيات متعددة، ولقد خلصنا إلى مجموعة من النتائج نجملها في الآتي:

- إن الوقوف على تقنيات الحجاج في البيان الصحفي لشركة لوسيور، يكشف ضربا من التنوع والتعدد في الحجج، التي شكلت مزيجا بين آليات الحجاج اللغوي (الروابط الحجاجية، التوكيد، الفعل الكلامي...)، وبين تقنيات الحجاج البلاغي كاستراتيجيتا الإيتوس والباطوس، والمغالطة وغيرها..؛
- إن منشئ الخطاب –الشركة– لجأ إلى التوسل بالآليات الحجاجية اللغوية كالفعل الكلامي، والتوكيد، والروابط الحجاجية.. لأنها تكسب القول طاقات حجاجية لا تتوفر عليها الأقوال العادية، فمن خلالها عملت الشركة على تأكيد الأفكار التي تطرحها وتحاول إقناع المستمع بها؛
- اعتمد البيان الصحفي مجموعة من الآليات والتقنيات الحجاجية المختلفة ذات المنطلق البلاغي الحجاجي، لعل أبرزها الإيتوس والباطوس –على تعددها–، وقد اجتهد في استثمار هذه الآليات قصد تحقيق الإقناع؛
- لقد أبان البحث عن قدرة التحليل الحجاجي في اقتراح آليات لتحليل الخطابات وخصوصا الخطاب الإعلامي، فالحجاج يقدم تقنيات وآليات ناجعة لمقاربة خطاب البيان الصحفي، والمتمثلة في آليات الحجاج اللغوي، وتقنيات الحجاج البلاغي؛

- إن البلاغة العامة قادرة على اقتراح جهاز مفاهيمي يصلح لمقاربة كل أنواع الخطابات الاحتمالية، فالنظرية الحجاجية، تصلح لمقاربة الخطاب الإعلامي، وخطاب المناظرة، كما تصلح لمقاربة الخطاب السياسي، والخطاب الديني، والخطاب الشعبي... لكن مع ضرورة احترام طبيعة هذه الخطابات.

والخلاصة أن المقاربة الحجاجية كشفت عن قدرة التحليل الحجاجي في سبر أغوار الخطاب وكشف خباياه، خصوصا إذا ما تم الانفتاح على مختلف النظريات الحجاجية، على بتنوعها، والاستفادة منها، لأن من شأن ذلك أن يغني الدراسة ويمدها بآليات جديدة.

المراجع

باللسان العربي:

- إبرير (البشير): استثمار علوم اللغة في تحليل الخطاب الإعلامي، مجلة اللغة العربية، العدد 23، المجلس الأعلى للغة العربية، دار الخلدونية، الجزائر.
- إبرير (البشير): التحليل السيميائي للخطاب الإشهاري، دراسة في تفاعل أنظمة العلامات وبلاغة الإقناع، مجلة اللسانيات واللغة العربية، العدد الأول، جامعة عنابة، الجزائر.
- أرسطو: الخطابة، ترجمة عبد الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979،
- بنو هاشم (الحسين): نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتاب الجديدة المتحدة بيروت، ط1، 2004.
- جون سورل: العقل واللغة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، ط1، 2006، الجزائر.
- الوالي (محمد): مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشاييم بيرلمان، ضمن عالم الفكر، المجلد40 العدد،2أكتوبر،ديسمبر 2011.
- لعنكري (خالد): مظاهر التسامح في الخطاب الإعلامي العربي خلال جائحة كوفيد 19، مقاربة تساندية في نماذج.
- المبخوت (شكري): نظرية الحجاج في اللغة، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود".
- مشبال (محمد): في بلاغة الحجاج، نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، دار كنوز للمعرفة، عمان، ط 1؛ 2017 م– 1438 هـ.

- مصدق محمد أمين: حجاجية الأفعال الكلامية في مناظرات الشيخ أحمد ديدات، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، عدد 04، المجلد8، سنة 2019.
- ملوك (عبد القادر): الحجاج بالنوازع، رهان الخطاب الإعلامي، الإعلام السمعي البصري نموذجا، مجلة تكامل، العدد الأول، يناير، 2021.
- منذر جاسم صالح الزبيدي: دور وسائل الإعلام في صنع الدور السياسي، ط1، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الأرض.
- ناجح (عز الدين): العوامل الحجاجية في اللغة العربية، دار نهي، صفاقس، تونس، ط 1، 2011.
- صحراوي (مسعود): التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة، 2005، بيروت.
- صولة (عبد الله): الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكا مقال ضمن سلسلة: آداب، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود".
- صولة (عبد الله): في نظرية الحجاج، دار الجنوب للنشر والتوزيع، تونس، ط 1، 2011.
- العاقد (أحمد): تحليل الخطاب الصحفي، من اللغة إلى السلطة، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 2002.
- عبد الحق صلاح إسماعيل: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ط1، 993م، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت.
- عبيد حاتم: في تحليل الخطاب، ط1، 2013، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الأردن.
- العزاوي (أبو بكر): الحجاج في اللغة والبلاغة (ديكرو وبيرلمان أنموذجا)، مقال ضمن مقرر الفصل الثالث لماستر البلاغة وتحليل الخطاب- مادة: الحجاج في النص القانوني).
- العزاوي (أبو بكر): الحجاج في اللغة، مجلة فكر ونقد، السنة 7، العدد 61، شتنبر 2003.
- العزاوي (أبو بكر): نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، مجلة المناظرة، ع 4، 1991، الرباط.
- العزاوي(أبو بكر): اللغة والحجاج، العمدة، الدار البيضاء، ط1، 2006.
- العمري (محمد): البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، أفرقيا الشرق، المغرب، الطبعة الثانية، 2012.
- ريميه حمدي: دور وسائل الإعلام في معالجة المشكلات المرورية، مجلة الدراسات الإعلامية، برلين، ألمانيا.
- ختام (جواد): التداولية، أصولها واتجاهاتها، ط1، 2016، دار طنوز المعرفة، عمان، الأردن.
- الشهري (عبد الهادي بن ظافر): استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004.

باللسان غير العربي:

- Austin .J.L: Quand dire c'est faire, Seuil, Paris, 1962.

القبيلة الصحراوية: قراءة في المسار التاريخي والوضعية الراهنة.

The desert tribe: a reading of the path and situations

د. النعمة بوشامة

حاصل على شهادة الدكتوراه، تخصص علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية– القنيطرة–المغرب

ملخص:

يأتي مقالنا هذا لتقديم مقاربة علمية أولية حول أبرز الخصوصيات الاجتماعية للمجتمع الصحراوي القاطن ضمن مجال الجنوب المغربي حيث تقتضي منا هذه المحاولة لسبر جانب من أغواره واقتحام بعض من تفاصيله الوقوف أساسا عند المكونات القبلية الرئيسية المشكلة لهذا المجتمع، والمتحكمة في بنياته الاجتماعية وطبيعة العلاقات الاجتماعية.. وهي ما يشكل في المحصلة تركيبة هذا المجتمع وهرميته الاثنية، الأمر الذي حفزنا إلى البحث العلمي الدقيق حول بعض مظاهر هذه الخصوصيات وأهم المنطلقات التي يوظفها الباحث أثناء حواره معها، مسلطين الضوء على موضوع القبيلة بالصحراء، وذلك سعيا منا لمواصلة خدمة البحث العلمي والأكاديمي حول هذا المجال، معتمدين في ذلك على تقنية المقابلة المباشرة التي استهدفت مبحوثين من فئات عمرية مختلفة.

الكلمات المفتاحية:

القبيلة، الصحراء، المجتمع.

Summary

This article of ours comes to present a scientific approach on the most prominent social characteristics of the desert community residing within the field of southern Morocco, where this attempt requires us to explore some of its depths and break into some of its details. What constitutes, in the end, the composition of this society and its ethnic hierarchy, which motivated us to conduct accurate scientific research on some aspects of these characteristics and the most important starting points that the researcher employs during his dialogue with them, highlighting the issue of the tribe in the desert, in an effort to continue serving scientific and academic research in this field. They relied on the direct interview technique that targeted respondents of different age groups.

key words:

The tribe, the desert, the community.

مقدمة:

تكون مجتمع الساقية الحمراء ووادي الذهب في تشكيلاته الاجتماعية من مجموعة قبائل متعددة، اعتمدت تاريخيا على نمط عيش الترحال والظعن، اذ شكل البحث عن الماء والكلأ وتنمية قطعان المواشي ديدن هذا المجتمع في زمن البداوة واللاستقرار قبل انتقاله لحياة الاقامة والاستقرار النهائي، وبذلك فإن ما يميز القبيلة في هذا المجتمع أن تشكلها جاء نتيجة لظرفيات اجتماعية واقتصادية وكذا سياسية، حيث أفضت الظروف الطبيعية القاسية بمجتمع هذه المنطقة إلى الانضواء

ضمن تجمعات بشرية لخلق نمط عيش يضمن لها البقاء والاستمرارية، وهو ما أدى إلى توحيد وتعاضد أفراد هذه التجمعات البشرية ضمن إطار مفهوم القبيلة، وهو الإطار الذي بدأ من دور وظيفي يسعى لتنظيم أفراد القبيلة إلى دور أكثر عمقا في بنية المجتمع، و"بما أن القبيلة في الصحراء انبثقت من هذا الدور التنظيمي، كان لزاما أن تعمل على تنظيم هذه الجماعات البشرية حسب علاقات النسب والقرابة، وأن يترأس هذه الجماعات زعيم له نفس الانتماء لهذه الجماعة، أو ما يسمى بالشيخ، والذي يلعب دورا أساسيا في هذا التنظيم"[161]، حيث يعهد لهذا الشيخ المشترط فيه الحكمة ورجاحة العقل ودماثة الأخلاق، السهر على شؤونها بمعية باقي شيوخ مجلس "أيت الأربعين "[162].

لقد كان ارتباط الفرد بالقبيلة بمجال هذه الدراسة وثيقا بالنظر إلى ما كانت تشكله له من رأسمال مادي ومعنوي، إذ "توفر له كل معاني الحماية والدفاع والإحساس بالقوة، إنها تشكل نقطة قوة بالنسبة له كفرد"[163]، كما تأسست تركيبة القبيلة في الصحراء على تراتبيات اجتماعية قائمة على تحديد القبائل وفق ما تضطلع به من مهام وأدوار، حيث يدخل عامل النسب والعرق ضمن هذه التحديدات القبلية، كما أن تداخل هذه الأدوار في ما بينها أدى إلى تشكل بنيات المجتمع الصحراوي الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، مما أفضى إلى جعل كل قبيلة تجد نفسها أمام تفريعات مؤسسة على المصالح الاجتماعية للمجتمع، مما جعل التمرد على هذه الأدوار أمرا عصيبا، لأنها كانت تستوعب مسبقا ما تتحمله من مسؤوليات أخلاقية وقيمية اتجاه المجتمع، ووفق هذا الإطار نتساءل عن ما هي أبرز خصائص القبيلة الصحراوية ؟

في البدء : تحديدات مفاهيمية:

القبيلة: يطلعنا حقل الانثروبولوجيا الثقافية أن القبيلة هي وحدة اجتماعية تجمع عدة معاشر أو عشائر أو مجتمعات محلية أخرى، وتنتشر في المجتمعات شبه البدائية بصورة شبه شاملة، وفيما يلي تحديد أهم سماتها:

1. تتميز القبيلة بمكان محدد وبلغة واحدة وبحضارة واحدة..

2. يشغل أفراد المجتمعات المحلية التي تتكون منها القبيلة أرضا مشتركة ويتكلمون لغة واحدة ويطبقون أنماط ثقافية مشتركة، ويترتب عن ذلك سهولة التفاعل الاجتماعي بين أعضاء القبيلة الواحدة لاشتراكهم في المكان واللغة والحضارة.. ولذلك يشعرون بانتمائهم جميعا إلى مجتمع واحد وتسود بينهم مظاهر التعاون والود والتماسك الاجتماعي، ويتضح هذا التماسك في المناسبات الدينية حيث تقام طقوس قبائلية يشترك فيها ممثلون عن جميع الوحدات الاجتماعية الفرعية، وكذلك الحال في حالة الخطر فعندما يتعرض أي جزء من القبيلة للخطر تهب القبيلة كلها للدفاع.

3. توجد تنظيمات رسمية في القبيلة تعمل على تأكيد وحدتها وتماسكها الاجتماعي وبالتالي تحافظ على كيانها واستمرار وجودها، أهم تلك التنظيمات التنظيم السياسي، يمثل القبيلة رئيس يحظى باحترام الجميع ويشاركه في رعاية شؤون القبيلة» مجلس القبيلة «ويتكون في الغالب من رؤساء العشائر إذا كانت القبيلة تتكون من عشائر أو من رؤساء المعاشر إذا كانت القبيلة دون عشائر.

---

[161] : للا زليخة بابا، المرأة في مجتمع البيظان: سؤال الكينونة، القبيلة في ثقافة الصحراء ورهانات التنمية، ثقافة الصحراء، فصلية ثقافية متخصصة تصدرها جمعية أصدقاء متحف الطنطان، العدد الرابع- خريف 2015، ص. 60.

[162] : مجلس أيت أربعين: أي حكم الأربعين وهو عبارة عن مجلس يتكون من أعيان القبيلة ووجائها إذ تتم العضوية داخله على أساس المعطى القبلي وتكون غالبا رئاسته متداولة بين الأعضاء، كما أن قراراته صادرة بالإجماع بناءا على العرف المحلي وعلى ما تمليه العقيدة الإسلامية. ويعمل هذا المجلس على سن القوانين الملزمة للجميع وعلى الدفاع عن المجال الخاص بالقبيلة والدفاع عن المراعي، وحماية أبار المياه، وصيانة الأماكن الصالحة للحرث والإشراف على توزيعها وحدود التماس مع القبائل المجاورة. كما أنه مفوض للتفاوض باسم القبيلة. وتتنوع التأويلات المقدمة لاصطلاح (ايت أربعين) أو مجلس الأربعين كما يسميه البعض، فهناك من يرجع التسمية الى عدد الأعضاء حيث أنه كان يتكون من أربعين عضوا، وهناك من يعزو كلمة أربعين كونها مرتبطة بعمر العضو إذ لا تعطى العضوية في المجلس إلا بعد بلوغ سن الأربعين.

[163] : للا زليخة بابا، المرأة في مجتمع البيظان: سؤال الكينونة، القبيلة في ثقافة الصحراء ورهانات التنمية، ثقافة الصحراء، فصلية ثقافية متخصصة تصدرها جمعية أصدقاء متحف الطنطان، العدد الرابع- خريف 2015، ص. 61.

4. أهم وظائف القبيلة هي تنظيم شؤون الدفاع والحرب. ففي حالة الخطر يظهر بوضوح تماسك القبيلة كوحدة اجتماعية وتظهر أهميتها وفائدتها، ويترتب على قوة الشعور الجماعي بوحدة القبيلة أن يسرع كل أعضاء القبيلة للدفاع في حالة تعرض أي جزء من القبيلة للغزو وكأن هذا الغزو شملهم جميعا، ونلاحظ فرقا كبيرا بين معاملة أعضاء القبيلة لبعضهم ومعاملتهم لأعضاء القبائل الأخرى..

التوطين: يعد التوطين عملية موجهة وفق تخطيط مسبق يسعى للاندماج الاجتماعي، يروم خلق تنمية اجتماعية واقتصادية وسياسية متكاملة، وتسعى هذه المخططات التوطينية الى استقرار الانسان البدوي، مما يؤدي الى خلق تغيير على مستوى البنيات الحضارية والثقافية ورفع المستوى الاجتماعي، وبذلك يتم ادماج المجموعات البدوية ذات النمط الترحالي والرعوي في البنيات القانونية والسياسية والاقتصادية الجديدة للمجتمع الحديث، فيضحون مواطنين لهم حقوق وواجبات وجزء من أساسيات التنمية البشرية المعول عليها في النهوض بالمجتمعات الخارجة من نمط عيش الظعن والترحال.

الساقية الحمراء ووادي الذهب: تقع في أقصى شمال غرب إفريقيا يحدها شمال إقليم الطنطان، وجنوبا رأس بوجدور، وشرقا لحمادة، وغربا المحيط الأطلسي، وتعتبر العيون عاصمتها. تنتمي المنطقة للصحراء الأطلنطية، والتي تمتد من وادي درعة شمالا إلى لكويرة جنوبا، والحدود الجزائرية شرقا، والمحيط الأطلسي غربا. وكانت منطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب تحت الاحتلال الإسباني من سنة 1884 حتى خروج أخر جندي إسباني منها سنة 1976 أي أنها خضعت للاستعمار قرابة قرن من الزمن، وسميت آنذاك بالصحراء الإسبانية، كانت تقطنها مجموعة من القبائل وهي قبائل الرقيبات والعروسين وإزركين وأولاد تيدرارين وأولاد دليم (حيدارة بشر أحمد، 1998، ص23).

1. **المسار التاريخي للقبيلة الصحراوية:**

وفق النظرة الارتقائية– التطورية للمجتمعات البشرية التي تدشنها بشكل واضح في تاريخ الانثروبولوجيا أعمال لويس هنري مورغان، فإن النظام القبلي يعود إلى طور خاص من التطور هو طور البربرية التي تقع بين القوم المميز لطور الوحشية وبين الدولة التي يعتبر ظهورها معاصرا لطور الحضارة"[164]، وهي بذلك بحسب الدراسات الانثروبولوجية والسوسيولوجية المتخصصة في دراسة مؤسسة القبيلة شكل من أشكال المجموعات البدائية التي تكونت في عصر ما قبل التاريخ، هذه الدراسات التي ستعمل في عصر ما بعد التاريخ الى خلع وصف البدائية عن القبيلة، خاصة في الدراسات التي أجريت على قبائل آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية، متجاوزة الدراسات الكولونيالية التي لطالما نظرت للقبيلة بنزعة استعلائية معتبرة اياها مجرد أشكال بشرية موغلة في البربرية والتوحش.

و"يستخدم علماء الأنثروبولوجيا فكرة القبيلة كما يكتب "غوديلير" لتعيين مجالين من الحقائق المختلفة ولكن ذات الصلة، فكلهم تقريبا يستخدمونها لتمييز نوع الشراكة من بين أمور أخرى، مع وضع محدد للتنظيم الاجتماعي الذي يقارنونه بأنماط تنظيم المجتمع الأخرى، "العصابات"، "الدول"، إلخ، هذه النقطة ليست بالإجماع بينهم بسبب عدم الدقة، نظرا لغموض المعايير المختارة لتحديد وعزل هذه الأنواع المختلفة من المجتمع، لكن الخلاف هو أعمق حول الاستخدام الثاني للمصطلح، عندما يتم استخدامه لتعيين المرحلة التطورية للمجتمع البشري"[165] ، كما أن الدراسات العلمية التي عملت على دراسة القبيلة وإن أوضحت التباين بين الأحلاف القبلية والاتحادات القبلية، لكنها في المقابل عملت على دراسة القبيلة كما لو أنها وحدة

[164] : عبد الودود ولد الشيخ، القبيلة والدولة في أفريقيا، ترجمة: محمد بابا ولد أشفع، الدار العربية للعلوم ناشرون، مركز الجزيرة للدراسات، ط.1، 2013، ص. 15.

[165] : ABDEL WEDOUD OULD CHEIKH. TRIBU ET ETAT EN AFRIQUE. Centre des études sahariennes. Edition : 2014. Rabat-Maroc. P. 16.

اثنية معزولة، إذ نجد أن الدراسات السوسيولوجية "تنفي البعد القرابي في القبيلة ويعتمد مفهوم التجمع القبلي إلا أنه يعتمد نموذج القبيلة الأفريقية لتحديد مفهوم القبيلة"[166] ، والقبيلة العربية لم تحد عن هذا الطرح الذي تناول القبيلة بنوع من الأحكام المسبقة، حيث نظرت إليها بعض الدراسات كوحدة اجتماعية معزولة عن محيطها الاجتماعي العام.

لقد ظلت هذه الدراسات الأنثروبولوجية والسيوسيولوجية لوقت طويل محصورة ضمن التحليلات التطورية، مما جعلها تنظر للمجتمعات القبلية كبنيات ثابتة لا تخضع لقانون التحولات الاجتماعية، إلا أن مجرد إعادة النظر لما قدمته الدراسات السوسيولوجية المعاصرة حول نظام القبيلة باعتباره نظاما محكما وأكثر تنظيما وتماسكا، تجعل الباحث يقف خلال دراسة القبيلة أمام أنساق وأقسام اجتماعية محكمة، واذا كان من العسير الوصول الى مفهوم دقيق للقبيلة، ذلك أن جميع الباحثين الذين اشتغلوا على هذا الموضوع خلصوا الى صعوبة اعطاء تعريف جامع لمعناها، ف"جاك بيرك في مقاله الذي يتساءل فيه عن معنى القبيلة يقر صراحة بصعوبة بل باستحالة وضع تعريف شاف لمفهوم القبيلة ومع ذلك يمكن أن نقترح مفهوما اجرائيا للقبيلة فنعتبر أن القبيلة هي شكل تنظيمي سياسي يقوم على أساس روابط العرق والتحالف ويخضع لمجموعة من القوانين الاجتماعية في نشأته الأولى وآلياته التنظيمية والبنيوية ثم صور تلاشيه وانمحائه، ويعتمد هذا الشكل التنظيمي على أجهزة تمثيلية شبه صارمة تعتمد أساسا معيار القوة العصبية والعمر والمال، وتتحدد في نظام القيم والإرث الثقافي المشترك، وترتبط بين أعضاء هذا التنظيم مصالح وعلاقات تفرض على الكل جملة من الواجبات وترتب له حقوقا مقابل ذلك وضمانات[167]".

تأثرت ذاكرة القبيلة الصحراوية في مجال الدراسة "بالوضعية الأمنية التي سادت المجال خلال الفترات الزمنية السابقة، فبمجرد استفزاز هذه الذاكرة يظهر أنها ترزح تحت ثقل السلاح والمقدس، العاملين الذين ضمنا الى حد ما التوازن في مجال شهد خلال فترات معينة من تاريخه غيابا في السلطة المركزية، فما إن تعود بالشيوخ الى زمن "الغزيان" إلا وتذكروا بكل فخر سلاحهم رمز الرجولة في اعتقادهم"[168]، وهكذا نجد القبيلة الصحراوية كانت "تقوم بوظيفتين أساسيتين الأولى تتعلق بالتنظيم السياسي للأقسام الفرعية بحيث تظهر كوحدة اجتماعية، والوظيفة الثانية هي تنظيم شؤون الدفاع والحرب، أما في حالة السلم فإن وحدة القبيلة تكون أضعف وأقل وضوحا وذلك لأن كل قسم في القبيلة يكون مهتما بشؤونه الداخلية.."[169] .

كذا "شكل الترحال الدائم سببا في الاحتكاكات والصدامات الحربية، والغزوات المتواصلة بين البدو.. وقد حافظ هؤلاء البدو بدورهم على تقاليدهم القبلية وعلى منفعة معينة"[170]، كما أن خلق التراتبيات الاجتماعية في المجتمعات الرعوية كالقبيلة مثلا وخاصة في المجتمع البيظاني والتي تنتظم على شكل هرمية اجتماعية، حيث تبدأ انطلاقا من الأسرة حتى أكبر تجمعات اثنية كانت مجسدة في القبيلة، إذ تضم حسان والزوايا في القمة بينما توجد المجموعات التابعة وهم الغارمون والتابعون (أزناكة) وتليهم فئة ايكاون والصناع ثم أخيرا فئة الحراطين والعبيد، وتختص كل مجموعة من هذه الفئات بوظائف اجتماعية وثقافية واقتصادية ودينية، إلا أن هناك صعوبة تعميم هذه التراتبية الاجتماعية على شمال بلاد البيظان، أي الساقية الحمراء ووادي الذهب، ولتدارك هذا النقص نجد دراسة عن التراتبية الإجتماعية في تلك المنطقة للأنثروبولوجي الإسباني كارو بروخا (baroja caro) في عهد الاستعمار الإسباني، والذي صاغ الخطاطة التالية للتراتبية الاجتماعية:

---

166 : فايد العليوي، القبيلة: التكوين في سياق سياسي، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء- المغرب، ط.1، 2018، ص. 20.

167 : سيد أحمد الشرادي، أطروحة دكتوراه بعنوان: الملامح العامة لمجتمع البيضان: دراسة مونوغرافية لقبيلة أولاد اداليم، جامعة الحسن الثاني، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الدار البيضاء، تحت اشراف: د. مصطفى جفال، 2007-2008، ص. 03-04.

168 : سالم وكاري، قراءة في ذاكرة القبيلة الصحراوية ووضعياتها، "الإنتاج الفكري للدكتور محمد دحمان: مناهج ومسارات"، مؤلف جماعي، تنسيق وتقديم: سمير مرزوق، ط.1، مطبعة ماروطة- الداخلة، دجنبر 2022م، ص. 205.

169 : عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، لبنان، بدون رقم طبعة، 1971، ص. 195. 196.197.

170 : ماكس فرايهير فون أوبنهايم وآرش برونيلش وفرنر كاسكل، تحقيق وتقديم: ماجد شبر، البدو: ما بين النهرين "العرق الشمالي" وسورية، ج. 1، ط. 1، الوراق للنشر، 1939م، ص. 76.

"مستوى أول: الشرفاء المرتبطون بالنسب النبوي، فئة العرب وهم أهل لمدافع، الزوايا أو المرابطين أو أهل لكتوب وهم قليلون مقارنة بموريتانيا.

مستوى ثان: الغارمون الرعويون او أزناكة أو اللحمة– وهي أيضا فئة قليلة العدد جدا، ثم المزارعون والصيادون.

مستوى ثالث: فئات تابعة محدودة جدا وهي إيكاون، معلمين.

مستوى رابع: الحراطين، العبيد. وهناك تقاطعات عامة بين ما ساد في الجنوب والشمال، لكن مع اختلافات واضحة "[171] .

وجدير بالذكر، أن هذا التقسيم قابل للنقد حيث أنه ليس ثابتا ونهائيا بحسب ما توقفنا عليه داخل مجتمع الدراسة، إذ أن المحدد الرئيس لتصدر مستوى عالي داخل هذا المجتمع تاريخيا ليس فقط العرق أو النسب وإنما الكفاءة الاجتماعية والمادية.

وتتكون القبيلة داخل مجتمع الدراسة من شجرة أنساب غالبا ما يتشكل أصلها تبعا لجد مشترك سواء أكان حقيقيا أم رمزيا، أو تتشكل بناء على ظروف دينية أو تاريخية كتحالفات اجتماعية وروحية، وفي الفترة الراهنة للمجتمع الصحراوي كأحد الاثنيات المنتمية لشمال بلاد البيظان، عرفت القبيلة بمنطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب تحولات اجتماعية انعكست على بنيتها العامة، وما هذه التحولات التي شهدتها القبيلة الصحراوية إلا أحد تمظهرات هذه التحولات التي عرفها المجتمع الصحراوي ككل .

وسنحاول أن نقف عند أبرز هذه التحولات بالساقية الحمراء ووادي الذهب، من خلال الاجابة عن سؤالين حاولنا افتحاصهما ميدانيا، فطرحناهما على المبحوثين على النحو التالي:

س. 1: هل ترى أي حضور اليوم للقبيلة بعد جلاء الاستعمار الاسباني من المنطقة ؟

س. 2: هل لا يزال هناك أي تضامن اجتماعي من طرف ذوي القرابة/القبيلة خلال حدوث حوادث انسانية (مرض، حادثة، وفاة، اعتداء..) ؟

إن حضور القبيلة بمنطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب قبل دخول الاستعمار الإسباني كانت مرتبطة في اطارها الاجتماعي بالهرمية الاجتماعية، حيث شكلت المراتب الاجتماعية المحكومة بالضوابط العرفية المحلية فسيفساء البنية الاجتماعية فقد كان "هناك خزان من المعاني والقيم، وكانت المؤسسات الكبرى والأساسية المؤطرة لمختلف الأنشطة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والروحية (الأسرة، القبيلة، الجماعة، لفريك، الولي، الزاوية..) تستقي منه قيمها ولغتها، ومشروعيتها، وقوتها المادية والرمزية" [172].

يعتبر بنو حسان في كل النصوص وبصرف النظر عن التناقضات التي يمكن أن تتضمنها هذه النصوص مجموعة من القبائل تقيم اليوم في الصحراء وتنحدر من جد هو حسان الذي تحمل هذه القبائل اسمه. ويندرج نسبه من الناحية الجنيالوجية ضمن نسب القبائل الهلالية، المنحدرة من شبه الجزيرة العربية وهي القبائل التي قامت بتغريبة بني هلال –

171171 : خوليو كارو بروخا، دراسات صحراوية، ترجمة: أحمد صابر، ط.2، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2015، من الصفحة 75 الى الصفحة 85.

172 : محمد الدحمي، "مقاربة سوسيو- أنثروبولوجية لمجتمعات البدو- سكان الصحراء نموذجا"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون، كلية العلوم القانونية والإجتماعية عين الشق -الدار البيضاء، ص. 290.

مسيرة بني هلال نحو الغرب– وهي الرحلة التي قادتهم من شبه الجزيرة العربية الى مصر، ومن مصر الى المغرب الأقصى"[173].

إن القبيلة لا تتحدد بكونها جماعة منحدرة أو متفرعة عن جد واحد، ولا تتحدد فقط بما قد يجمع بين أعضائها من روابط الدم. إذ أن النسب في معناه الضيق لا يعدو أن يكون معطى وهميا لا يصمد أمام وقائع الاختلاط، وعلاقات الجوار والتعايش المكاني. أما النسب في معناه الرمزي الشاسع أي النسب والانتساب البعيد أو ما يماثله من أشكال التحالف والولاء والانتماء، فهو الذي يشكل الإطار الحقيقي للقبيلة.. لكن يبقى هذا الإطار غير مكتمل طالما لم يكتسب الفرد عادات وأعراف القبيلة، ولم يتبلور لديه الوعي بوجود مصلحة عامة ومشتركة، وتماشيا مع الطرح الخلدوني حيث تبلور القبيلة من خلال ذلك الانتساب البعيد المجسد للمصلحة العامة والمشتركة لمختلف أفراد وشرائح القبيلة الواحدة.

ضمن هذا السياق "الناس كانت فالأرض قبل الاستعمار قبائل، وكلها امسند على أرض اعيش فيها، دخلتها بعض الحروب يغير خارجية، شي منها جاي من كبلة كيفت حروب أولاد اللب، ألين دخل الاستعمار سنة 1913م فأول معركة فالصحرا معركة الكليب، واستمرت المعارك الى سنة 1934م منين لتكات فرنسا واسبانيا، فرنسا جاية من موريتانيا والمغرب اسبانيا جات من لبحر، بالطيايير ولمدافع وسلكت الناس شور كليميم وشمال موريتان والجزائر، الاستعمار الفرنسي ماخسر شي اعل أهل الصحرا، ما خسر جماعتهم يغير الاستعمار الاسباني عدل الشيوخ وخسرهم، الناس سابق 1975م كانت على تنسيق وعلى عادات، مثلا: الى خلك مشكل أتكيسوا ناس وينفك المشكل بلا حضور القبيلة، كان ايجيك حد يشري عندك ايبلك وما ايخلصك عام ألين إيجيك، والتجارة ألا فكليميم، منين أنكفلت الحدود ودخلت السياسة وعادت قبيلة تكيم على قبيلة وعاد الرعب فالناس، وجهد الناس أجند، اللي أنتاما الى موريتان أو الى الجزائر، ف 1975م و 1976م و 1977م كانت سنوات مأساوية، 1978م خلك انفراج شوي على الناس، هاذيك الأجيال كرات، طلعت الأطر وعادت الناس تعيش شوي من ضوء الحضارة، ومع ذاك التنسيق اللي كان زين بين القبائل ماتلا خالك، وعاد كلها اطلب معاشو على جهدوا هو أومفهوموا، الناس ألا فالمناسبات ما يرتد حد، هون أنقارض الجيل الأول واللي تالبو، الجيل الحالي أنقص من ذيك العادات التقليدية الزينة وهو اللي عايش ذرك"[174] ، هنا كما نستشف من كلام المستجوب أن مجتمع الصحراء عرف انتقالا مطردا من حالة البداوة وقيمها التشاركية والتضامنية المؤطرة بمؤسسة القبيلة وأعرافها نحو الصراع العسكري المباشر مع المستعمر الاسباني الذي لم يكن يهمه سوى استنزاف مقدرات الساكنة، وصولا لمرحلة الثمانينات وما واكبها الى اليوم حيث طغت قيم الفردانية ولم يعد التضامن بين الناس سوى مناسباتيا أو رمزيا خلال أعراس القبيلة والمهرجانات الدينية والانتخابية.

ثم جاءت مرحلة الاستقرار ومخلفات العهد الاستعماري الإسباني بالصحراء، لتؤسس لواقع «انهيار» حقيقي مدوي وجارف لمختلف أشكال البنيات الاجتماعية والثقافية للمجتمع الصحراوي، وتمثل ذلك في ضرب مجموعة من الهياكل والأنساق المشكلة للمجتمع الصحراوي التقليدي، ف "مع زمن الحماية لم يعد مكان ل"كبار" القبيلة الذين يستمدون شرعيتهم من قيم ومن مرجعيات محلية لصيقة بالقبيلة من جاه وعرض ونسب وحسب، بل أفراد عينتهم الإدارة لاعتبارات خضوعهم لها وخدمتهم لمصالحها" [175]، وبذلك تراجعت ثقافة وقيم هذا المجتمع لتحل محلها ثقافة جديدة فرضتها شروط الادارة الاستعمارية، وواقع التمدن والانفتاح غير المتحكم فيه على ثقافات العالم، وقد استمر هذا السياق بشكل أكثر حدة بعد استرجاع المنطقة.

---

[173] : بيير بونت، روايات الأصول، م. س، ص. 609.

[174] : منقول عن المقابلة التي أجريت مع أحد متقاعدي القوات المساعدة بالسمارة أبريل 2018م.

[175] : رحال بوبريك، زمن القبيلة: السلطة وتدبير العنف في المجتمع الصحراوي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط.1، الرباط، 2012، ص. 262.

ويوضح لنا أحد مبحوثينا أن "التحولات اللي وقعت فذا المجتمع كبيرة كلما تقوت الدولة ضعفت القبيلة وكلما تقوت القبيلة تراجعت الدولة، الناس ماشية كاملة تفسخ دراعة القبيلة وتلبس دراعة الدولة التي تذوب فيها القبيلة، القبيلة من وادنون إيلاه ماشية وتضعف كبالة، سابك 1975م كانت على شدها وعدها، وباكية العادات والتقاليد اللي مزال ما غيروها، اسبانيا ما اندمجت معاها الناس كبالة ومشاو عن الناس مزالت بريئة ومزالت سليمة يغير مع ذي الانزلاقات اللي خلكت ومع ذي المواقف السياسية الموجهة تغير كثير، هذا التغير اللي نعرفوا لاهي انكولوا لك، لهذا أهل الصحرا تباركوا مع إضيعوا روسهم ومع يتجردوا من تقاليدهم وعاداتهم ومن كلامهم وثقافتهم"[176] ، ويطلعنا هذا المستجوب الذي عاش أواخر فترة الاستعمار الاسباني حيث كان مستخدما في شركة فوسبوكراع بمدينة العيون، الى طبيعة التحول الذي عرفته القبيلة بعد جلاء الاستعمار الاسباني الذي اعتبره لم يغير من حالها بحكم عدم اندماج الساكنة المحلية بعمق مع ثقافة وفكر الاسبان، مما جعل ثقافتهم وعاداتهم على حالها، على عكس ما حصل بعد خروج الاستعمار سنة 1975م حيث وقعت ما أسماه بانزلاقات سياسية مرتبطة في الغالب بالحرب العسكرية التي شهدتها المنطقة في هذه السنة بالضبط، فأثرت السياسة –على حد تحليل المبحوث– من خلال توجيه المواقف السياسية وتركيز الاديولوجيات فحدث تغير كبير، شكل بداية الطفرة التي ستنقل المجتمع المحلي الى حالة جديدة قامت على تخلي مقصود للساكنة عن الكثير من عاداتها وتقاليدها ولسانها.. رده المبحوث الى تداعيات سنوات الحرب التي عرفتها المنطقة آنذاك .

إن الاستعمار الاسباني الذي عمر بالمنطقة لما يقارب من تسعين سنة لم تدشن معه بداية التحولات الكبرى التي عرفتها المنطقة إلا مع نهاية الخمسينيات، مع مختلف التطورات العسكرية والسياسية والاقتصادية الفاصلة التي عرفها الجنوب المغربي آنذاك، ويعبر عن هذا الوضع بدقة وباستفاضة نفس المبحوث قائلا: "المجتمع الصحراوي أصلا كان مجتمع قبلي مسلم ومحافظ ومتعاون في ما بينه، وكان يتعلم يكرا فالصحرا رغم قساوتها ورغم صعوباتها المتعددة كان الخلق ألا يكرا، وكان يكرا القرآن هو المادة الأولى اللي كان يكرا فالصحرا، وكانوا المقرئين أقل من الحاجة المطلوبة، وكان من بين الأسباب اللي يخلك عليها لفريك تتجاور الناس وتجمع لفريك الأستاذ المقرئ، تعود الناس تجمع عليه باش تكري أولادها، وكان يكراو القرآن والفقه المالكي والتوحيد واللغة وألفية ابن مالك وغير ذلك.. هذا كان قبل التمدن وقبل الاستعمار، لما جاء الإستعمار أقر هذه العادات التي كانت عند أهل الصحراء، والاستعمار يختلف من منطقة الى منطقة ومن جهة الى جهة، فرنسا حكمت المغرب في الشمال وموريتان في الجنوب والجزائر في الشرق وهاذي الجهات الثلاثة فيها الصحراويين، الصحراويين فالمغرب من عند وادرة شمالا حكمتها فرنسا والصحراويين فموريتانيا كانت حاكمتهم فرنسا والصحراويين فالشرق بالجزائر كانت حكمتهم فرنسا، هاذي البقعة الوسطى اللي حكمتها اسبانيا وكانت من نصيبها في التقسيم الاستعماري، هاذي المناطق اللي كانت تحت حكم فرنسا جلها خدمتها فرنسا بأهلها وتقريبا فرضت على أهلها التعليم، وتعلموا الناس اللي كانوا مع فرنسا أكثر من الناس اللي كانوا مع اسبانيا، اسبانيا ما فرضوا التعليم ولا كانوا يحكموا من أهل الصحراء ضريبة ولا جباية، اسبانيا دخلوا الصحراء بموجب اتفاقيات وقعوهم مع الأهالي والقبائل، اتفاقية عين البيضة سنة 1884م و1902م فالداخلة واتفاقية 1916م فالطرفاية، هاذوا كلها اتفاقيات تنص على أن اسبانيا ما تحكم شي من عند أهل الصحرا، اسبانيا اكتفت باستغلالها للبحر الغني لأنها كانت دولة ضعيفة فذاك الزمن، وتبتث الأمن فالصحرا ذيك الحروب الأهلية اللي كانت خالكة والسيبة وقفتها، ولا استغلت شي من البر ألا من الستينات إيلاه، والناس أهل الصحرا استمروا فبداوتهم وفتعاليمهم وكرايتهم اللي كانت عندهم واللي قرب من أهل الصحرا ألا كليل لاسبانيا، ألا حد بغا يركب فالعسكر، ول خدمة كليلة عندهم ما كانت عندهم كاع خدمة والتجارة معاهم كانت كليلة، التجارة كانت عند أهل الصحراء هو كليميم كان هو باب الصحرا وكان المحطة الرئيسية اللي كان اسوك أهل الصحرا، هكذا استمروا أهل الصحراء إلى

[176] : مقابلة أجريت مع شيخ أحد القبائل الصحراوية وعضو بالمجلس الاستشاري للشؤون الصحراوية بمدينة العيون بتاريخ: 09 ماي 2019.

مروك جيش التحرير تقريبا، مروك جيش التحرير كانت محطات فاصلة نفي محمد الخامس تحركات فشمال افريقيا من أجل الاستقلال وذحر الاستعمار، كامت حركات ضد الاستعمار الفرنسي أكثر من الاستعمار الاسباني، ومنين رجع السلطان واستقل المغرب بكات اسبانيا فمنطقتها من وادرة الى كبلة حدود موريتان حاليا، اسبانيا هادنت جيش التحرير فالبداية كون جيش التحرير مرك من المنطقة اللي فيها اسبانيا باش خبط فرنسا فموريتان، وهكذا الى أن دخلت اسبانيا مع فرنسا ضد جيش التحرير بموجب اتفاقية ايكوفيون وهكذا ضيق جيش التحرير على اسبانيا حتى انسحبت من جل المدن التي كانت تحتلها ك "الطنطان" و"تويزكي" و "لمسيد" الذي انسحبت منه عشوائيا تحت ضربات جيش التحرير، أما بالنسبة للطرفاية فسلمتها اسبانيا اداريا للدولة المغربية بعد اتفاق مبرم بينهما تم بموجبه رسم حدود منطقة الطاح التي لم تكن حدودا تاريخية بالصحراء قبل ذلك، حدود الطاح هذه من جهة الجنوب أصبح يطلق عليه الصحراء الغربية هذا الإسم يعد حديثا وسمت اسبانيا هذه المنطقة كذلك بالصحراء الغربية الاسبانية، وعلى غرار ما فعلت فرنسا بموريتانيا حيث فرضت دولة ممنوحة الاستقلال، لغرض استمرار فرنسا في استغلال خيرات موريتانيا كما فعلت في العديد من مستعمراتها بافريقيا، وحاولت اسبانيا أن تمشي على نفس هذا المنحى من خلال محاولتها خلق كيان جديد في الصحراء تابع لمصلحتها كما هي موريتانيا تابعة لمصلحة فرنسا اداريا، لكي تبقى اسبانيا أطول مدة في الصحراء تستغل خيرات الأرض التي لم تستغلها قبل ذلك وتحاول اذا فرض عليها الحال أن تمنحهم استقلالا ممنوحا كما فعلت فرنسا مع موريتانيا التي ظلت تستغل تراوثها لأطول مدة، في هذا الباب عززت اسبانيا موقفها في الصحراء أكثر من السابق وساعدها في ذلك موجة جفاف قاسية أدت الى فقدان الأهالي للكثير من رؤوس الأغنام والابل سنة 1961م و1962م، حيث كانت سنوات قاتلة فرضت على الصحراويين الذين قتلت مواشيهم الهجرة الى المدن نظرا لتوفير اسبانيا لفرص شغل قارة بها من أجل استيعاب الناس وجلب الناس لها، لأن هذا الفوسفاط المتواجد عندنا هنا بالعيون هو مكتشف سنة 1945م بمنطقة بوكراع، لكن اسبانيا لم تكن تستغله نظرا لضعفها فاستقدمت شركات أجنبية لثبيت كمية الفوسفاط وكيفية استخراجه وللبحث كذلك عن المعادن الأخرى بالصحراء، فقاموا باجراء مسح شمل ما يقارب 80 في المائة من مجال الصحراء فتم اكتشاف العديد من المعادن منها ما تم الإعلان عنه ومنها ما لم يتم ذلك.

هذه الهجرة التي هاجرتها الناس صوب المدن لم تجد أمامها بنايات مهمة بحكم أن اسبانيا أصلا كانت دولة ضعيفة، فقامت الناس ببناء خيامها فكانت مئات الخيام بالعيون والسمارة وبشكل أقل بالداخلة وتكونت كذلك قرى جديدة قامت اسبانيا بتعميرها كالمحبس واجديرية وحوزة وأوسرد وتفاريتي والتي كانت مناطق وحدود عسكرية نظرا لحاجة الناس للاستقرار الناتج عن الجفاف فاستقر الناس بالمدن.

"لقد حاولت أن أقدم نظرة عامة حول المنطقة قبل سنة 1975م لفهم الأحداث والوقائع التي تلتها، وأمشات الناس فهذا المنحى ألين استقرت فالمدن، وبدات اسبانيا تبني العمران وجابت شركات عمرانية، هاذوا ذرك الأحياء اللي ينكال لهم كولومينا أصلا كولومينا أسم الشركة اللي بانيا هاذو الأحياء وجابت شركة ينكالها كوبيرتا تعدل تعبيد الطرق وبنات ياسر من العمارات هون، وذريك استقرت الناس ما تعرف جمعيات ولا تعرف أحزاب وانخرطت فالعمل، وكانت الناس فزمن اسبانيا هون ما تعرف حد عاطل عن العمل مزالت الناس مجتمع قبلي والوسيط اللي بين الادارة الاسبانية والقبيلة هو الشيخ، الشيخ كانت عندو قيمة كبيرة فزمن اسبانيا وكان هو الوسيط بين قبيلتو والدولة، اللي خصو الخدمة اجي للشيخ يمشي امعاه للإدارة باش يعطوه الخدمة واللي خصوا الدار اجي للإدارة مع الشيخ باش تعطيه اسبانيا الدار، واللي خصو شي الشيخ كان هو الوسيط كانت عندو قيمة وكلمتو مسموعة، ومع تطور الزمن أول حزب هون تبث هو منظمة الطلائع لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب اللي أسسها بصيري 1969م اللي قامت بانتفاضة 17 يونيو 1970م هاذي هي أول حزب سياسي تكون فالصحرا بمفهوم حركة وطنية، واستمر الحال الى 1975م، ف 1975م ما كان حد فالصحرا عاطل

عن العمل وكان أكبر دخل للفرد ف 1974م فافريقيا فالصحرا هون، وكانت الناس عايشة بخير الفضة موجودة، العمران ماهو ياسر لأنو بدا ألا من 1961م إيلاه، سابك داك اسبانيا ما كانت تبني، بدا العمران وكانت الناس ما عندها رغبة بسكان المدن، كانت اسبانيا تبني ألا لمواطنيها ومستوطنيها والعسكر والى غير ذلك، إذن من 1960م إيلاه بنات عدة أحياء وبنات مطارات وكونت تكوينات سياسية كالمجلس البلدي والمجلس الاقليمي وخلكت المدارس الياسرة التعليم يغير تكوين الجمعيات والأحزاب وغير ذلك ما كانوا خالكين عندنا هون، ف 1975م رحلت اسبانيا فظروف معينة وبرحيل اسبانيا اندلعت الحرب فالصحرا بين المغرب وجبهة البوليزاريو من جهة والبوليزاريو وموريتان من جهة أخرى الى 1979م تخلات موريتان عن الحرب واستمرت الحرب بين جبهة البوليزاريو والمغرب، فهاذي الظروف دخلت فيها الدولة المغربية للصحراء كانت ظروف استثنائية، وكان أهل الصحرا ياسر منهم من السكان الأصليين ياسر منهم لجأ للجزائر وهي منين بناو مخيمات اللاجئين، وياسر من السكان اللي هون أصلهم من النازحين اللي جاو من الطنطان وكليميم عاكب رحيل اسبانيا، من 75 تقريبا الى 91 الحرب مستمرة والاستقرار كاع ماهو خالك، حك جاو الأحزاب الوطنية هون حزب الإستقلال هو الأول وهو حزب عتيد وكانت هون فزمن جيش التحرير كانت عندو فروع هون يغير أهل الصحرا ماهي فاهمة مفهوم الأحزاب أنو ألا وسيلة للجهاد باش انروغوا النصارى، حزب الاستقلال جا مباشرة عاكب مشي اسبانيا من هون وجاو عاكبو أحزاب ثانيين وتمت الأحزاب هون عندها فروع وعندها مكاتب يغير دورها ضعيف لأن أهل الصحرا فعقيدتهم نحنا مع الملك ما ايشوفوا الأحزاب ولا الجمعيات ول هاذي المكونات الثانية."

"منين خلك وقف اطلاق الناس من 1991م ايلاه خلك نوع من الانفتاح وصابت الدولة للعمران وتوسيع المدن وانخرط الشباب الصحراوي فالمدارس، العربية كانت هون تكرا فزمن اسبانيا إلى حد ضعيف عبارة عن صفر أو واحد فالمئة كان ألا التعليم الابتدائي بالعربية و دخلوا الصحراويين للمدارس وطلعوا الصحراويين للجامعات وعاد خالك جيل مثقف من أهل الصحرا وعاد يعرف حتى هو شنهو معنى الأحزاب ومعنى خلق الجمعيات والتعاونيات والنقابات وغير ذلك، هاذي الأمور استمرت وامشات المشي اللي تفسخ دراعة القبلية وتعوضها بذا اللي كنا نتكلموا عنو بالانتماء للأحزاب وبالانتماء للتعاونيات والجمعيات وبكات القبلية والقبيلة كشبح، الشيخ القيمة اللي كانت عندو ماتلات عندو ماهي خالكة عادت خالكة ألا شيوخ من نوع ثاني شيوخ الادارة ولا تلا شيخ القبيلة مباشرة عاد شيخ الإدارة مباشرة وعاد المواطن تعاملوا مع الادارة مباشرة منو للإدارة ماتلا عن طريق الشيخ ول عن طريق الجمعيات اللي اخلكوا والأحزاب وغير ذلك، من هذا الباب خلك تغير كبير وفترة وجيزة تغير كبير لأهل الصحرا لا بالنسبة للانتماء الحزبي ول بالنسبة للعمل الجمعوي، هاذي مسايل أصلا غريبة على أهل الصحرا يغير انتما لها الشباب ومشا فيها بلد ابعيد وأصبح بعض الصحراويين عندو مسؤوليات فالأحزاب وصبحوا برلمانيين عن طريق الأحزاب ومنتخبين ورؤساء جماعات ورؤساء بلديات عن طريق الأحزاب وأصبح ملي زاد جمعيات حتى هي عندها دور فتأطير المجتمع و مزال ضعيف، دور الجمعيات مزال ضعيف فالتأطير، أغلب الجمعيات اللي تعدل هون هي جمعيات من أجل الحصول على شي، الحصول على مساعدات من عند الدولة لأن الدولة بطريق أو بأخرى تعطي مساعدات عن طريق الجمعيات، وياسر من الناس خلق الجمعيات، أنا هذا ذرك عندي جمعية ينكالها تاعزيزت للثقافة والتراث الحساني بالساقية الحمراء معدلها مع معايل معايا، ومعدلها كاني نصون اللي كديت من التراث الصحراوي ومن العادات والتراث الحساني، التركة يشتغلوا وما غاديلهم كاع فيا أنا عادوا كاع يمشوا للأحزاب الثانيين والجمعيات اللي أكثر نشاط يمشوا فيها، لهذا العمل الجمعوي خالك يغير مردوديتو التوجيهية نشوفوا عنها مزالت ضعيفة، والأحزاب عندنا هون السياسية أتساوي ممثلينها اكولو لك أنت مع حزب أهل الرشيد ول مع حزب أهل الجماني ما يسمى كا

الحزب بأسمو، حزب الاستقلال هذا سابك حمدي ولد الرشيد هون محقا ما كط حصل على عضو، هون عندنا الأشخاص يعملوا أكثر من الهيئات السياسية[177]".

يظهر من خلال ما استقيناه من سرد تاريخي مدنا به المبحوث السابق أن منطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب ظلت تحت سلطة القبيلة، حتى مع دخول الاستعمار الاسباني الذي لم يغير كثيرا من طبيعة نظامها العام، ذلك أن هذا المجتمع ظل متمسكا بعقيدته الاسلامية ذات المذهب السني المالكي، على اعتبار أن دخول الاسبان كان بموجب اتفاقيات أبرمت مع الأهالي (اتفاقية عين البيضة سنة 1884م و1902م بالداخلة واتفاقية 1916م بالطرفاية)، حيث "توصلت اسبانيا الى عقد معاهدة مع سكان المنطقة، وهي المعاهدة التي وضعت اسبانيا بموجبها تحت حمايتها جزءا كبيرا من تلك الأراضي"[178] ، وتنص هذه المعاهدة على عدم فرض أي ضرائب على الساكنة، مما أتاح للمستعمر استغلال عائدات الصيد البحري لصالحه، وبالنظر أصلا الى أن اسبانيا كانت دولة ضعيفة آنذاك بالمقارنة مع باقي القوى الاستعمارية الأوربية، فعملت بعد بسط سيطرتها على تثبيت الأمن من خلال ايقاف الحروب الأهلية والقبلية التي كانت سائدة آنذاك، ولم تستغل عائدات باطن الأرض خاصة ثروة الفوسفاط إلا مع بداية الستينيات، وهكذا استمر الأهالي في بداوتهم وفي تعاليمهم وتعليمهم الكتابي (المحضرة) الذي كان لديهم آنذاك، وكان القليل منهم من اقترب أو احتك بالسلطات الاسبانية، اللهم من أراد التجنيد في قواتها العسكرية، أما التشغيل والتجارة معها فقد كان كذلك ضئيلا، فالتجارة التي كانت عند أهل الصحراء هو التوجه لمدينة كليميم، فقد كان هو باب الصحراء وكان المحطة الرئيسية التي كانت يتسوق منها الأهالي، وهكذا استمر أهل الساقية والوادي على هذا الوضع إلى فترة تأسيس جيش التحرير تقريبا، هذا التأسيس الذي دفع ضريبته غاليا أهالي المنطقة خاصة بالنسبة للمرأة الصحراوية، ذلك أنه بعد انخراط الأزواج في صفوف جيش التحرير "لما بدأ هجوم التحالف الفرنسي الإسباني ضد جيش التحرير عام 1958م كنت وقتها بمنطقة الطوارف، حيث نصبت خيمتي ضمن مجموعة من خيام الركيبات.. لقد كنت أعيش تحت خيمتي أنا وأبنائي الخمسة: بنتان وثلاثة أبناء كبيرهم لا يتجاوز 10 سنوات، أما زوجي فقد كان يقاتل في صفوف جيش التحرير، إثر الهجوم السابق كنت أحضر الشاي وإذا بي أسمع محركات سيارتين عسكريتين فتوجهت بسرعة للإختفاء في مغارة مجاورة، وسبب مجيء هذه الدورية كان بهدف إلقاء القبض على راع مسلح كان في جيش التحرير حاول الإختفاء في خيامنا.. اتجهت إلى طانطان على متن شاحنة فنزلت بدار أهل الشريف ولد المختار (أولاد دليم) الذين رحبوا بي وذبحوا لي، لكن زوجي لم يقدم لرؤيتي لقد كان خجولا لأنه تزوج علي، لكن مع ذلك فقد اكترى لي دارا ثم اتجه بعد ذلك إلى الحاجب، لقد عانيت الكثير من المشاكل وبعت كل الحلي الذي كنت أملك"[179].

2. الوضعية الراهنة للقبيلة الصحراوية:

مع حدوث محطات فاصلة أبرزها نفي السلطان محمد الخامس رحمه الله، وبداية تحركات الحركات الوطنية في شمال افريقيا من أجل الاستقلال ودحر الاستعمار، حيث قامت حركات مسلحة ضد الاستعمار الفرنسي أكثر حدة مقارنة مع الاستعمار الاسباني بالجنوب المغربي، وعند عودة السلطان محمد الخامس من منفاه واستقلال المغرب بقيت اسبانيا في منطقتها التي تحتلها من حدود وادي درعة السفلى شمالا الى أقصى الجنوب مع حدود موريتانيا حاليا، حيث عمدت اسبانيا على مهادنة جيش التحرير في البداية كون جيش التحرير خرج من المنطقة التي تحتلها اسبانيا لكي يقاوم فرنسا في موريتانيا، وهكذا الى أن دخلت اسبانيا مع فرنسا ضد جيش التحرير بموجب مخرجات عملية ايكوفيون، فقام جيش التحرير

---

[177] : نفس المبحوث السابق.

[178] : طوماس غارسيا فيغيراس، سانتا كروث دي ماربيكينيا إيفني والصحراء: السياسات الإسبانية في الساحل الغربي لإفريقيا، تعريب وتعليق: محمد سبى، مراجعة: محمد دحمان، مطابع الرباط نت، ط.1، الرباط، 2021، ص. 22.

[179] : علي العمري، المقاومة الصحراوية والعمل الوطني (مقابلات ووثائق)، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ط.1، كانا برانت، الرباط، 2008م، 321-323.

بالتضييق على اسبانيا حتى انسحبت من جل المدن التي كانت تحتلها كالطنطان وتويزكي ولمسيد الذي انسحبت منه عشوائيا تحت ضربات جيش التحرير، أما بالنسبة للطرفاية فسلمتها اسبانيا اداريا للدولة المغربية بعد اتفاق مبرم بينهما تم بموجبه رسم حدود منطقة الطاح التي لم تكن حدودا تاريخية بالصحراء قبل ذلك، حدود الطاح هذه من جهة الجنوب أصبح يطلق عليه الصحراء الغربية هذا الإسم يعد حديثا وسمت اسبانيا هذه المنطقة كذلك بالصحراء الغربية الاسبانية، وعلى غرار ما فعلت فرنسا بموريتانيا حيث فرضت دولة ممنوحة الاستقلال، لغرض استمرار فرنسا في استغلال خيرات موريتانيا كما فعلت في العديد من مستعمراتها بافريقيا، وحاولت اسبانيا أن تمشي على نفس هذا المنحى من خلال محاولتها خلق كيان جديد في الصحراء تابع لمصلحتها كما هي موريتانيا تابعة لمصلحة فرنسا اداريا، لكي تبقى اسبانيا أطول مدة في الصحراء تستغل خيرات الأرض التي لم تستغلها قبل ذلك وتحاول اذا فرض عليها الحال أن تمنحهم استقلالا ممنوحا كما فعلت فرنسا مع موريتانيا التي ظلت تستغل ترواثها لأطول مدة، في هذا الباب عززت اسبانيا موقفها في الصحراء أكثر من السابق وساعدها في ذلك موجة جفاف قاسية أدت الى فقدان الأهالي للكثير من رؤوس الأغنام والابل سنة 1961م و1962م، حيث كانت سنوات قاتلة فرضت على الصحراويين الذين قتلت مواشيهم الهجرة الى المدن نظرا لتوفير اسبانيا لفرص شغل قارة بها من أجل استيعاب الناس وجلب الناس لها، لأن هذا الفوسفاط المتواجد عندنا هنا بالعيون هو مكتشف سنة 1945م بمنطقة بوكراع، لكن اسبانيا لم تكن تستغله نظرا لضعفها فاستقدمت شركات أجنبية لثبيت كمية الفوسفاط وكيفية استخراجه وللبحث كذلك عن المعادن الأخرى بالصحراء، فقاموا باجراء مسح شمل ما يقارب 80 في المائة من مجال الصحراء فتم اكتشاف العديد من المعادن منها ما تم الإعلان عنه ومنها ما لم يتم ذلك.

لقد كان الناس في زمن اسبانيا بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب لا يعرفون واقع العطالة –بحسب ما أفاد به مبحوثنا–، على اعتبار أن المجتمع كان لايزال مجتمعا قبليا، والوسيط الذي كان بين الادارة الاسبانية والقبيلة هو في شخص "الشيخ"، فالشيخ باعتباره رجل سلطة كانت عنده قيمة كبيرة في زمن اسبانيا وكان هو الوسيط بين قبيلته والدولة، فمن كان يسعى للعمل ما عليه إلا أن يأتي للشيخ ليصاحبه للإدارة كي يسلموه وظيفة يعيل بها نفسه وأسرته، ومن كان ينقصه بيت يأويه ما عليه هو الآخر إلا أن يأتي بدوره للإدارة رفقة الشيخ لكي تسلمه الادارة الاسبانية بيتا، كما أدى شيخ القبيلة دور الوسيط بين أفراد القبيلة والسلطات الاستعمارية، حيث كانت له قيمة عالية وكلمته مسموعة، ومع تطور الزمن تأسس أول حزب بالمنطقة سمي بمنظمة الطلائع لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب الذي أسسها سيد ابراهيم بصيري سنة 1969م والذي قام بانتفاضة 17 يونيو 1970م، هذه هي أول حزب سياسي تكون فالصحراء بمفهوم حركة وطنية، واستمر الحال الى سنة 1975م، ففي سنة 1975م لم يكن أحد في الصحراء عاطلا عن العمل وكان أكبر دخل للفرد في 1974م بافريقيا هنا في الصحراء، وكانت الناس تعيش بخير حيث المال موجود، أما العمران بالمنطقة فلم يكن موجودا بكثرة لأنه لم يبدأ إلا من سنة 1961م ، قبل ذلك الادارة الاسبانية لم تكن تولي اهتماما لتشييد البنى التحتية، وهكذا بدأ العمران وأصلا لم يكن عند الناس رغبة بالسكن داخل المدن، وكانت اسبانيا تبني فقط لمواطنيها ومستوطنيها والعسكر والى غير ذلك، إذن من 1960م قامت اسبانيا ببناء عدة أحياء وبناء مطارات وقامت بتكوينات سياسية كالمجلس البلدي والمجلس الاقليمي وخلقت المدارس التعليمية، إلا أن تكوين الجمعيات والأحزاب وغير ذلك لم يكن محدثا بالمنطقة.

وفي سنة 1975م رحلت اسبانيا في ظروف معينة وبرحيل اسبانيا تلتها توتر الوضع العسكري بين المغرب وجبهة البوليزاريو من جهة والبوليزاريو وموريتانيا من جهة أخرى، الى حدود سنة 1979م حيث تخلت موريتانيا عن الحرب واستمرت الحرب بين جبهة البوليزاريو والمغرب، في هذه الظروف استرجعت الدولة المغربية الصحراء وقد كانت ظروف استثنائية، حيث لجأ الكثير من الصحراويين للجزائر وهي الفترة التي بنو خلالها ما يسمى بمخيمات اللاجئين، كما أن الكثير من السكان المتواجدين اليوم بالمنطقة أصلهم من النازحين الذين جاؤوا من مدن الطنطان وكليميم بعد رحيل اسبانيا،

وظلت الأمور من سنة 75 تقريبا الى سنة 91 على وقع الحرب المستمرة وانعدام الاستقرار، في هذه الفترة قدمت الأحزاب الوطنية للمنطقة اذ كان حزب الإستقلال هو أول هذه الأحزاب التي أطرت الساكنة، وهو حزب عتيد وقد كان لدى هذا الحزب في زمن جيش التحرير فروع بالمنطقة لكن أهل الصحراء في تلك الفترة لم يكونوا على دراية بمفهوم الأحزاب، فقط اعتبروا أنه وسيلة للجهاد لطرد النصارى، لذلك فحزب الاستقلال جاء مباشرة بعدخروج اسبانيا من المنطقة،وجاءت بعده أحزاب أخرى وبقيت هذه الأحزاب بالمنطقة عندها فروع وعندها مكاتب لكن دورها ضعيف لأن أهل الصحراء في عقيدتهم يؤمنون بشيء واحد هو أنهم مع الملك، ولا يكترثون بالأحزاب أو الجمعيات أو أي مكونات أخرى.

ولما وقع اتفاق وقف اطلاق النار سنة 1991م حصل نوع من الانفتاح وانكبت الدولة للعمران وتوسيع المدن وانخرط الشباب الصحراوي في المدارس، اللغة العربية كانت بالمنطقة تدرس في زمن اسبانيا الى حد ضعيف عبارة عن صفر أو واحد في المئة، و دخل الصحراويين للمدارس ووصل أبنائهم للجامعات وأصبح هناك جيل مثقف من أهل الصحراء، وأصبح يعرف حتى هو معنى الأحزاب ومعنى خلق الجمعيات والتعاونيات والنقابات وغير ذلك، هذه الأمور استمرت وذهبت المذهب الذي تفسخ معه لباس القبلية وعوضتها بهذه المؤسسات الجديدة، أي بالانتماء للأحزاب وبالانتماء للتعاونيات والجمعيات وبقيت القبلية والقبيلة كشبح، أما شيخ القبيلة فالقيمة التي كانت عنده لم تعد، إذ ظهر شيوخ من نوع آخر وهم شيوخ الادارة ولم يعد شيخ القبيلة مباشرة هو المتكفل بمطالب أفراد المجتمع المحلي، بل حل مكانه شيخ الإدارة مباشرة، وأصبح المواطن يتعامل مع الادارة بشكل مباشر وليس عن طريق وساطة الشيخ، وبات المواطن يتقدم كذلك لسلك طريق الجمعيات التي تأسست والأحزاب وغير ذلك، "كلعوا الأعيان والشيوخ وبكا شي ينكالو المنتخب، وأنت تعرفوا، ايجي بهرة بلا بو بلا أم، يعني –انعدام الثقة بين المواطن والمنتخب – لاهي اعدل هموا أو ألا لاهي يستخبر عليه، الشيب لكبار حيدوهم وما تلا لذو المنتخبين كلمة اليوم"[180] ، وهنا يقصد المستجوب حالة الاتهامات المتبادلة بين الساكنة ومنتخبيها نتيجة لطغيان المصالح الشخصية وإفراغ أعيان المنطقة من وزنهم الرمزي الحقيقي بدل تغليب المصلحة العامة للساكنة، لدرجة أن ساكنة المنطقة أطلقت مثلا شعبيا جديدا حول منتخبيها الذين لا يبحثون الا عن مصالحهم الشخصية مفاده أن الشخص الفلاني "أسلع من مرشح وأشيع من كورونا"، ومن هذا الباب حصل تغير كبير وفي فترة وجيزة لأهل الصحراء سواء بالنسبة للانتماء الحزبي أو بالنسبة للعمل الجمعوي، وهو ما قدمه المبحوث السابق معتبرا بأن العمل الجمعوي والسياسي مسائل أصلا غريبة على أهل الصحراء لكن انتمى لها الشباب وتكون فيها لدرجة كبيرة، وأصبح بعض الصحراويين يتقلد مسؤوليات في الأحزاب، وأصبحوا برلمانيين عن طريق الأحزاب ومنتخبين ورؤساء جماعات ورؤساء بلديات عن طريق الأحزاب، وأصبحت هناك جمعيات لها دور في تأطير المجتمع على الرغم من أنه تأطير لا يزال ضعيفا، وذاك راجع الى أن أغلب الجمعيات التي أسست بالمنطقة هي جمعيات من أجل الحصول على مقابل مادي، أي الحصول على مساعدات من عند الدولة لأن الدولة بطريقة أو بأخرى تعطي مساعدات عن طريق الجمعيات، وهذا ما دفع الكثير من الناس الى خلق الجمعيات، لهذا فالعمل الجمعوي موجود بالمنطقة لكن مردوديته التوجيهية مازالت ضعيفة، والأحزاب السياسية بالمنطقة كذلك تساوي ممثليها، فالسؤال الذي يطرح عليك هنا بخصوص انتمائك الحزبي هو هل أنت مع حزب أهل الرشيد أو مع حزب أهل الجماني ولا تسمع أصلا الحزب باسمه، فحزب الاستقلال مثلا قبل أن يرأسه "حمدي ولد الرشيد" لم يكن يحصل على أصوات انتخابية كبيرة بمنطقة الدراسة، على الرغم من أنه يعد من بين أهم الهيئات السياسية بالبلاد.

كما شكل انتقال الأهالي من البوادي إلى مراكز الاستقرار الحضرية والقروية (تيرس، زمور، لحمادة..)، بفعل توالي سنوات الجفاف وتداعيات حرب الصحراء مسارح للتغيرات الاجتماعية، حيث لعبت الدولة دورا هاما في عملية الاستقرار من خلال

[180] : مقابلة أجريت مع أجد رجال القوات المساعدة بمدينة السمارة أبريل 2018م.

توطين البدو وتوفير بعض شروط الإقامة لهم بهذه الحواضر الناشئة، كما أن التحولات التي مست بنيات المجتمع ستبقى مؤثرة على راهن ومستقبل المنطقة، سواء تعلق الأمر بالبنيات الثقافية أوالاجتماعية أوالاقتصادية أوالسياسية.. لتتراجع القيم المشتركة في ظل عدم قدرتها على مواجهة قيم السوق واتساع نطاق سطوة النقد والعمل المأجور والمكننة وظهور المقاولة.. وتيار العولمة الخاطف.

وفي المحصلة، وأمام هذه التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية... هل يمكننا القول بانتهاء دور القبيلة كمؤسسة تقليدية مؤطرة للبنيات الاجتماعية داخل مجتمع الساقية الحمراء ووادي الذهب؟ أم أنها لا تزال حاضرة وإن – رمزيا– في الأحداث الكبرى والأزمات؟ أو بعبارة أخرى هل عوضت النخب الجديدة الدور التقليدي للقبيلة؟ وماهي أبرز تجليات حضور هذه النخب؟ وما هي أدق ملامح غيابها؟

لفهم مجتمع الساقية الحمراء ووادي الذهب في فترته الراهنة لابد من الرجوع الى فهم نمط عيشه وكيفية تدبير حياته في المراحل السابقة، وخاصة خلال مرحلة البداوة والرعي الترحالي ثم الحقبة الاستعمارية الاسبانية التي شكلت تغييرا قسريا في مساره التاريخي، حيث انتقل هذا المجتمع من نظام قبلي تقليدي كان فيه "المورو عامة والنساء خاصة يحفظن تقاليدهن وأعرافهن القبلية بنوع من السرية التامة"[181] ، الى ثقافة السوق الرأسمالية وإن بدرجة أقل سطوة من مخلفات الاستعمار الفرنسي في شمال المملكة، وبذلك عرف هذا المجتمع بعد استرجاع المنطقة لحاضنة الوطن الأم ما يمكن أن نسميه "ازدواجية" متعلقة بعدم جدوائية المؤسسات الاجتماعية التقليدية (القبيلة، الزاوية، العرف..) وضعف أدائها، في مقابل عدم ظهور مؤسسات اجتماعية حديثة قادرة على تأطيره كباقي المجتمعات الصناعية المتقدمة، مما أخر طريقه نحو تغيير اجتماعي حداثي ونهضوي يؤهله لاستشراف مستقبله انطلاقا من حاضره وواقعه المعيش.

لذلك أضحينا أمام مجتمع حديث حياة التمدن لم يستوعب بعد ثقافة السوق المفروضة عليه، ذلك أن الاستعمار الاسباني على الرغم من المدة الطويلة التي أمضاها بالمنطقة لم يكن محتكا لدرجة كبيرة مع الأهالي، فقد اكتفى بثكناته العسكرية المرابطة في أغلبها على طول الشريط الساحلي، مركزا كامل قدراته على استنزاف الثروة وتسهيل نقلها خاما لأراضيه، لكن اللحظة المضيئة في هذا المسار كانت مع بزوغ جيش التحرير المدعوم من قبل الحركة الوطنية في شمال المملكة، حيث وقفت هذه المقاومة في وجه هذا الاستعمار كرد فعل طبيعي على ما اقترفه خلال عقوده الاستنزافية والاستعبادية، وهي مقاومة محلية مدعومة وطنيا ولدت من رحم الاستعمار ونمت خلال ظروفه حتى كللت بطرده من المنطقة.

لقد أفضى التدخل الاستعماري في الأقاليم الصحراوية الى فرض مؤسسات ادارية جديدة، فقد كانت السياسة الاستعمارية الاسبانية مخالفة لنظيرتها الفرنسية، فالإسبان لم يقوموا بإنشاء بنيات تحتية حقيقية تساهم في خلق تنمية اقتصادية واجتماعية، ولا بتشييد نواة مدن تجارية أو صناعية، بل عملوا على بناء مراكز حضرية معسكرة في الغالب تابعة لنفوذهم الاستعماري وتوظيفها كأسواق استهلاكية، دون خلق مشاريع انتاجية تعود بالنفع على الساكنة المحلية، فالاستعمار الاسباني عندما "اكتشف مناجم الفوسفاط (منطقة بوكراع)، واستغل الثروات البحرية كان ذلك كله موجها الى اسبانيا، ولم يعد على المنطقة بأية منفعة وهو ما أدى إلى حالة من النكبة"[182] ، وهي نكبة اقتصادية حادة عبر عن تجلياتها أحد مستجوبينا في معرض سؤالنا له عن مآل التضامن الاجتماعي الذي كان حاصلا بين أفراد القبائل فكان رده: "التضامن اللي منو تلا خالك ألا عنو ما يتوفا أركاج ما أمشات معاه الناس فالدفن، ألا بعد فالموتى ما هو فشي غير ذاك"[183] ، أي أن ما تبقى من التضامن الاجتماعي اليوم هو سعي الناس لكسب أجر دفن الموتى لا غير، أما طبيعة العلاقات الاجتماعية التقليدية

[181] : محمد دحمان، الساقية الحمراء ووادي الذهب في الكتابات الاسبانية (1885م-1933م)، طوب بريس للطباعة والنشر- الرباط، ط.1، 2014م، ص. 146.
[182] : م. س. ص. 58.
[183] : مقابلة أجريت مع أحد شيوخ القبائل الصحراوية بالعيون شهر يونيو 2018م.

التي كانت تتأسس على تسييد أشكال التكافل الاجتماعي في حياة الأفراد فقد توارت، وأضحى الفرد منزوي وذائب ضمن معترك حياته الشخصية ومتطلبات الحياة التي لا تنتهي.

وبالإضافة إلى دور الاستعمار الإسباني في خلخلة البنيات الاجتماعية والثقافية للمجتمع، فقد ساهم توالي سنوات الجفاف أيضا في زوال جزء كبير من الغطاء النباتي، وبالتالي نقصان قطعان المواشي باعتبارها أهم موارد الرحل المعيشية، مما اضطرهم الى نهج "الاستقرار" بضواحي المراكز الاستعمارية بسبب ظروف الطبيعة القاسية، فشكلت هذه الهجرة والتنقلات بداية لتبلور استقرار ديموغرافي واقتصادي جديد ضمن تجمعات سكانية صحراوية.

كما ظل هذا المجتمع بالرغم من كل ما حل به من تغيرات متمسكا بعد جلاء الاستعمار الاسباني بعقيدته الاسلامية، وبجزء كبير من ثقافته الشعبية التي بلورها تاريخيا، بينما في المقابل خرجت اسبانيا دون أن تترك له عمرانا أو صناعة أو تجارة أو فلاحة أو مجرد بنى تحتية وازنة، من شأنها أن تؤهله للانتقال نحو تبني حياة الإنتاج والاعتماد على قدراته الذاتية وتطويرها، مما قد يساعده على تحقيق النمو الاقتصادي المعاصر، وهكذا دخل مجتمع الدراسة في خضم سباق محموم لخلق أحزمة من الدور والأحياء العشوائية، ضمن تجمعات سكنية مترامية العمران بشكل فوضوي لا يمكن بالبتة نعتها بمدن الإنتاج الحديثة.

لقد كان للدولة الوطنية بعد جلاء المستعمر الدور الرئيسي في اعادة تنظيم هذا المجال إداريا وسياسيا، فحدثت تحولات جديدة في طبيعة السلطة التقليدية التي كانت قائمة على مستوى مؤسسة القبيلة وبرز دور مؤسسات الدولة (الأقاليم، البلديات، الجماعات المحلية..)، بمعنى الانتقال من سلطة الشيخ و"اجماعة" ومجلس "أيد أربعين" إلى سلطة زعيم الحزب أو المؤسسة (النقابة أو الأحزاب..)، مما ترتب عنه حدوث تغيرات اجتماعية جديدة، إذ أصبح "المحدد اليوم للعلاقات الاجتماعية الفاعلة والتوازنات الاقتصادية والسياسية هو جهاز الدولة والقرب منه أو البعد، وكذا "المال"، ومن يمتلك المال يمكنه أن يوظف القبيلة فإن لم يستطع فيمكنه تحريك الفخذ الذي ينتمي إليه وبالتالي يخلق حقلا للصراع والرهان الاقتصادي والسياسي والرمزي" [184]، هذا التراجع الحاد لأدوار القبيلة عبر عنه أحد المستجوبين بعبارة معبرة: "سلطة القبيلة اليوم بكات فأمور الصندوق والتكافل والمشاكل اللي توقع كيف مثلا سلطة القبيلة فالتكافل الاجتماعي ألا ذا فاش منحصرة، شي ثاني أصلا الدولة ما لاهي تخليهم يقوموا بيه، والانحلال الخلقي ما تدخل فيه، ألا الزواج والصندوق اللي فاش منحصرة، ما عندها اليوم سلطة باش تلوي دراع الدولة[185]. "

استنتاج:

الغرض من هذه المحاولة لم يكن يسعى الى التوصل إلى نتائج بقدر ما كان يهدف لإثارة قضايا للنقاش، حيث لازلنا نجد موضوع القبيلة الصحراوية من منظور الأفراد والجماعات بمنطقتي الساقية والوادي ونواحيها من البوادي والأرياف خزان للذاكرة والهوية والانتماء، وكرهان سياسي من أجل الوصول إلى السلطة أو التودد إلى رموزها، وهو ما يطفو للسطح خلال تأزم الصراع حول مراكز السلطة السياسية، كما "يظهر ذلك بشكل جلي من خلال محاولة ضمان تمثيلية سياسية لمختلف القبائل وتحقيق نوع من التوازن وفق أجندة سياسية تحركها بالدرجة الأولى الدينامية الخارجية من خلال ما بات يعرف بقضية الصحراء"[186] ، وما العمليات الانتخابية وعملية تحديد الهوية التي كانت بداية التسعينات وكذا "العصبية الترابية" المتعلقة بالصراع حول استغلال الأرض والمجال إلا أحد أبرز محددات حضور القبيلة واستمرار تواجدها إلى اليوم، وهكذا

[184] : محمد دحمان، دينامية القبيلة الصحراوية في المغارب، م.س، ص. 260.
[185] : مقابلة أجريت بمدينة العيون مع أحد الشباب الموظفين بقطاع الداخلية شهر أبريل 2018م.
[186] : سيد أحمد الشرادي، أطروحة دكتوراه بعنوان: الملامح العامة لمجتمع البيضان: دراسة مونوغرافية لقبيلة أولاد اديلم، جامعة الحسن الثاني، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الدار البيضاء، تحت اشراف: د. مصطفى جفال، 2007م-2008م، ص. 333.

"يكون المعطى القبلي حاضر اليوم بقوة الى جانب أهمية القبيلة في الجانب السياسي والانتخابي وهنا تبرز بقوة وتظهر النعرة القبلية، وأحيانا الخطاب الشفوي يكرسها في تبادل تحية السلام أو الحديث تحت عبارات: ولدنا، ولد عمي، ولد ارباعة، لاميكو.. فالخطاب القبلي حاضر بقوة في كل تفاصيل حياة الإنسان الصحراوي أين ما حل وارتحل على الرغم من وجود دولة المؤسسات"[187] .

إن البنية الاجتماعية بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب من خلال ما طبعها ابان المرحلة الترحالية وما عرفته من هرمية اجتماعية (المحاربين، الزوايا، أصحاب الحرف والمغنون، والأرقاء)، حيث شكل سيطرة بني حسان مع بداية القرن السابع عشر دفعة قوية لتعريب المنطقة، وصولا الى ذكر أنساب وتقسيمات القبائل القاطنة بالمنطقة، وما طبعها من علاقات قوية ومتعددة الأوجه نراها واضحة أثناء احياء العادات الاجتماعية، لنصل الى مرحلة الانتقال من القبيلة كنظام اجتماعي تقليدي الى شكل من أشكال الانضواء ضمن مؤسسات الدولة، على الرغم من أن هذا التحول لازالت تشوبه راهنا حالات اعادة انتاج القبيلة كلما دعت المصلحة الى ذلك، الأمر الذي نتج عنه الانتقال على حد تعبير الباحث "عبد الودود ولد الشيخ" من "فئوية شرائحية" (قبلية ومنافية للدولة) الى "فئوية سياسية"، بحيث تتم إعادة ترتيب وتشكيل القبائل بصورة دورية عبر الصراع الدائر على السلطة، إنه –على حد تعبيره– الانتقال من "قبيلة منافية للدولة" الى "قبيلة الدولة" ومن سيادة بنى القرابة الى البنى السياسية، حيث يشكل الامتياز أحد أبرز محددات "التمثيلية" في حيز المعنى السياسي والاجتماعي للكلمة، مما وفر لهؤلاء الممثلين السياسيين المحليين رأسمالا سياسيا واقتصاديا يصعب تجاوزه، نافس المفهوم التقليدي للنخبة واستعاض عنه بفئات مستفيدة من البناء الإداري والسياسي، وهو ما يوصف اليوم ب"الأعيان الجدد"، وهي معطيات توضح لنا اليوم كيفية توظيف الأسس التاريخية للقبيلة في الحياة السياسية قصد الظفر بالمناصب والاستثمارات بالجنوب المغربي.

قائمة بعض المراجع المعتمدة:

- بيير بونت، روايات الأصول، مساهمة في دراسة ماضي غرب الصحراء، ترجمة وتحقيق: محمد بن بوعليبة بن الغراب، دار النشر جسور، ط.1، انواكشوط– موريتانيا، 2015.
- حيدارة بشر أحمد، تاريخ الصحراء الغربية وقبائلها العربية، بدون دار ومكان النشر، ط. 1، 2015.
- خوليو كارو بروخا، دراسات صحراوية، ترجمة: أحمد صابر، ط.2، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2015.
- فايد العليوي، القبيلة: التكوين في سياق سياسي، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء– المغرب، ط.1، 2018.
- طوماس غارسيا فيغيراس، سانتا كروث دي ماربيكينيا إيفني والصحراء: السياسات الإسبانية في الساحل الغربي لإفريقيا، تعريب وتعليق: محمد سبى، مراجعة: محمد دحمان، مطابع الرباط نت، ط.1، الرباط، 2021.
- عبد الودود ولد الشيخ، القبيلة والدولة في أفريقيا، ترجمة: محمد بابا ولد أشفع، الدار العربية للعلوم ناشرون، مركز الجزيرة للدراسات، ط.1، 2013.
- عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، لبنان، بدون رقم طبعة، 1971.

[187] : مقابلة أجريت مع شاب جامعي بمدينة العيون شهر أبريل 2018م.

- علي العمري، المقاومة الصحراوية والعمل الوطني (مقابلات ووثائق)، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ط.1، كانا برانت، الرباط، 2008م.
- سيد أحمد الشرادي، أطروحة دكتوراه بعنوان: الملامح العامة لمجتمع البيضان: دراسة مونوغرافية لقبيلة أولاد ادليم، جامعة الحسن الثاني، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الدار البيضاء، تحت اشراف: د. مصطفى جفال، 2007-2008.
- سالم وكاري، قراءة في ذاكرة القبيلة الصحراوية ووضعياتها، "الإنتاج الفكري للدكتور محمد دحمان: مناهج ومسارات"، مؤلف جماعي، تنسيق وتقديم: سمير مرزوق، ط.1، مطبعة ماروطة- الداخلة، دجنبر 2022م، ص. 205.
- رحال بوبريك، زمن القبيلة: السلطة وتدبير العنف في المجتمع الصحراوي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط.1، الرباط، 2012.
- علي العمري، المقاومة الصحراوية والعمل الوطني (مقابلات ووثائق)، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ط.1، كانا برانت، الرباط، 2008م
- محمد دحمان، الساقية الحمراء ووادي الذهب في الكتابات الاسبانية (1885م-1933م)، طوب بريس للطباعة والنشر- الرباط، ط.1، 2014م.
- محمد دحمان، دينامية القبيلة الصحراوية في المغارب بين الترحال والاقامة، دراسة سوسيو-أنثروبولوجية حول أولاد بالسباع، طوب بريس-الرباط، ط.1، 2012.
- محمد الدحمي، "مقاربة سوسيو- أنثروبولوجية لمجتمعات البدو- سكان الصحراء نموذجا"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون، كلية العلوم القانونية والإجتماعية عين الشق -الدار البيضاء.
- ماكس فرايهير فون أوبنهايم وآرش برونيلش وفرنر كاسكل، تحقيق وتقديم: ماجد شبر، البدو: ما بين النهرين "العرق الشمالي" وسورية، ج. 1، ط. 1، الوراق للنشر، 1939م.
- للا زليخة بابا، المرأة في مجتمع البيظان: سؤال الكينونة، القبيلة في ثقافة الصحراء ورهانات التنمية، ثقافة الصحراء، فصلية ثقافية متخصصة تصدرها جمعية أصدقاء متحف الطنطان، العدد الرابع- خريف 2015.
- ABDEL WEDOUD OULD CHEIKH. TRIBU ET ETAT EN AFRIQUE. Centre des etudes sahariennes. Edition: 2014. Rabat-maroc.

"التنوع" في وسائل الإعلام: مدخل للتعايش والتماسك الاجتماعي

«Diversity» in the Media: An Introduction to Coexistence and Social Cohesion

د: محمد سليماني
باحث في التواصل والصحافة
المغرب

ملخص:

لا يوجد مجتمع متجانس كليا، أو مكون من اثنية واحدة. ففي كل الدول في بقاع العالم تتعايش اثنيات أو أقليات مختلفة عرقيا وجنسيا ولغويا، غير أنها موحدة داخل الدولة الواحدة التي تجمعها. وهذه الوحدة لا يمكنها أن تتم بالقوة أو بالإكراه، وإنما تتم عبر احترام كل اثنية أو عرقية لمن يختلف معها، تحت قاعدة الاختلاف يقوي التماسك.

ومن بين الوسائل التي تقوي هذا التماسك، كما أنها قادرة على هدمه أيضا، وسائل الإعلام. فهذا الوسائل لها دور محوري وحاسم في حماية التماسك الاجتماعي بين أفراد المجتمع المختلف، وكلما تمت حماية هذا التماسك يتم داخله حماية الدولة ككل. ويتعايش داخلها أفراد مجتمعها فيما بينهم بيسر. ولكي تتم حماية التنوع المجتمعي، لابد من حمايته داخل وسائل الإعلام أولا، بحيث تفتح أبوابها لمختلف الحساسيات والعرقيات والاثنيات للتعبير عن آراءها ومواقفها ونقل ثقافتها وعاداتها. كما أن لوسائل الإعلام مسؤولية كبيرة في انتقاء تعابير اللغة المستعملة، إذ إنها كلما انزاحت عن وظيفتها ودورها ومسؤوليتها الاجتماعية سقطت في المحظور، وتسببت في تحريض فئة ضد فئة.

الكلمات المفاتيح: التنوع– التنوع الإعلامي– التعددية – الإعلام

Abstract:

There is no totally homogeneous society, or an entity made of one single ethnic component. In all countries of the world, ethnicities, or ethnic and linguistic minorities coexist, but they are united within the one state that gathers them. This unity cannot be carried out by force or coercion; it is carried out through respect of each ethnicity or ethnic group for those who disagree with it, under the basis of difference that strengthens cohesion

The media are among the means that strengthen this cohesion, and they are also able to destroy it. They have a pivotal and decisive role in protecting social cohesion among members of a diverse society, and whenever this cohesion is protected, the state as a whole is protected. The members of its society coexist easily. In order to protect the diversity of society, it must be protected within the media first, by opening their doors to various sensitivities and ethnicities to express their opinions and attitudes and to transfer their cultures and customs. The media have a great responsibility in selecting the terminology of the language used; whenever they deviate from their function, role and social responsibility, they fall into the forbidden and incite group against group.

Keywords: Diversity - Media Diversity - Pluralism - Media

مقدمة:

أضحت قضية التنوع الإعلامي في وسائل الإعلام، إحدى أهم الإشكالات الكبرى، التي عرفت نقاشا واسعا ما بين الباحثين والمهنيين والإعلاميين، وذلك بحكم تأثير الإعلام ونفوذه على الرأي العام، فهو بإمكانه المساهمة في التماسك الاجتماعي، كما يمكنه التسبب أيضا في الاقصاء الاجتماعي لبعض الفئات والمجموعات الاجتماعية.

التنوع الإعلامي هو أحد الموضوعات التي استأثرت بالاهتمام، على اعتبار أن شمول التغطية الصحفية لكل مناحي حياة المجتمع يجعل الأفراد يحسون أن وسائل الإعلام قريبة منهم، تنقل قضاياهم، وتعبر عن آمالهم وألآمهم وطموحاتهم، فيما تجد وسائل الإعلام من خلال عملها هذا أنها أقرب إلى هذا المجتمع. ومن أهداف التنوع الإعلامي الحفاظ على تماسك المجتمع وعلى ثقافته وحفظ الذاكرة المجتمعية دون انتقاء أو تمييز، بالإضافة إلى خلق مجتمع تشاوري ضد الفكر الوحيد وإشاعة روح التسامح وتعزيز التضامن ما بين مكونات المجتمع المتنوع، ونبذ التعصب والتمييز والعنف والعدوانية والإقصاء ومعاداة الأجانب، واحترام المختلفين ثقافيا والمختلفين في وتوجهاتهم وميولاتهم. فوسائل الإعلام مطالبة بأن تعكس التنوع الموجود في المجتمع بشكل يضمن التسامح والاحترام ما بين مكونات هذا المجتمع المختلف ثقافيا، إذ لا يمكن أبدا الحديث عن الآخر المختلف بوصفه "شاذا"، وإنما فردا له حقوقه التي يجب على الآخرين احترامها، وعلى وسائل الإعلام نقلها كما هي.

وإذا أردنا التأصيل لظهور مفهوم التنوع الإعلامي فالأمر سيقودنا إلى بداية التسعينيات فقط، حيث عرفت منطقة جنوب شرق أوروبا حروبا وتطاحنات أدت إلى انقسام عدة دول، فهذه التطاحنات وجدت في وسائل الإعلام ذاك الوقود الذي زاد من حدة هذه الحروب، بحيث إن كل قومية كانت تؤلب وسيلة إعلامها ضد القوميات الأخرى، مما أوقع المنطقة برمتها في حرب قذرة (الصرب، الألبان، اليوغوزلاف، الكروات).

ويبقى احترام التنوع في إطار ديموقراطي هو السبيل الوحيد الذي يحقق الانسجام المجتمعي عبر توفير استتباب السلم الاجتماعي، وعلى وسائل الإعلام في هذا السياق أن تعكس جميع الحساسيات والتيارات المجتمعية وتدافع عن حق باقي الحساسيات في التعبير عن نفسها إعلاميا، كما أن التنوع يعتبر محركا للتنمية الاقتصادية والبشرية الشاملة، وذلك لقدرته على خلق مجتمع تضامني مندمج.

أولا: مفاهيم مؤسِّسة

1- مفهوم التنوع:

للوقوف على معنى "التنوع" والإحاطة بهذا المفهوم، لابد من الوقوف عند التعريف اللغوي أولا، قبل المرور إلى معناه الاصطلاحي، فانتقال الكلمات من المعنى الذي عُرفت به في الاستعمال اللغوي إلى الاستعمال الاصطلاحي، يحافظ في

أغلب الأحوال على نواة دلالية أو نوى دلالية تبقى مستمرة في دوائرها العميقة وجريانها في الاستعمال الجديد، لأن التشابه يظل قائما بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي الذي يشحن بدلالة اتفاقية جديدة.

قد جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة، "تنوع يتنوع، تنوعا، فهو متنوع. تنوعت الأغصان: تحركت وتمايلت. تنوعت الأشياء: تصنفت وصارت أنواعا. نوع الأطعمة للضيوف: صنفها وجعلها أنواعا مختلفة. تَنَوُّعٌ (مفرد) مصدر تنوع، (حي) وهو حدوث الفروق بين الأشخاص والجماعات والعروق بتأثير عوامل مختلفة"[188].

أما من الناحية الاصطلاحية، فقد جاء في كتاب "البث الإذاعي والتلفزي: التعددية والتنوع (دليل التكوين لفائدة هيئات الضبط والتقنين الإفريقية) تعريف للتنوع ويعني أن "التنوع يتعلق بأنواع مختلفة من الأصوات تلج إلى وسائل الإعلام، ومجموعة من المعلومات والآراء التي تسمع، فالتعددية في وسائل الإعلام ما هي إلا جزء لحل مشكل كيفية الحصول على التنوع"[189].

والتعريف نفسه تقريبا نجده في كتاب "دليل تكوين ضابطي الاتصال السمعي البصري بإفريقيا" وهو أن "التنوع هو شيء مختلف، فهو أنواع مختلفة من الأصوات يسمح وتمنح لها إمكانية الوصول إلى وسائل الإعلام، وهو أيضا أنواع مختلفة من المعلومات ووجهات النظر التي تسمع".[190]

نستخلص من هاذين التعريفين أن التعددية هي جزء من كل، والذي هو التنوع، فالتنوع كل والتعددية جزء من الكل.

ونجد تعريفا أكثر شمولية في التقرير الرابع الصادر في يونيو 2013، عن "معهد التنوع الإعلامي"، والمتعلق برصد التنوع خلال الانتخابات التشريعية المصرية، وهو تعريف واضح وبسيط وشامل للتنوع، إذ يعني التنوع شمول التغطية الإعلامية للمجموعات المختلفة في المجتمع من حيث العرق والدين والجنسية والسن والتمييز القائم على أساس التفاوت في الدخل والنوع ، وأي عناصر أخرى تجعل من الأفراد أو المجموعات مختلفين، ولكن على قدم المساواة فيما بينهم. هناك تعريف آخر مقتبس من اتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي بباريس في أكتوبر 2005 ما يلي "التنوع الثقافي يقصد به تعدد الأشكال التي تعبر بها الجماعات والمجتمعات عن ثقافاتها.

فتنوع وسائل الإعلام تشمل كافة الإجراءات التي تكفل للمواطنين الوصول إلى مصادر مستقلة ومتنوعة من المعلومات والآراء والخطابات...، وذلك حتى يتمكنوا من تكوين أراءهم الخاصة دون التأثر بقادة الرأي. فالتنوع كذلك "لا يعني، كما يذهب إلى ذلك بعض (الإطلاقيين) الخروج عن (الجماعة) أو عن (الصف) الوطني أو الديني أو الثقافي. كما لا يعني، كما يحذر بعض (الخائفين) التشجيع على التشتت أو التشرذم أو التفرقة داخل المجتمع. إن إقراره مظهر من مظاهر احترام الديمقراطية والحرية والعيش في كنفه، يؤكد قدرة المجتمع على العيش المشترك وعلى التعايش".[191]

وتشير المادة الأولى لإعلان اليونيسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي إلى أن "التنوع الثقافي بوصفه تراثا مشتركا للإنسانية، تتخذ فيه الثقافة أشكالا متنوعة عبر المكان والزمان. ويتجلى هذا التنوع في أصالة وتعدد الهويات المميزة للمجموعات

---

[188] - أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصر، المجلد 1، حرف النون، عالم الكتب، 2008، ص 2306.

[189] - البث الإذاعي والتلفزي، التعددية والتنوع (دليل التكوين لفائدة هيئات الضبط الإفريقية)، منشورات الهيأة العليا للاتصال السمعي البصري، ص 23.

[190] - Manuel de formation sur la régulation de l'audiovisuel en Afrique, Haute Autorité de la Communication Audiovisuelle et Article 19, Rabat, Novembre 2008, page 17.

[191] - حفيظ محمد، الحق في التنوع في المجتمع وفي الإعلام؛ مركز حرية الإعلام في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، 2009، ص 11.

والمجتمعات التي تتألف منها الإنسانية. والتنوع الثقافي، بوصفه مصدرا للتبادل والتجديد والابداع، هو ضروري للجنس البشري ضرورة التنوع البيولوجي بالنسبة للكائنات الحية. وبهذا المعنى، فإن التنوع الثقافي هو التراث المشترك للإنسانية، وينبغي الاعتراف به والتأكيد عليه لصالح أجيال الحاضر والمستقبل"[192].

أما أنواع "التنوع"، فيمكن تقسيمها كذلك إلى قسمين:

- "**التنوع الخارجي:** يطلق على "الوحدة في إطار التنوع" أي الاعتراف بالفروق الفردية وتقديرها، كما أن مفهوم التنوع يشمل القبول والاحترام، ويمثل جانبا هاما من النقاشات حول سياسة التنوع. فالتنوع الخارجي يشير لوضعية أو لتقسيمات مجتمعية على أسس سياسية ودينية وجهوية أو غيرها وهي مدعومة من مصادرها الإعلامية الخاصة.، وهو ما يجعله يتوافق مع مفهوم أشمل وهو "الوحدة في التنوع" كنموذج للمجتمعات المعقدة.

- **التنوع الداخلي:** يعني عدم تجانس المصادر والمحتويات والمضمون وجمهور وسائل الإعلام، نظرا لاهتمام الأفراد بالأخبار والمعلومات عن طريق الآخرين، قصد تشكيل رأيهم من خلال التعليقات أو المناقشات الموازية. النموذج "الداخلي" هو سمة نظام معلوماتي يحمل عناوين أو دعائم منافسة تكافح من أجل تكوين جبهة جماهيرية عريضة بفضل المحتوى الخفيف و المتنوع، مجتمعة حول قاسم مشترك يتجلى في الذوق والإفادة. وهذا النموذج هو المفضل لدى النخب السياسية والثقافية، بالإضافة للصحفيين المهنيين المتشبعين بالمثل الموضوعية والتوازن. وهو النموذج الموصى به من طرف هيئات البث العمومية، لأنه يعكس تزويد عموم المواطنين بالطريقة الصحيحة"[193].

2- مفهوم التعدد:

يعود الأصل اللغوي للتعدد إلى "(عدّ) وتعني حسب وأحصى و" عادَهُ" معادَادَا و عداداً: فاخره في العدد، و"عَددَّ" الشيء وأحصاه و"عَدَّدت" الشيء جعلته ذا عدد "تَعَاد" القوم: عدَّ بعضهم بعضاً. "تَعدّدت" صار ذا عدد. والعديدّة": الحصة والنصيب. ويتضح من المعاني السابقة أن الكلمة تعني عدم التفرد، كما تحمل مضامين نفيسة ممثلة في التفاخر والمعادة، وكذلك تتضمن معنى القدم والاستمرارية حتى يعتد بها"[194].

والواضح من هذه المعاني سالفة الذكر، أن "المعنى اللغوي يحمل في طياته بعض الملامح الوصفية لحقيقة التعددية من حيث أنها تعني عدم الواحدية، أو التفرد، وذلك لأن أصل العد وجود الشيء القابل للإحصاء قل أو كثر، بما يعني أن هذا الشيء ليس منفرداً، أو وحيداً، وإلا ما قبل العد والإحصاء"[195]. ولا يختلف الأمر في اللغة الإنجليزية حيث تعني "كلمة Pluralism أن هناك تعدداً وعدم أحادية في الأصعدة المختلفة"[196].

---

[192] - إعلان اليونيسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي، باريس، 2001، المادة 1.

[193] - Denis McQuail, la diversité de l'information dans toute sa diversité : évolution d'un concept pour les médias et les politiques publique, Pluralisme de l'information et media diversity. Un état des lieux international, Sous la direction de Franck Rebillard, Marlène Loicq, Éditeur : De Boeck Supérieur, 2013, p29.

[194]- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج2، ط 3، 1985. ص 608.

[195]- عاشور محمد مهدي، التعددية الاثنية إدارة الصراعات واستراتيجيات التسوية، المركز العالمي للدراسات السياسية، عمان، 2002، ص 20.

[196]- C.t.Oninons(ed) The Shorter Oxford English Dictionary, The Clarendon Press,Oxford,1956,P1528.

أما من الناحية الاصطلاحية، فتتعدد التعريفات المقدمة لمفهوم التعددية، فيذهب معجم المصطلحات الاجتماعية إلى أن التعددية تعني: "تعدد أشكال الروح الاجتماعية في نطاق كل جماعة، وتعدد الجماعات داخل المجتمع وتعدد الجماعات نفسها.[197]

ويعرف معجم المصطلحات السياسية التعددية على أنها "من الناحية الاجتماعية تعني وجود مؤسسات وجماعات غير متجانسة في المجتمع المعاصر يكون لها اهتمامات دينية واقتصادية واثنية وثقافية متنوعة، والتعددية من الناحية السياسية تصف مجتمعاً تكون القوة فيه موزعة بصورة واسعة على جماعات متعددة مرتبة في أنماط متنوعة للصراع أو المنافسة أو التعاون. وتعرف الموسوعة البريطانية التعددية بأنها "الاستقلالية التي تحظى بها جماعات معينة في إطار المجتمع مثل الكنيسة والنقابات المهنية والاتحادات العمالية والأقليات العرقية".[198]

أما قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فيعرف التعددية على أنها عبارة عن "تنظيم حياة المجتمع وفق قواعد عامة مشتركة تحترم وجود التنوع والاختلاف في اتجاهات السكان في المجتمعات ذات الأطر الواسعة، وخاصة المجتمعات الحديثة حيث تختلط الاتجاهات الأيديولوجية والفلسفية والدينية".[199] ويرى البعض أن التعددية ترادف التنوع والاختلاف، فيما البعض الآخر يرى بأنها تمثل النظام السياسي، وتهدف إلى إدارة الصراع الاجتماعي. وهناك تعريف فلسفي للتعددية، كما يرى "دنليفي وأوليري"، ذلك أن "التعددية هي الاعتقاد السائد بأن هناك أو ينبغي أن يكون هناك تعدد في المعتقدات والمؤسسات والمجتمعات. أي أنها على النقيض من الواحدية"[200].

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى ضرورة التفريق بين "التعدد" و"الاختلاف" كمفاهيم، وبين "التعددية" كمصطلح سياسي في علم السياسة الغربي الليبرالي السائد تحديدًا؛ فالتعدد – كمفهوم– يرادف التنوع والتفاوت والاختلاف، في حين أن التعددية كمصطلح هي نظامٌ سياسيٌّ له خلفية تاريخية وفلسفية ترتبط بإدراك دور الدولة وطبيعة المواطنة، بل وطبيعة الإنسان، وصيغ العقد الاجتماعي وقضاياه ونظامه الاقتصادي.

كثيرا ما يرتبط مفهوم التعددية بما هو سياسي، ويدخل ضمنه تعدد تيارات الرأي والفكر، حيث يقصد بالتعددية السياسية مشروعية تعدد القوى والآراء السياسية، وحقها في التعايش، وفي التعبير عن نفسها، وفي المشاركة في التأثير على القرار السياسي في مجتمعها.

هذا التعريف يعني الاعتراف بوجود تنوع في مجتمع ما بفعل وجود عدة دوائر انتماء فيه ضمن هويته الواحدة، من خلال احترام هذا التنوع وقبول ما يترتب عليه من خلاف أو اختلاف في العقائد والألسنة والمصالح وأنماط الحياة والاهتمامات، وإيجاد صيغ ملائمة للتعبير عن ذلك كله بحرية في إطار مناسب وبشكل يحول دون نشوب صراع يهدد سلامة المجتمع.

ويقصد بالتعددية السياسية كما يراها محمد عابد الجابري بأنها "مظهر من مظاهر الحداثة السياسية، ونقصد بها أولا وقبل كل شيء، وجود مجال اجتماعي وفكري يمارس الناس فيه "الحرب" بواسطة السياسة، أي بواسطة الحوار والنقد والاعتراض

---

[197]- بدوي أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، بيروت، 1986، ص317.

[198]- Encyclopedia Britanica,Vol 8, p.51.

[199]- دبيان سامي، قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، 1990، ص 138-139.

[200]- نيفين عبد الخالق، الأبعاد السياسية لمفهوم التعددية: قراءة في واقع الدول القطرية واستقرار لمستقبلها، بحث مقدم لندوة التعددية الحزبية والطائفية والعرقية في العالم العربي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، 1993، ص5.

والأخذ والعطاء، وبالتالي التعايش في إطار من السلم القائم على الحلول الوسطى المتنامية، والتعددية هي وجود صوت أو أصوات أخرى مخالفة لصوت الحاكم". أما الدكتور سعد الدين إبراهيم فيعرف التعددية السياسية على أنها "مشروعية تعدد القوى والآراء السياسية وحقها في التعايش والتعبير عن نفسها والمشاركة في التأثير على القرار السياسي في مجتمعها".201 بينما عرفتها الدكتورة ثناء فؤاد بأنها "الإقرار بوجود التنوع، وأن هذا التنوع يترتب عليه اختلاف المصالح والاهتمامات والأولويات"[202].

فإذا كانت التعاريف السابقة تسير نحو ربط التعددية بما هو سياسي، فكري وايديولوجي، يتعلق بمنح الفرصة لكل ألوان الطيف السياسي والفكري للتعبير عن رأيهم، فإن هناك من يرى أن التعددية ترتبط بتعدد وسائل الاعلام وتنوعها، كما هو الشأن بالنسبة ل "منظمة الفصل 19" وهي منظمة مرجعية في عالم وسائل الإعلام، والتي تعتبر أن التعددية "تعني ببساطة وجود أنواع مختلفة من وسائل الإعلام ومن متعهدي البث الاذاعي والتلفزي، وبهذا المعنى فالتعددية تناقض وجود شركة واحدة تحتكر الإعلام أو وسائل البث، كما تناقض وجود نموذج واحد للملكية في البث الاذاعي والتلفزي"[203].

أما بخصوص أنواع التعددية، فيمكن تقسيمها إلى قسمين:

- "**التعددية الداخلية** (pluralisme interne) تعني تنوع المحتويات المقدمة داخل مؤسسة إعلامية واحدة.
- **التعددية الخارجية** (pluralisme externe) تعني تنوع مصادر المعلومات أي تنوع الحوامل الإعلامية"[204].

3- مفهوم الإعلام:

"الإعلام" من حيث اللغة مشتق من فعل "أعلم" الرباعي الماضي والمضارع منه "يعلم" والمصدر إعلاماً ومعنى أعلم قام بالتعريف والأخبار لغيره والثلاثي منه (علم) أي عرف وخبر. أما في "القاموس المحيط" نجد "علم، أعلم، فقال علمه كسمعة علماً الكسر عرفه وعلم وهو في نفسه ورجل عالم وعليم وجمعها علماء وعلام كجهال وعلمه العلم تعليماً وعلاماً ككذاب واعلمه إياه فتعلمه"[205].

أما من ناحية الاصطلاح، فقد اتسع مفهوم الإعلام في عصرنا الحاضر ولم يعد مقتصرا على الإخبار السريع فحسب، بل توسع واصبح علماً قائماً بذاته وتنوعت تعريفاته. يقول الدكتور إبراهيم إمام "الإعلام هو تزويد الجماهير بالأخبار الصحيحة والمعلومات والحقائق الثابتة والسليمة التي تساعدهم على تكوين رأي عام صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم"[206].

---

[201]- رياض عزيز هادي، من الحزب الواحد إلى التعددية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1995، ص63.

[202]- ثناء فؤاد عبد الله، الحزب والسياسة والديمقراطية، مجلة الإسلام والديمقراطية، ع 3، بغداد، غشت 2003، ص 40.

[203] -Manuel de formation sur la régulation de l'audiovisuel en Afrique, haca et Article 19, United Kingdem, novembre 2008, p17.

[204] - ibid, p29.

[205] - مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، الجزء الرابع فصل العين، باب الميم، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص 155.

[206] - إمام إبراهيم، أصول الإعلام الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ، ص 14.

وجاء في قاموس أكسفورد وكاسل "الإعلام هو الأخبار وهو التبليغ أو هو الإنباء وكلها كلمات مترادفة تعنى انتقال معلومة بين الأفراد أو بواسطة فرد أو جماعة بحيث تنشر بينهم فتصبح لهم لغة للتفاهم. ويرى العالم الألماني أتوجرت إن "الأعلام هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت"[207]

ونستنتج مما تقدم من تعريفات أن الإعلام ضرورة بشرية وإنسانية لأن النفس الإنسانية جُبلت على التواصل وقد ظهرت أدوات إعلامية للتعبير عن عقلية الجماهير وميولها، فهذا التواصل هو الذي يخرج الإنسان من عزلته إلى فضاء أرحب يلتقي فيه بالآخر ويتبادل معه المعلومات. فعبر الإعلام تتبلور القيم وتظهر الحقائق للناس من خلال الأخبار في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها من ضروب الحياة، كما أنه من خلال الإعلام يكتسب الناس المهارات الجديدة التي تؤهل الفرد للوصول إلى أعلى درجات العلم.

4- فروقات بين التنوع والتعدد

لابد بداية من حصر الفروقات ما بين مفهومي التنوع والتعدد، وذلك لمعرفة التمايزات بينهما، فالتنوع هو ظاهرة لها معطى اجتماعي يلوح في كافة المجالات والجوانب، في حين أن مفهوم التعددية بشكل كبير دلالاته هي في مجال القانون والدولة. ونتيجة لذلك، وإذا أخذنا معنى كلا المفهومين في اللغة الانجليزية، نجد أن التنوع هو مجموعة كثيرة من الناس أو الأشياء التي يختلف بعضها جدا عن بعضها الآخر، أما التعددية فهي الايمان أو الاعتقاد بالاختلافات بين المجموعات المختلفة من الناس والإيمان بالعيش معا في سلام وفي مجتمع واحد.

ونستخلص مما سبق أنه يمكن القول بأن "التنوع هو الواقع الموجود في المجتمعات، أما التعددية فهي الاعتراف بهذا التنوع والايمان بعيش مشترك بين مكوناته وتنظيماته بشكل قانوني من قبل الدولة، وهذا يعني أن التعددية هي شكل من أشكال تنظيم التنوع في المجتمعات. كما نجد أيضا تمييزا واضحا آخر بين التنوع والتعدد، فالأول مجال شاسع يعم التنوع الاثني وتنوع النوع ما بين المرأة والرجل، والتنوع اللغوي، وكذلك التنوع في الرأي، وهو ما يسمى بالتعدد على المستوى السياسي"[208].

وكثيرا ما يتم تداول التنوع وربطه بالتعدد، إذ يتم استخدامهما كمترادفين في مفهوميهما، يقول الأستاذ الجامعي الباحث بجامعة أمستردام دينس ماكويل: "مصطلح "التعددية" و"التنوع" هما غالبا مرادفين، غير أن الأول له دلالة محايدة أكثر ويكذب أحكام القيمة، والثاني يبرز الحاجة لتمثيل وجهات نظر متضاربة ومتناقضة وكذلك المعلومات ذات الصلة."[209] كما يرى ماكويل أن التعددية ترتبط دوما بكل ما يتعلق بالتعبير عن الرأي والفكر والتعبير عن ما هو سياسي أو ذو حمولة سياسية. أي أن التعددية اكتسبت هذا الزخم وهذا الشمول والاتساع من النقاشات السياسية نفسها"[210].

---

[207] - حمزة عبد اللطيف، الإعلام له تاريخه ومذاهبه، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، القاهرة، 1965، ص 23.

[208] - مفتاح نورالدين، التنوع في المجتمع المغربي، مركز حرية الإعلام في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، الرباط، 2009، ص 13.

[209]- McQUIAL Denis, la diversité de l'information dans toute sa diversité: évolution d'un concept pour les médias et les politique publique, Pluralisme de l'information et media diversity. Un état des lieux international, Sous la direction de Franck Rebillard, Marlène Loicq, Éditeur : De Boeck Supérieur, 2013, paris, 2013, p 26.

[210] - Des FREEDMAN, la régulation pour la pluralité :les leçons du Royaume-Uni, Pluralisme de l'information et media diversity. Un état des lieux international, Sous la direction de Franck Rebillard, Marlène Loicq, Éditeur : De Boeck Supérieur, paris, 2013, p99.

كما أن هناك اتجاها متناميا للتمييز بين التنوع والتعدد، ومنها مدى الاختلاف، فـ"التعدد يشير إلى مطلق الاختلاف أي الاختلاف غير المحدود الذي يحتمل الوصول إلى درجة التناقض المستلزم للاصطدام بين المتعددات، فيما التنوع – في المقابل– يشير إلى الاختلاف من نواح، ويشير إلى التشابه والتطابق من نواح أخرى بين الأنواع، وهذا يعني أن الاختلاف هنا محدود ولا يستلزم الاصطدام"[211].

وفي سياق الإحاطة بالفروقات ما بين التنوع والتعددية يقول أستاذ الإعلام بالمعهد العالي للإعلام والاتصال بالرباط عبد الوهاب الرامي: "لا يجب، من جانب آخر، الخلط بين التعددية والتنوع في مجال الإعلام. فالاتحاد الأوروبي يسطر في الكتاب الأبيض الذي أصدره حول التنوع بأوروبا هذا الأمر، حيث غالبا ما تهم التعددية الجانب الكمي العددي فقط وليس الكيفي النوعي. ولا يعني التفاوت بين المصطلحين النبذ النهائي لمفهوم التعددية الذي يعتبر، في المجال السياسي خاصة، أحد مداخل التنوع المجتمعي"[212].

ثانيا: التأصيل التاريخي

1- تاريخ ظهور مفهوم "التنوع الإعلامي"

بالرغم من أنه لا يوجد تاريخ مضبوط ومعروف يوثق لتاريخ ظهور مفهوم التنوع الإعلامي، وبداية تداوله في الأوساط الإعلامية وبين صناع القرار الإعلامي، إلا أن وجود شذرات في بعض القرارات الأممية يحيلنا إلى بدايات تداول هذا المفهوم.

لقد ظهر مفهوم "التنوع الاعلامي" في سياق مضطرب؛ سياق الحروب والتطاحنات، والتي كان الإعلام طرفا فيها، لذا نجد أن بدايات الحديث عن "التنوع الإعلامي" كانت مرتبطة بالحرب والاضطراب والتطاحنات، إلى درجة أن المفهوم كان يحمل من بين سماته رائحة الرصاص والاختلاف.

ويبقى الفصل التاسع عشرة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان يحمل في طياته مبادئ لاحترام وصيانة التنوع، بالرغم من أنه لا يتحدث عن هذا المفهوم صراحة، إذ يقول أنه "لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية"[213].

وفي نونبر من سنة 1987 أصدر المؤتمر العام لمنظمة اليونيسكو إعلان المبادئ الأساس لإسهام وسائل الإعلام في دعم السلام والتفاهم الدولي وتعزيز حقوق الإنسان ومكافحة العنصرية والفصل العنصري والتحريض على الحرب. ففي الفقرة الثانية من المادة الثانية تم الحديث عن "التنوع"، وتم ربطه بتنوع مصادر ووسائل الإعلام، كما تحدثت ذات الفقرة عن "التنوع" بعد ربطه باستجابة وسائل الإعلام لاهتمامات الشعوب والأفراد، وتتحدث الفقرة الثالثة عن مهام وسائل الإعلام وارتباطها بإسماع أصوات الشعوب المقهورة. وقد جاء في هذه الفقرة أنه "يجب ضمان حصول الجمهور على المعلومات عن طريق تنوع مصادر ووسائل الإعلام المهيأة له، مما يتيح لكل فرد التأكد من صحة الوقائع وتكوين رأيه بصورة موضوعية في الأحداث. ولهذا الغرض يجب أن يتمتع الصحفيون بحرية الإعلام وأن تتوافر لديهم أكبر التسهيلات الممكنة

211 ـ مؤسسة المنصور الثقافية، إدارة التنوع الثقافي من الحفاظ إلى التزكية، بحث مقدم إلى ندوة التنوع الثقافي والحداثة: حوار بين الأقاليم، التي نظمتها اليونيسكو في باريس في ماي 2004 باريس، 2004.

212 ـ الرامي عبد الوهاب، التنوع الإعلامي بالمغرب. من أجل ممارسة مهنية تكرس واقع وغنى مجتمعنا، معهد التنوع الإعلامي، الرباط، 2013، ص 9

213 ـ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر سنة 1948، المادة 19.

للحصول على المعلومات. كذلك ينبغي أن تستجيب وسائل الإعلام لاهتمامات الشعوب والأفراد، مهيئة بذلك مشاركة الجمهور في تشكيل الإعلام"[214].

وفي أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات أنشأت الصحافية "ميليتسا بيشيش" (Milica Pesic) معهدا أطلقت عليه "معهد التنوع الإعلامي". اسم لم يطلق هكذا عبثا، وإنما كان اختياره نابعا من حرقة داخلية ومن معاناة نفسية طويلة عايشت فصولها الصحافية "ميليتسا" بدقة ومعاناة. "ميلتيسا" كانت "تعمل منذ الثمانينيات والتسعينيات صحفية في تلفزيون صربيا، غير أنه تم عزلها من منصبها بعد ذلك بعدما رفضت المشاركة في آلة الدعاية التي تم تأسيسها من قبل النظام الصربي خلال حرب البلقان، إذ إنها ذعرت من الطريقة غير المهنية وغير الأخلاقية التي اتبعتها الوسائل الإعلامية في زيادة النزاع عن طريق زيادة التوتر بين المجموعات العرقية، فقررت "ميليتسا" أن تنشأ معهد التنوع الاعلامي كوسيلة لمنع استخدام الإعلام بهذه الطريقة"[215].

2- السياق التاريخي لبدايات الحديث عن "التنوع"

منذ مطلع القرن التاسع عشر، برز إلى العلن الانتباه إلى التنوع داخل كل مجتمع أو ثقافة أو حضارة، خصوصا مع بروز الإرهاصات الأولية لعلمي الانتروبولوجيا والاثنولوجيا اللذين بلغا أوجه النضج عند علماء مثل "كلود ليفي ستراوس" و"مارغريت ميد"، إذ ظهرت الأهمية للنص الذي حرره ستراوس بطلب من منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "يونيسكو" بعنوان "العرق والتاريخ". و"يرجع السبب في الاستعانة بهذا العالم إلى اقتناع المنظمة الدولية بأنه داخل كل مجتمع وكل ثقافة اختلافات وتنوعات تشكل في تفاعلها وتكاملها ملمحا هوياتيا يميز مجتمعا عن مجتمع، وثقافة عن ثقافة. دفع هذا الاقتناع الفريق الذي صاغ دستور اليونيسكو الصادر في 1945 إلى تضمينه مادة مفادها أن التنوع في ثقافات العالم، وكذا التنوع داخل الثقافة الواحدة حقيقة قائمة لا غبار عليها وهو تنوع مثمر وفعال"[216].

لقد أدت المخاوف من العنف العرقي بعد الحرب العالمية الثانية بكثير من الشعوب إلى دعم التجزئة والتقسيم من خلال الممكن لكل جماعة عرقية من تشكيل دولتها الخاصة كلما أمكن ذلك، أو نقل السكان إلى مناطق أخرى كما حدث عندما نقل اليونانيون من تركيا إلى اليونان، ونقل العرق التركي من اليونان إلى تركيا. وبعد الحرب العالمية الثانية أدت مخاوف مماثلة إلى نوبة أخرى من التطهير العرقي، حيث أرغم العرق الألماني على الخروج من تشيكوسلوفاكيا وبلدان أخرى. واستمرت التطاحنات والحروب والهزات لسنوات عديدة، حيث عرفت منطقة جنوب شرق أوروبا حروبا وتطاحنات أدت إلى انقسام عدة دول، فهذه التطاحنات وجدت في وسائل الإعلام ذاك الوقود الذي زاد من حدة هذه الحروب، بحيث إن كل قومية كانت تؤلب وسيلة إعلامها ضد القوميات الأخرى، مما أوقع المنطقة برمتها في حرب قذرة (الصرب، الألبان، اليوغوزلاف، الكروات).

ففي الوقت الذي كان فيه تفاؤل كبير بأن الديمقراطية سوف تبزغ في أنحاء العالم بعد الحرب العالمية الثانية، فإن ما انبثق في كثير من بلدان ما بعد الشيوعية كان الصراع العرقي العنيف، لا سيما في البلقان والقوقاز، وظهرت مخاوف من أن ينتشر الصراع العرقي العنيف من يوغوسلافيا إلى وسط أوروبا (رومانيا، سلوفاكيا حيث الأقليات المجرية)، وإلى البلطيق

---

214 - منظمة اليونيسكو، تقرير المؤتمر العام لمنظمة اليونيسكو، المجلد الأول، الدورة العشرون، باريس أكتوبر/نونبر 1986.
215 - معهد التنوع الإعلامي: الصحافة الاندماجية، ط1 أبريل 2010، ص 72.
216 - القباج مصطفى، التنوع الثقافي من المفهوم إلى التفعيل، مجلة المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية أسيناك، عدد 8، الرباط، 2013، ص 70.

ووسط آسيا (مع أقلياتها الروسية التي لا يستهان بها، وتدهور الأوضاع في الصومال والسودان، والإبادة الجماعية في رواندا ما بين الهوتو والتوتسي.

ساد اهتمام دولي بالاهتمام بالتنوع وحقوق الاقليات والإثنيات والأعراق، وتم تدويل ذلك على أوسع نطاق، دون أن يبقى شأنا داخليا أو مسألة محلية تحل وفقا لتراث كل دولة وأولوياتها، فالمجتمع الدولي كان على وعي تام بمشكلة الأقليات، ومهتما بأن تعالج على نحو سليم، بعد أن كانت الأقليات المتضررة مصدر صراع منذ أواسط القرن التاسع عشر، كما أعادت نزاعات الانفصاليين والانضماميين، رسم خريطة أوروبا أكثر من مرة، وبطرق عنيفة كثيرا ما قوضت الاستقرار. وخلال القرن العشرين كان ينظر إلى مشكلة الأقليات والاثنيات في البداية على أنها قضية أقليات انضمامية. ومع "انقسام بعض الإمبراطوريات كالروسية والعثمانية إلى عدد من البلدان المستقلة حديثا، ظهرت مشاكل عرقية واثنية، خصوصا لدى أولئك الذين انتهوا إلى الجانب الخاطئ من الحدود الدولية، كالهنغاريين الذين وجدوا أنفسهم يعيشون في رومانيا أو الألمان الذين وجدوا أنفسهم يعيشون في بولندا. واستجابة لهذه المشكلة عقدت معاهدات ثنائية لضمان الحقوق المتبادلة للقوميات التي تعيش في دول متجاورة، غير أن هذا النظام رفض على نحو قاطع بعد الحرب العالمية الثانية، لأنه من ناحية لا يحمي سوى الأقلية ذات القرابة في دولة مجاورة تهتم بها"[217].

ومن أجل تجاوز هذه المعيقات والهزات وضعت اقتراحات تجريبية أولية تتعلق بإعادة تصور الانتشار العالمي للتنوع والتعددية، من خلال إعادة التفكير في دعم المضمون الجوهري للخطابات والمعايير التي يروج لها. بالإضافة إلى فهم التغيرات التي تذرك بها كل جماعة.

3- "التنوع" في الأدبيات الأممية

3-1 :"إعلان اليونيسكو"

بدأ الحديث عن "التنوع" في أدبيات الأمم المتحدة، بعدما سارعت منظمة اليونيسكو إلى تكوين لجنة برئاسة "خافير بيريز دي كويلار" الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة تحت اسم "اللجنة العالمية المعنية بالثقافة والتنمية، "اشتغلت هذه اللجنة على موضوع الثقافة كدعامة أساسية للتنمية في جميع أبعادها من سنة 1992 إلى سنة 1995، وكانت الحصيلة تقريرا حمل عنوانا دالا هو "التنوع الإنساني المبدع".[218]

بعد ذلك بسنوات صدر "إعلان اليونيسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي" في سنة 2001، وذلك من خلال المؤتمر العام المنعقد آنذاك في دورته الحادية والثلاثين. ويرمي هذا الإعلان حسب "كويشير ماستوار" المدير العام لليونيسكو إلى "صون التنوع الثقافي باعتباره كنزا حيا، وبالتالي كنزا متجددا، إذ لا يجوز أن ينظر إليه كتراث راكد، بل كعملية تمثل ضمانة لبقاء البشرية، كما أنه يرمي أيضا وفي الوقت ذاته إلى تفادي أوجه التفرقة وظواهر الأصولية التي ترسخ وتقدس هذه الفوارق باسم الاختلافات الثقافية"[219].

---

[217] - كيمليكا ويل، أوديسا التعددية الثقافية (سبر السياسات الدولية الجديدة في مجال التنوع)، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، ج1، يونيو 2011، ص 46-47.

[218] - القباج مصطفى، التنوع الثقافي من المفهوم إلى التفعيل، مجلة المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية أسيناك، عدد 8، الرباط، 2013، ص 70.

[219] - ماستوار كويشير: إعلان اليونسكو بشأن التنوع الثقافي، منظمة اليونيسكو، باريس، 2001.

فإعلان اليونيسكو بشأن التنوع الثقافي يرى أنه في المتجمعات التي تتزايد تنوعا يوما بعد يوم لابد من ضمان التفاعل المنسجم والرغبة في العيش معا فيما بين أفراد ومجموعات ذوي هويات ثقافية متعددة ومتنوعة وديناميةة، فالسياسات التي تشجع على دمج ومشاركة كل المواطنين تضمن التلاحم الاجتماعي وحيوية المجتمع المدني والسلام، وبهذا المعنى فالتعددية الثقافية هي الرد السياسي على واقع التنوع الثقافي. ويؤكد الإعلان العالمي على أن احترام تنوع الثقافات، والتسامح والحوار والتعاون في جو من الثقة والتفاهم، هو خير ضمان لتحقيق السلام والأمن.

وقد نص الإعلان على عدة تدابير لتشجيع التطبيق السليم والسلس لاتفاقية التنوع الثقافي عبر تعزيز تبادل أفضل المعارف وأفضل الممارسات في مجال التعدد الثقافي من أجل العمل، في إطار مجتمعات تتميز بالتنوع، على تيسير إدماج الأفراد والمجموعات المنتمين إلى آفاق ثقافية متنوعة، ومشاركتهم في حياة المجتمع.

تشير المادة السادسة من إعلان اليونسكو بشأن التنوع الثقافي (باريس 2001) إلى أنه "إلى جانب كفالة التداول الحر للأفكار عن طريق الكلمة والصورة، ينبغي الحرص على تمكين كل الثقافات من التعبير عن نفسها والتعريف بنفسها، وذلك أن حرية التعبير الفني والمعارف العلمية والتكنولوجية، بما في ذلك المعارف الرقمية وإتاحة الفرصة لجميع الثقافات في أن تكون حاضرة في وسائل التعبير والنشر، هي كلها ضمانات للتنوع الثقافي.

وخلال الحديث عن إجراءات صون التنوع الثقافي جاء في الإجراء الثاني عشر من نفس الإعلان أن حفز إنتاج وصون ونشر مضامين متنوعة في وسائل الإعلام والشبكات العالمية للمعلومات والعمل من أجل ذلك على تشجيع دور الهيئات العامة للإذاعة والتلفزيون من أجل تطوير البرامج السمعية البصرية الجيدة، وخاصة عن طريق تعزيز إنشاء آليات تعاونية يمكنها تسهيل نشر هذه البرامج.

2-3:"اتفاقية تنوع أشكال التعبير"

في فبراير 2003 قامت ثماني دول، بتقديم طلب تفاوض رسمي إلى اليونسكو لكي يدرج الموضوع المعنون "إعداد اتفاقية دولية عن "التنوع الثقافي" على جدول أعمال الدورة ال 166 للمجلس التنفيذي للمنظمة. هذه الدول هي ألمانيا، وكندا، وفرنسا، واليونان، والمغرب، والمكسيك، وموناكو والسنغال، وهي جميعها من الدول الأعضاء في الشبكة الدولية للسياسة الثقافية باستثناء ألمانيا. وفي أكتوبر من سنة 2003، وبعد يوم كامل من التداول حول الموضوع، قرر المؤتمر العام لليونيسكو المضي قدما بشأن التفاوض حول اتفاقية تتعلق ب "تنوع المضامين الثقافية وأشكال التعبير الفني.

وفي سنة 2005، وبعد انعقاد ثلاث اجتماعات لخبراء مستقلين وثلاثة اجتماعات لخبراء دوليين حكوميين، اعتمد المؤتمر العام "اتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي"، لتؤكد أن التنوع الثقافي هو سمة مميزة للبشرية، كما تؤكد على أن حرية التفكير والتعبير والإعلام، وتنوع وسائل الإعلام يكفلان ازدهار أشكال التعبير الثقافي داخل المجتمعات.

وكتعريف للتنوع الثقافي، جاء في الاتفاقية أنه "يقصد بعبارة "التنوع الثقافي" تعدد الأشكال التي تعبر بها الجماعات والمجتمعات عن ثقافتها، وأشكال التعبير هذه يتم تناقلها داخل الجماعات والمجتمعات، وفيما بينها، فيما يقصد بأشكال التعبير الثقافي أشكال التعبير الناشئة عن إبداع الأفراد والجماعات والمجتمعات والحاملة لمضمون ثقافي. أما التواصل

الثقافي فيقصد به وجود ثقافات مختلفة وتفاعلها بشكل متكافئ مع إمكانية توليد أشكال تعبير ثقافي مشتركة من خلال الحوار والاحترام المتبادل"[220].

ثالثا: التنوع الإعلامي في تجارب دولية

1- النموذج الفرنسي:

إن الحديث عن ضمان التنوع وحمايته وتمثيله داخل وسائل الإعلام الفرنسية ليس بالموضوع القديم، إذ يعود فقط إلى سنة 2006 بمناسبة إدخال تعديل على قانون للسمعي البصري لسنة 1986 المتعلق بحرية الاتصال، فأصبح بموجب هذا التعديل المجلس الأعلى للاتصال السمعي البصري الفرنسي هو المكلف بضمان وحماية التنوع الإعلامي داخل وسائل الإعلام الفرنسية المرئية والمسموعة. غير أن ارهاصات ومبادرات كانت قد اتخذت في هذا المضمار منذ سنة 1999، حيث أنجزت دراسة كمية عن تنوع المجتمع الفرنسية داخل شاشات التلفزيون، توج بعد ذلك في فبراير 2001 بإضافة التزام جديد للشروط المرجعية لكل من "فرانس 2" و"فرانس 3"، إذ بموجبه يتعين على محطتي الخدمة العامة "تشجيع الثقافات المختلفة المكونة للمجتمع الفرنسي دون أي تمييز". وفي العام نفسه، أدخل المجلس الأعلى للسمعي البصري تغييرًا في عقود الترخيص الخاصة بمحطات "تي إف 1" و"إم 6" و"كانال+" بإضافة مواد تضمن أن تعكس برامج المحطات الخاصة "تنوع الأصول والثقافات داخل الجماعة القومية. من جانبها طبقت "France Télévision" خطة عمل تشمل إجراءات لرفع حصة تمثيل الأجانب الذين يعيشون في فرنسا في التلفزيون، بدلا من القادمين من بلدان أجنبية. غير أن قناة "فرانس 3" تخصص منذ العام 2001 أسبوعا خاصا لتشجيع الاندماج ومحاربة التمييز، تركز خلاله في برامجها ونشرات أخبارها على الأجانب الذين يعيشون في فرنسا، والفرنسيين الذين ينحدرون من المهاجرين. كما أرسلت إدارة "فرانس تلفزيون" خطابا لمنتجي البرامج، لحثهم على أن يأخذوا في الاعتبار تمثيل الأجانب القاطنين في فرنسا. كما وضعت المحطة خطة تدريبية للشباب الإعلاميين المنحدرين من المهاجرين بالتعاون مع معهدين للصحافة. كذلك، ألزمت المحطات الخاصة بتشجيع التنوع بين موظفيها وفريق العاملين في برامجها. ويشير التقرير السنوي لمحطة "تي إف 1" إلى أن المحطة تطبق سياسة إدماج الصحفيين من الأقليات القومية، في كل من قسم الأخبار وقسم الرياضة. أما محطة "إم 6" فتؤكد على أن العديد من ضيوف برامجها ينحدرون من المهاجرين.[221]

وفي تقرير صدر في 17 مارس 2005 قدم المجلس الأعلى للاندماج، وهو لجنة أنشأتها السلطات الفرنسية لمراقبة قضايا الاندماج واقتراح إدخال تغييرات على السياسة الإعلامية موجهة لمحطات البث، قدم مقترح يتعلق بإدراج بعض المبادئ الأساس في عقود تراخيص محطات المجلس الأعلى للسمعي البصري، وأن يراقب هذا الأخير مدى احترام المحطات لهذه المبادئ، والتي هي؛ تقديم صورة أكثر واقعية وتوازنا لتنوع المجتمع الفرنسي وتعدديته، و عدم الإشارة إلى أصول الأفراد في الأخبار عندما لا يتعلق ذلك بالمعلومات، وضمان أن تمثل المكونات المختلفة للمجتمع الفرنسي بين هيئة العاملين بها.

في العام 2007، أنشأ المجلس الأعلى للسمعي البصري "فريق عمل متخصص في التنوع، وفي يوم 11 مارس 2008 تم إحداث "مرصد التنوع في وسائل الإعلام السمعية البصرية". ويهدف هذا المرصد إلى تتبع الإجراءات التي تقوم بها القنوات

220 - منظمة اليونيسكو، اتفاقية حماية وتعزيز أشكال التعبير الثقافي، باريس، 2005، ص 7.
221 - أندرياس جرن والد وآخرون، تجارب الإعلام المرئي والمسموع في أوروبا، ترجمة حازم سالم، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، سلسلة قضايا الاصلاح، القاهرة، 2005 ، ص198.

التلفزيونية لصالح التنوع (الأصل، الفئة السوسيومهنية، الجنس والإعاقة...) ورفع هذه التقارير إلى المجلس الأعلى للسمعي البصري. وفي سنة 2009 تم إنشاء مقياس لمعْيَرة التنوع للتأكيد على أهمية حماية التنوع في وسائل الإعلام، وكذلك للحصول على التعهدات السنوية من القنوات التلفزية لحمايته وضمانه، كما يتم نشر هذا نتائج هذا المقياس مرة واحدة في السنة، ويهدف إلى قياس التنوع في التلفزيون وفقا لأربعة معايير: فئة سوسيومهنية، الجنس، العرق وذوي الاحتياجات الخاصة. ومنذ سنة 2010 أصبح المجلس الأعلى للسمعي البصري يرفع تقريرا سنويا للبرلمان بشأن تمثيل التنوع في التلفزيون، كما يذيله ببعض التوصيات لتحسين الوضع"[222].

كما تم بفرنسا كذلك إنشاء قناة خاصة بقضايا التنوع الإعلامي وهي قناة "FdmTV" على باقة TNT، وتعني "Télévision française de la diversité médiatique" أي "تلفزيون فرنسا للتنوع الإعلامي"، وهي محطة تسعى إلى حماية وضمان التنوع المجتمعي بفرنسا.

وفي تقرير للمجلس الأعلى للسمعي البصري، والذي قدمه نائب رئيس المجلس "نيكولاس اباوت" يوم 14 يناير 2015 حول التنوع الإعلامي، فقد "ركز على نتائج مقياس التنوع لسنة 2014 ، والذي كشف من خلاله عن نمو "مُرْضِي" فيما يخص نسبة تمثيلية الشرائح المتنوعة في وسائل الإعلام بما يزيد عن 5 في المئة مقارنة بسنة 2013، فيما تمثيل ذوي الاحتياجات الخاصة داخل الشاشة، فإنها لا تزال منخفضة جدا بمعدل 0.7 في المئة في عام 2014 مقابل 0.4 من عام 2013"[223].

كما وقع المجلس الأعلى للسمعي البصري في 11 فبراير 2014، ميثاقا لتعزيز التدريب والإدماج المهني للأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة في مجال الاتصال السمعي البصري بحضور "ماري أرليت كارلوتي" وزيرة ذوي الاحتياجات الخاصة ومكافحة الإقصاء في الحكومة الفرنسية.

2- النموذج الأمريكي:

يعود حضور التنوع في السياسات الإعلامية بأمريكا إلى "سنة 1879 مع قانون البريد الذي خفض من رسوم البريد التي تدفعها مجلات الفكر مما جعلها تنتشر بشكل واسع، أما فيما يخص البث فإن بند "اهتمامات الجمهور" في قانون الاتصال 1934 يشكل أساس التنوع الحاصل اليوم في البث، وقد دعمته المحكمة العليا، وعلى أساسه انبثق التنوع كشأن تهتم به هيئة التواصل الفدرالية"[224]. وعلى اعتبار أن اهتمامات الجمهور متنوعة، فإن الأمر إذن يتعلق بتنوع فيما سيقدم تماشيا مع هذه الاهتمامات المتعددة. فيما تعني خدمة المصلحة العامة في جزء منها ضمان التنوع في الآراء وفي البث.

وفي "سنة 1939 شارفت رخصة إذاعة "WAAB" في بوسطن على الانتهاء، فقدمت طلبا بتجديدها، لكن إذاعة منافسة لها هي (Mayflower Broadcasting Corporation)، قدمت طلبا للجنة الاتصالات الفيدرالية بعدم تجديد رخصة منافستها. بحيث اتهمت هذه الشركة منافستها بكونها انتقدت عددا من المرشحين لتقلد مناصب عمومية ما بين سنتي 1937 و1938، وحجتها في ذلك أن الإذاعة لم تقم بخدمة الصالح العام بالشكل المطلوب. لم تنجح هذه شركة

[222] -http://www.csa.fr/Television/Le-suivi-des-programmes/La-representation-de-la-diversite/La-diversite-a-la-television.
[223] http://www.csa.fr/Television/Le-suivi-des-programmes/La-representation-de-la-diversite/La-diversite-a-la-television/Les-engagements-annuels-des-chaines.
[224]- Lawrence Erlbaum associates: Media diversity economics, ownership and FFC : Mara Einstein :, publishers Mahwah, New Jersey , London , 2004. Pp8-9.

(mayflower) في مساعيها لمنع منافستها من البث، غير أن الجنة الفيدرالية لم تجدد رخصة بث الإذاعة، إلا بعد إلزامها باحترام تعدد الآراء والتشديد على أن المصلحة العامة تأتي قبل المصلحة الشخصية"[225].

و"في سنة 1975 منعت اللجنة الفدرالية للاتصال امتلاك شركة واحدة لعدد من المنابر في مجال جغرافي محدد، أي أنه لا يمكن لشركة واحدة أو مالك واحد أن يمتلك مؤسسات إعلامية متعددة في مكان واحد، والأمر الذي أغاظ عدد من الشركات، حيث عارضوا قرار اللجنة الفيدرالية، لكن المحكمة العليا دعمت ما ذهبت إليه اللجنة خلال سنة 1978، معتبرة أن قرار اللحنة الفدرالية للاتصال سيمكن من ضمان التنوع في الآراء على المستوى المحلي"[226].

وتتمثل مهمة هيئة الاتصالات الفيدرالية بالأساس في منع احتكار وسائل الاعلام، إذ تنظم الاتصالات بين الولايات، وكذا على المستوى الدولي، وذلك انطلاقا من عملية الضبط التي تمارسها على المجال السمعي البصري، وغيره من مجالات الاتصال، بما في ذلك عدد المحطات التي يمكن امتلاكها من طرف شركة واحدة داخل سوق محددة بمعنى داخل مجال محدد.

رابعا: أهداف التنوع الإعلامي

إن من أهداف التنوع الإعلامي الحفاظ على تماسك المجتمع وعلى ثقافته وحفظ الذاكرة المجتمعية دون انتقاء أو تمييز، بالإضافة إلى خلق مجتمع تشاركي ضد الفكر الوحيد وإشاعة روح التسامح وتعزيز التضامن ما بين مكونات المجتمع المتنوع، ونبذ التعصب والتمييز والعنف والعدوانية والإقصاء ومعاداة الأجانب، واحترام المختلفين ثقافيا والمختلفين في وتوجهاتهم. فوسائل الإعلام "مطالبة بأن تعكس التنوع الموجود في المجتمع بشكل يضمن التسامح والاحترام ما بين مكونات هذا المجتمع المختلف ثقافيا، إذ لا يمكن أبدا الحديث عن الآخر المختلف بوصفه "شاذا"، وإنما فردا له حقوقه التي يجب على الآخرين احترامها، وعلى وسائل الإعلام نقلها كما هي. فضلا عن قدرة التنوع على تدبير الخيارات والحالات المجتمعية المختلفة، فإنه يعتبر محركا للتنمية الاقتصادية والبشرية الشاملة لقدرته على خلق مجتمع تضامني مندمج. كما يظل التنوع شرطا لمجتمع الإعلام والمعرفة"[227].

ومن بين القيم والمبادئ بالنسبة لأية وسيلة إعلام عمومية فهي تتثمل بالخصوص في "التعددية والاستقلالية والتنوع/ الإنصاف، والإبداع والجودة، لأن البث الإذاعي والتلفزيوني في نظام ديمقراطي يعني البث للعموم أي التوجه إلى الفرد بصفته مواطنا، وهو مطالب (المرفق) بأن يشجع الولوج إلى الحياة العامة والمشاركة فيها، وبأن ينمي المعارف ويوسع الآفاق ويمكن كل شخص من فهم ذاته أكثر من خلال فهم العالم والآخرين"[228].

---

[225]- PRITCHARD David et TERRY Christopher : politique publique de communication et diversité de l'information aux etat-Unis Pluralisme de l'information et diversity un état des lieux international, Sous la direction de Franck Rebillard et Marlène Loicq, Éditeur: De Boeck Supérieur, paris 2013, 64 – 65 .

[226]- ibid, p67.

[227] - الرامي عبد الوهاب، التنوع الإعلامي بالمغرب.. من أجل ممارسة مهنية تكرس واقع وغنى مجتمعنا، معهد التنوع الإعلامي، الرباط، 2013، ص 10.

[228] - الكتاب الأبيض للحوار الوطني حول "الإعلام والمجتمع في المغرب" منشورات البرلمان المغربي، إشراف جمال الدين ناجي، 2011، ص 171.

إن رسالة الإعلام العمومي لا يمكن أن تتحقق وتتجسد دون إشاعة ثقافة وقيم المرفق العام، الذي يرتبط بترسيخ المضامين الجادة والجيدة، وتعزيز مفهوم القرب الإعلامي من خلال التقاط نبضات المجتمع، ومساءلة مشاكله وانشغالاته الكبرى، بمنأى عن الديماغوجية وغسل الأدمغة وصناعة الخضوع والاذعان.[229]

فالرهانات المطروحة على الإعلام في ارتباطه بالمجتمع، يفرض عليه أن يعكس مختلف الحساسيات التي تتصارع داخل المجتمع ويعبر عن جميع أوجه التعدد التي تسم الفاعلين الأساسيين في الواقع الاجتماعي، وينقل إلى الرأي العام كل التعبيرات السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية المكومة للحمة المجتمع، وذلك ب "حياد مهني"، وبدون إقصاء أي طرف مهما قل شأنه.

خامسا: آليات الاهتمام بقضايا التنوع

من أجل الاهتمام بقضايا التنوع، وفسح المجال لجميع الفئات المجتمعية للتعبير عن ذواتها من خلال إيجاد مساحات تعبيرية، "يقدم الكثير من المهتمين والباحثين والصحافيين مجموعة من الإجراءات والآليات العملية من أجل تجاوز النقص الحاصل في الاهتمام بباقي الفئات الشعبية والمجتمعية، تماشيا مع مفهوم حق الاتصال الذي يعد أساسيا، وله نتائج في غاية الأهمية، إذ إنه يدعم وجود أجهزة إعلام مستقلة تديرها وتعمل عليها المجتمعات بذاتها (..)، فكلما اتسعت وتعددت أجهزة الإعلام، كلما شاهد الجمهور وقرأ وسمع جزءا مما يدور حولهم"[230].

ويتمحور حق الاتصال الذي "اقترحه موظف مدني فرنسي هو "جين دارس" عام 1969 يتمحور حول أن تمويل ودعم عمل وسائل إعلام الأقليات التزام تتعهد به الدولة على أساس "حق الاتصال". هذا الحق قبلته اليونيسكو كحق من حقوق الإنسان الأساس وتضمنته العديد من قرارات المنظمة والكثير من المنظمات الأخرى"[231]. ومن بين الاقتراحات المقدمة لدعم التنوع وتأدية مهمة التعبير والاختلاف والتعددية من الأساس أن تعمل وسائل الإعلام على أساس ميثاق الاختلاف والتعددية، تضعه الهيئات التحريرية الخاضعة لمراقبة مؤسسات أخلاقيات المهنة ولتقييمات المستهلكين.[232]

ويبقى التشديد على ضرورة احترام أخلاقيات المهنة من الضروريات الأساسية. فإلى جانب ما يتمتع به المهنيون من حقوق وضمانات عليهم أن يلتزموا في المقابل بمجموعة من المسؤوليات والواجبات أثناء ممارستهم لمهنتهم، والتي تتمثل في التزامات ومسؤوليات معلومة تؤطرها المواثيق الأخلاقية والتشريعات القانونية، إضافة إلى احترام الآخر ورأيه المخالف، وتفادي الخلط بين الخبر والتعليق.

فعلى وسائل الإعلام ألا تنظر إلى التنوع كانتصار لطرف ضد طرف آخر، ولا تعدّ في هذا الصدد، المرافعة عن الأقليات انتصارا لها ضد الأغلبية، كما أن إعمال التنوع ليس انتصارا لهذه الأخيرة ضد الأقليات. فالتنوع ليس مفهوما تناحريا بين مختلف أطراف المجتمع، بل هو مسلك لتدبير التناقضات والاختيارات المجتمعية.

---

229 ـ بنشريف عبد الصمد، من إعلام السلطة إلى سلطة الإعلام، التغطية الإعلامية للتنوع في المجتمع المغربي، منشورات مركز حرية الإعلام في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، الرباط، 2009، ص 47.

230 ـ سيابيرا يوجينا، التنوع الثقافي والإعلام العالمي، ترجمة أحمد المغربي، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012، ص 181.

231 ـ سيابيرا يوجينا، التنوع الثقافي والإعلام العالمي، ترجمة أحمد المغربي، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012، ص 179.

232 ـ زكي أحمد، احتكار وسائل الإعلام وإقصاء التنوع، التغطية الإعلامية للتنوع في المجتمع المغربي، منشورات مركز حرية الإعلام في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، الرباط، 2009، ص 57.

يقترح عبد الوهاب الرامي الأستاذ بالمعهد العالي للإعلام والاتصال بالرباط جملة من المقترحات لمأسسة التنوع، منها "خلق مرصد للتنوع الإعلامي لتتبع حركية وتطور التنوع على مستوى وسائل الإعلام، وكذلك إحداث منصب مسؤول عن التنوع داخل هذه الوسائل توكل إليه مهام تقييم التنوع وتشجيعه داخل المؤسسات الإعلامية، ومراقبة التنوع على مستوى توظيف الأطر الإدارية والتقنية والصحفية داخل هذه المؤسسات. ويكون المسؤول عن التنوع حريصا على صون حقوق الملكية الفكرية في حقل الإعلام كأساس للخلق والابتكار الثقافيين اللذين يساهمان في إنعاش التنوع وتعزيزه. وفي مجال صناعة المحتوى، يجب على وسائل الإعلام أن توثر الجانب الثقافي على الجانب التجاري، حتى وإن كان الإعلام في نفس الآن – كما هو معروف – صناعة وثقافة أو صناعة ثقافية"[233].

إضافة إلى ذلك يبقى المدخل الحقيقي لتحقيق التنوع هو تحويل الإعلام الرسمي/العمومي إلى إعلام متحرر ومتنوع، يوزع على جغرافية البلد مع التشديد على ضرورة عدم تدخل الدولة في عمله، فكلما تقلصت نسبة احتكار وسائل الإعلام، سواء من قبل النظام السياسي أو من طرف رؤوس الأموال العملاقة، فإن اتساع مساحة الحرية ستسمح للفاعلين في مجالات الصحافة بلعب أدوار طلائعية في بناء إعلام متنوع ومستقل يوازي نسب التعددية التي تعرفها فئات المجتمع.

وفي سياق متصل قامت مجموعة من المؤسسات الإعلامية الغربية بإجراءات عملية لتحقيق التنوع، من خلال التركيز على تمثيل الاقليات بصورة تحقق المساواة، مع الاهتمام الأكبر بالتوزيع العادل لهذه الفئات داخل التنظيم الهرمي للمؤسسات الإعلامية. ولمواجهة عائق عدم تشجيع الأقليات لولوج الإعلام قام أصحاب أجهزة الإعلام في الدول التي تتمتع بسياسات تعددية ثقافية واضحة بتقديم عبارات معينة تعبر عن طلب توظيف وتعيين عاملين من الأقليات، فلدى اتحاد هيئات الإذاعة الاوروبية مجموعة متخصصة للتنوع الثقافي (مجموعة التنوع والتباين الثقافي) تشجع وتروج للتعددية والتنوع في كل مجالات الإذاعة.

وبعد دراسة أجراها منتدى تدريب الصحافيين في المملكة المتحدة عام 2005، "ثبت أن 96 في المائة من الصحافيين البريطانيين العاملين في صناعة الاعلام ككل كانوا من البيض، وهذا يوضح أن القوى العاملة بالإعلام لا تمثل التنوع في بريطانيا. وفي هذا السياق أعلنت هيئة الاذاعة البريطانية BBC عن خطة لها تهدف إلى "تعيين 16,5 في المائة من إجمالي العاملين بها من مجتمعات الأقليات بحلول شهر دجنبر من سنة 2007"[234].

كما ذكرت "شركة التنمية في العالم بلا حدود (EDR) بألمانيا سنة 2005، أن الشركة الإعلامية (WDR) تروج للتنوع الثقافي داخل الشركة، لذلك فإننا نرحب بالمرشحين من ذوي الخلفيات القائمة على الهجرة"، أما مؤسسة (NPS) بهولندا فتعرض هويتها بأنها إذاعة التعددية الثقافية بهولندا، ولذا فإنها تبحث عن ذوي الخبرة بالتعددية"[235].

سادسا: معيقات الاهتمام الإعلامي بالتنوع

بالرغم من وجود عدد كبير من المقتضيات التنظيمية والقانونية التي تؤكد على ضرورة الاهتمام بمختلف ألوان الطيف المجتمعي والسياسي، ومنح الفرصة لمختلف التعبيرات اللسنية واللغوية والعقائدية للتعبير عن آراءها عبر وسائل الإعلام العمومية باعتبارها مرفقا عاما يقدم خدمة عمومية، إلا أن معيقات كثيرة تحول دون تحقيق هذا المبتغى؛ منها ما هو

[233] - الرامي عبد الوهاب:التنوع الإعلامي بالمغرب: من أجل ممارسة مهنية تكرس واقع وغنى مجتمعنا، منشورات معهد التنوع الإعلامي، الرباط، 2013، ص 10-11.
[234] - سيابيرا يوجينا، التنوع الثقافي والإعلام العالمي؛ ترجمة أحمد المغربي، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012، ص 158.
[235] - نفسه، ص 160.

اقتصادي يرتبط بمنطق الربح الذي تنشده المؤسسات الإعلامية، ومنها ما يرتبط بعقلية المسؤولين على هذه المؤسسات، وكذا إلى العاملين أنفسهم فيها، إذ إنهم لا يدركون أهمية الاهتمام بمختلف التعبيرات الثقافية والمجتمعية، ومن جانب آخر تتجلى هذه المعيقات في آليات التحكم السلطوي في هذا الإعلام وتوجيهه لما يخدم مصلحة فئة معينة، دون أن ننسى أيضا هشاشة القطب العمومي المغربي وتواضع ميزانيته التدبيرية.

على مستوى وعي القائمين على الإعلام بأهمية التنوع، يبقى تحقيق تنوع الخدمات الإعلامية وتحقيق التغطية الكاملة للاختلاف والتنوع في النسيج الاجتماعي والثقافي الوطني "رهين بتقدير واحترام هذا التنوع، وبوعي المشرفين على إعلامنا وفاعلينا الصحافيين والإعلاميين بالحاجيات الحقيقية للفئات والجهات المجتمعية، والعمل على تلبيتها وإشباعهما بما يلزم من معرفة وحسن اطلاع وقدرة على التواصل والإقناع وانفتاح حقوقي وديمقراطي كفيل بانتزاع فئات من المواطنين من مظاهر التهميش والاغتراب"[236].

فالأداة التكنولوجيا، مهما بلغت ثوريتها وفعاليتها لن تستطيع أن تجعل من الوسيط الإعلامي قوة ضاربة ووسيلة للتغيير والتحديث، لأن المهم والأساسي هو أن تكون العقلية التي تتحكم تمويليا وإداريا وتدبيريا مستعدة لتطليق العادات البائدة والعتيقة في الممارسة الإعلامية وأن تكون مدركة ومتمثلة لحيوية وأهمية الرهانات المعقودة على الإعلام، وفي المحل الأول التلفزيون، لأنه الوسيط الأقوى والأسرع انتشارا وتغلغلا في أوساط الجمهور على اختلاف شرائحه وأذواقه ونزوعاته.

ف "ما دامت الدولة – أو الحكومة، تحتكر القطاع (السمعي البصري)، فإنه لا يمكن تطوير مفهوم الخدمة العمومية للبث التلفزيوني على مستوى الواقع"[237]، لأن تطوير الخدمة العمومية، يعني ببساطة خدمة التنوع والتعدد ومنح الفرصة لمختلف الأصوات للتعبير عبر هذه الوسائط الإعلامية.

ويصبح الحديث عن مجتمع المعرفة والاتصال، والذي من معانيه التعدد والتنوع، عديم الجدوى عندما تتركز السلطة الرمزية والثروة والجاه في مربع صغير وضيق. ويبقى من معوقات تكريس تنوع المجتمع في المجال الإعلامي، استمرار تقييد حرية الاعلام سواء بطريقة لينة أو مع الإكراه، ومحاولات القائمين وصانعي القرار السياسي التأثير – المباشر وغير المباشر وأحيانا باستعمال صنبور الإشهار – على وسائل الإعلام أو تطويعها كأداة لخدمة أهدافهم السياسية والمصلحية.

وفي ارتباط بالقائمين على أمور الإعلام، يبقى "هناك التباس حاصل في التعاطي مع المؤسسات الإعلامية الرسمية العمومية، وهو أنه لا يعرف مع من يتم التعامل، هناك مسؤولون يحكمهم المزاج بدل معيار المهنية، فعلى سبيل المثال، يستضاف مسؤول معين من دون قيامه بأي نشاط يذكر، وإذا شنت إحدى المركزيات النقابية إضرابا ما لا تتم تغطيته، كما لا يسمح لزعيم سياسي يفترض فيه أنه مصنف في باب المعارضين للسياسة الرسمية، بأن يستدعى إلى استوديوهات التلفزيون للتعبير عن وجهة نظره. وفي السياق نفسه تحرم عدة تعبيرات سياسية وجمعوية وثقافية ودينية من الاستفادة من التلفزة العمومية"[238].

---

236 ـ فردوس عبد الله، المنتوج الإعلامي الوطني من التعدد الكمي إلى التنوع الكيفي، مجلة مركز حرية الاعلام بالشرق الأوسط وشمال أفريقيا، الرباط، 2009، ص 50.

237 ـ الكتاب الأبيض للحوار الوطني حول "الإعلام والمجتمع في المغرب" منشورات البرلمان المغربي، إشراف جمال الدين ناجي، الرباط، 2011، ص 169.

238 ـ بنشريف عبد الصمد، من إعلام السلطة الى سلطة الإعلام، مجلة مركز حرية الاعلام بالشرق الأوسط وشمال أفريقيا، الرباط، 2009، ص48.

يضاف إلى كل هذا ضعف جاذبية القنوات التلفزيونية العمومية، ففئات عديدة من المواطنين تجد نفسها محرومة ومن ولوج خدمات الإعلام الوطني ليس فقط بسبب الأمية والفقر، وإنما "لضعف هذه الخدمات وضعف الجاذبية المجتمعية والثقافية له، وعدم نقله للتراكم العددي في المنتوج الإعلامي الوطني إلى تراكم نوعي وكيفي، يخدم تنوع وغنى النسيج الثقافي والمجتمعي، ويعكس دينامية الاختلاف في الحياة الوطنية المعاصرة، ويواكب انتظارات المواطنين ويعبر عن حاجياتهم الحقيقية للكرامة والحرية والاعتراف بالحقوق"[239].

أما على المستوى الاقتصادي، فإن هاجس الربح يبقى مسيطرا، كما أن البحث عن المعلنين والإشهار قد يدفع أحيانا كثيرة إلى التخلص من مواد إعلامية قد تخدم التنوع لصالح المعلن. وفي ظل هذه الوضعية، كان القطب العمومي في المغرب مثلا مضطرا إلى التضحية بجزء مهم من مهامه كمرفق عمومي.

وفي هذا الإطار سبق للرئيس المدير العام للشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة بالمغرب فيصل العرايشي أن صرح خلال جلسة الحوار الذي جمعته بهيأة الحوار الوطني حول الاعلام والمجتمع، بأنه "يمكن أن نكون مضطرين إلى اعتماد نوع من البرمجة يرضي المعلنين، وبالتالي التخلي عن برامج تدخل في إطار الخدمة العمومية والتي نؤكد أهميتها"[240].

فالربح المادي من بين المعيقات الكبرى التي تعترض الاهتمام بالتنوع، فيما المنطق الاقتصادي يعطي الأولوية للتجارة والتسويق العابر للحدود والمتعدد المحتويات، ويحول المنتوج الصحفي في جوهره كما في محتواه إلى مجرد بضاعة، بل أكثر من ذلك إلى مجرد عمليات لف أو استثمار من أجل إنتاج بضائع أخرى ومنتوجات أخرى لا علاقة لها بالمرة مع المنتوج الصحفي التقليدي.

فمسؤولو أجهزة الإعلام القوية يتمتعون بتأثير مباشر على الأسلوب الذي تعمل به المؤسسات الإعلامية، وخاصة ما تنشره تلك المؤسسات، ويؤدي "عمل أجهزة الإعلام في المجالات الرأسمالية إلى تسليع الإنتاج الإعلامي. فمن وجهة النظر الإعلامية، يعني ذلك أن الإنتاج قد أصبح عملية يتم من خلالها تحويل وسائل الإعلام من شيء له قيمة استخدام – أن يستمتع الناس بالاستخدام في حد ذاته – إلى شيء يقوم فقط من خلال مبادلته بشيء آخر أو من خلال الحصول على الأرباح منه، بمعنى آخر تعطي عملية الإنتاج الإعلامي الأولوية لمسألة إدرار الأرباح تفوق أولوية الجودة و الأخلاق والعدل"[241].

ويحاول البعض تبرير إعطاء الأولوية للربح المادي والإشهار على حساب خدمات التنوع والتعدد، بهشاشة ميزانية الإعلام العمومي/الرسمي، الأمر الذي يفرض البحث عن موارد مالية أخرى لتغطية النفقات والعجز. فالإعلام الرسمي العمومي في العالم العربي هش بالقياس إلى التحدي المطروح بسبب قوة المنافسة، "من حيث العدد ومن حيث قرب القنوات الفضائية العربية/الخاصة (حوالي 300 قناة يمكن مشاهدتها بالواضح بمجرد استعمال صحن هوائي لاقط) هذا من جهة، ومن جهة أخرى فميزانية قناة الجزيرة تبلغ 450 مليون دولار أمريكي، وهي تساوي ضعفين ونصف ضعف الميزانية العامة لمجموع

[239] - فردوس عبد الله، المنتوج الإعلامي الوطني من التعدد الكمي إلى التنوع الكيفي، مجلة مركز حرية الاعلام بالشرق الأوسط وشمال أفريقيا، الرباط، 2009، ص 50.
[240] - الكتاب الأبيض للحوار الوطني حول "الإعلام والمجتمع في المغرب" إشراف البرلمان المغربي، الرباط، 2011، ص 175- 176.
[241] - سيابيرا يوجينا، التنوع الثقافي والإعلام العالمي، ترجمة أحمد المغربي، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012، ص 147.

القطب العمومي المغربي، والتي لا تصل إلى 300 مليون دولار أمريكي، بما في ذلك كلفة البث الأرضي والفضائي، فيما تبلغ ميزانية (بي بي سي) 40 مليار درهم (مغربي) أي عشر مرات ميزانية القطب الإعلامي العمومي المغربي"[242].

إلى جانب هذه المستويات التي يظهر من خلالها مدى تنامي معيقات دعم التنوع، فإن هناك معيقا آخر لا يقل أهمية، وهو مرتبط بالعاملين في الإعلام من أطياف مختلفة. ففي عام 2006 كتبت المفوضية البريطانية للمساواة العرقية في تقريرها أنه "رغم أن عددا كبيرا من شباب الأقليات العرقية فكروا في الالتحاق ببعض المهن الإعلامية، إلا أنهم في النهاية انقلبوا ضد تلك المهن، أو أنهم بمجرد أن التحقوا بتلك المهن أعلنوا استقالتهم، حيث أنهم وضعوا في اعتبارهم أن الغالبية العظمى من العاملين بأجهزة الإعلام هم من البيض"[243].

سابعا: بدائل الفئات المقصية إعلاميا

عندما لا تجد بعض الفئات المشكلة للمجتمع المُكوَّن من اثنيات أو عرقيات مختلفة ذاتها في وسائل الإعلام الرسمية، بسبب تحكم اثنية أخرى أو فئات أخرى في هذه الحوامل الإعلامية، فإن هذه الفئات لا تبقى مكتوفة الأيدي، وإنما تبحث عن وسائل تمكنها من التعبير عن ذاتها وطموحاتها ومشاكلها، فتكون لها بذلك منابر تنطق بلسانها. وكثيرة هي المنابر التي تنطق بلسان أقليات في أغلب الدول التي يتشكل كيانها من فسيفساء مجتمعية مختلفة. وفي هذا السياق يفهم الإقبال الكبير من قبل أصحاب الرؤى "المهمشة" أو "الممانعة"، على التعبير عن آراءها من خلال وسائط إعلامية أجنبية، وعلى رأسها الفضائيات الأكثر شهرة وتوظيف الشبكة العنكبوتية لغرض الحضور خارج الفضاء الإعلامي العمومي/الرسمي.

ومن بين الوسائل الإعلامية التي تلجأ إليها الفئات المقصية من الحضور في الحوامل الإعلامية الرسمية، أو وسائل الإعلام المملوكة لجهات تختلف معهم في الرأي والتوجه، والعرق والجنس، هناك الإذاعات الجمعوية. فهذه الإذاعات حسب اليونيسكو وسيلة للتواصل لا تهدف إلى تحقيق الربح، تعود ملكيتها إلى جماعة معينة تضطلع بتسييرها. وتهدف الإذاعة إلى خدمة مصالح هذه الجماعة، وتشجيع الولوج لأنشطة الجماعة والمشاركة فيها وتعكس الحاجيات والمصالح الخاصة للجمهور الذي تتوجه إليه.

وقد أكد المقرر الخاص المعني بتعزيز وحماية الحق في حرية الرأي والتعبير، "فرانك لا رو" حول البعثة التي اضطلع بها إلى الملديف أن أكثر من 100 دولة على امتداد قارات العالم الخمس بالإذاعات الجمعوية كقطاع قائم بذاته في المشهد الإعلامي، إذ يمثل هذا الاعتراف نتاج نضالات المجتمعات المحلية من أجل الحق في حرية التعبير والدفاع عن مصالحها والتأكيد على خصوصياتها الاجتماعية والثقافية واللغوية وحمايتها. وقد اعترف المقرر الخاص للأمم المتحدة بشرعية الإذاعات الجمعوية عندما أعلن في تقريره المنجز عقب المهمة التي اضطلع بها بجمهورية الملديف أن الاذاعة الجمعوية تشكل "نموذجا اجتماعيا واقتصاديا بديلا لتطوير وسائط الإعلام من شأنه توسيع نطاق الوصول إلى المعلومات، وإيصال الأصوات وينبغي لهذه البرامج أن تشجع المشاركة النشيطة للمجتمع المحلي في إطلاق هذه البرامج وإنتاجها وتقديمها"[244].

---

[242] - الكتاب الأبيض للحوار الوطني حول "الإعلام والمجتمع في المغرب"، منشورات البرلمان المغربي، غشراف جمال الدين ناجي، الرباط، 2011، ص 172.

[243] - سيابيرا يوجينا، التنوع الثقافي والإعلام العالمي، ترجمة أحمد المغربي، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012، ص 158- 159.

[244] - تقرير المقرر الخاص المعني بتعزيز وحماية الحق في حرية التعبير، فرانك لا رو حول البعثة التي اضطلع بها إلى الملديف، مجلس حقوق الإنسان، الدورة الحادية عشرة، البند 3 من جدول الأعمال، 25 ماي 2009 (A/HRC/11/4/Add.3).

ويقر إعلان اللجنة الإفريقية لحقوق الإنسان والشعوب المتعلق بمبادئ حرية المجال السمعي البصري، بوجود الإذاعات الجمعوية ويدعو الدول الأفريقية إلى تشجعها "بالنظر لما تتمتع به من امكانات من شأنها توسيع نسبة استفادة الفقراء وأهالي المناطق القروية من البث الاذاعي"، وقد تم اعتماد هذا الإعلان في الدورة العادية للجنة في "بانغول" بغامبيا من 17 إلى 23 أكتوبر 2002"[245].

تجد بعض الجماعات العرقية والثقافية أن حاجاتها للمعلومات والتسلية لم تلب من قبل أجهزة الإعلام الرسمية أو أجهزة إعلام الأغلبية، فتقرر إنشاء أجهزة إعلامية خاصة بها تعكس اهتماماتها وتوفر لها مساحة تخلو من هيمنة أجهزة الإعلام الرسمية، ف"الفكرة الرئيسة التي تكمن وراء أجهزة إعلام الأقليات تتلخص في أن الجماعات الثقافية والعرقية لا تجد تمثيلا أو صوتا كافيا بأجهزة الإعلام الرسمية، وبذلك تحتاج هذه الجماعات إلى وجود أجهزة إعلامية خاصة بها لتملأ هذا الفراغ. كما أن إقصاء العاملين بأجهزة إعلام الأقلية من العمل بأجهزة الإعلام الرسمية قد ساهم في اتخاذ القرار بإنشاء أجهزة إعلام الأقليات، وعندما تتجاهل أجهزة الإعلام الرسمية أصوات الأقليات أو تعمل على تهميشها، فإن أجهزة إعلام الأقليات والشتات تقوم ببث تلك الأصوات ونشرها"[246].

ويبقى دور أجهزة إعلام هذه الفئة هو لم شمل المجتمع باعتبار هذا الدور أساسي للحفاظ على المجتمع من ناحية، وللصالح العام من ناحية أخرى.

ثامنا: مزالق الإعلام في علاقته بالتنوع

ارتبطت بدايات الحديث عن التنوع الإعلامي بالحروب، ويرى بعض الإعلاميين والنشطاء الحقوقيين أن تصاعد الحديث عن حماية التنوع الإعلامي ولد ونشأ في وسط التطاحنات والحروب والصراعات. ويحفل التاريخ العالمي بالعديد من الأمثلة التي تشهد على صراعات بين مجموعات عرقية وطوائف، كان للإعلام فيها يد طولى، بل كان هو الحطب الذي أوقد نارها أحيانا كثيرة. وفي هذا الصدد سنحاول التطرق إلى بعض المزالق التي سقط فيها الإعلام بسبب انتهاكه لمبدأ التنوع، وكانت نتيجتها باهظة الثمن على الإنسانية في مختلف بقاع العالم، وذلك قصد إبراز خطورة الأمر عندما يتعلق بأخطاء – مقصودة أو غير مقصودة– قد تأتي على الأخضر واليابس.

في سنوات التسعينيات عرفت منطقة البلقان ما بين 1991 و 1995 حربا طاحنة راح ضحيتها 100 ألف فرد. وبعد أن وضعت الحرب أوزارها وانطلقت عمليات محاكمة عشرات المتورطين في هذه القذرة، أشارت أصابع الاتهام إلى دور وسائل الإعلام في التحريض وتأليب البعض ضد البعض الآخر للمشاركة في القتل والتدمير. وقد أشارت وكالة الأنباء العالمية "انتر بريس سيرفس (IPS) في قصاصة موقعة من طرف (فيزنا بيريتش زيمونيتش)، على لسان "رونو فيكاريتس" المتحدث باسم المدعي العام في قضايا جرائم الحرب المرتبكة "أن أحد المتهمين المحكوم عليهم في هذه القضية قال بكل وضوح أنه كان قد شاهد التليفزيون، وقرر على الفور الذهاب لإعطائهم (الكرواتيين) ما يستحقونه. وأضاف التقرير أن التليفزيون ووسائل الإعلام الصربية قد نشرت روايات مضللة مفادها أن الكرواتيين قد ذبحوا 40 طفلا صربيا في يوم واحد، كما جرت محاكمة أعداد كبيرة من الأفراد الذين أشاروا إلى أن غضبهم وثأرهم تسببت فيه تقارير وسائل الإعلام"[247].

---

[245] - مذكرة المرافعة من أجل الإعلام الجمعوي، منشورات منتدى بدائل المغرب بدعم من الاتحاد الأوروبي.

[246] - نفسه، ص 192.

[247] - فيزنا بيريتش زيمونيتش (وكالة انتر بريس سيرفس)، الصحافة، في قفص الاتهام لدورها في حروب البلقان، منشور بموقع الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية المملكة المتحدة، لندن (https://www.asharqalarabi.org.uk/ruiah/b-taqarir-94.htm).

وقد قدمت رابطة الصحافيين الصربيين وفق قصاصة وكالة الأنباء أدلة ضد أربع مجموعات إعلامية صربية بارزة ورؤساء تحريرها، لتحريضهم على الكراهية العرقية، وترويجهم للكره وتحمية الأحاسيس التي قادت إلى ارتكاب أعمال شنيعة وجرائم حرب في كرواتيا والبوسنة. هذه المجموعات الإعلامية هي إذاعة وتليفزيون صربيا في بلغراد، إذاعة وتليفزيون "فوفودينا" في ثاني كبري المدن الصربية "نوفي ساد"، وأقدم صحيفة صربية "بوليتيكا"، وأكبر الصحف اليومية الصربية "فيتشميي نوفوستي".

وفي السادس من أبريل من سنة 1994 بثت محطة إذاعة "الألف تلة" الرواندية خبرا تنسب فيها سقوط الطائرة التي تقل رئيس الجمهورية إلى الجبهة الوطنية الرواندية ووحدة من جنود الأمم المتحدة، كما بثت بعض الأقوال والأغاني التي تحرّض على استئصال من وصفتهم ب "الصراصير التوتس". بعد ذلك اندلعت حربا أهلية طاحنة لم تبق ولم تدر.

وفي 8 نوفمبر 1994 أنشأ مجلس الأمن الدولي المحكمة الجنائية لرواندا، وكان لهذه المحكمة التابعة للأمم المتحدة اختصاص النظر في جميع انتهاكات حقوق الإنسان الدولية المرتكبة في رواندا خلال فترة الحرب الأهلية بين التوتسي والهوتو. وقد "مَثُل أمامها ثلاثة من الإعلاميين الذين تم اتهامهم باستخدام وسائل الإعلام الخاصة بهم للتحريض على الكراهية العرقية والتحريض على القتل وانتهاك حقوق الإنسان. وقد كشف عدد من الشهود على لحظة الحرب الأهلية أنه لولا إذاعة "الألف تلة" لكان عدد الضحايا أقل، فهذه الأخيرة قامت بالتعبئة وخطاب الكراهية والتحريض، ليصل عدد الضحايا إلى رقم مهول خلال 100 يوم من الإبادة الجماعية. كانت هذه الإذاعة تخبر الناس بأسماء الشخصيات الغنية من قبائل التوتسي، وأماكن تواجدهم، لتحريض قبائل الهوتو على قتلهم. وكانت هذه الإذاعة حسب ما كشفه رئيس التحرير "حسن انجيزي" أثناء محاكمته تحصل على هذه القوائم من الحكومة الرواندية لإذاعتها عبر الأثير. فهذه الإذاعة كان لها دور كبير جدا في اندلاع الحرب، وذلك لما لها من تأثير قوي على نفوس الناس"[248].

ومن مزالق الإعلام في علاقته بقضايا التنوع، الشعور بالاغتراب الذي تحس به بعض الفئات والأقليات داخل الوطن الواحد المتعدد الأعراق، فوجود مواطنين أو فئة اجتماعية وثقافية أو جهة من الجهات لا تجد صورهم وانشغالاتهم معبر عنها في وسائل إعلامهم الوطني هو مظهر من مظاهر الاغتراب الإعلامي في البلاد الذي يدفع إلى الهجرة نحو الإعلام الأجنبي.

كثيرة هي المزالق والمخاطر التي يتسبب فيها الإعلام في علاقته بقضايا التنوع، إلى درجة أن بعض وسائل الإعلام ا في تغطياتها لبعض القضايا تجعل من الأمر وكأنه مبارزة وصراع، كما يظهر في بعض التعاليق على مباريات كرة القدم، حيث يتم استعمال مصطلحات ومفاهيم تشعر الآخر بالدونية والاقصاء وأنه عدو.

خاتمة

كلما تمكنت وسائل الإعلام عمومية كانت أو خاصة، من احترام مبادئ التنوع، واعترفت بأن الاختلافات المجتمعية حقيقة قائمة، حيث لا يوجد مجتمع متجانس كلية، كما تمكنت من الإسهام في التماسك المجتمعي، وكلما تماسك أفراد المجتمع، كما ساهموا بشكل جماعي في بناء الدول، وتنميتها.

إن مسألة التنوع يجب أن تكون ثقافة سائدة وممارسة يومية في وسائل الإعلام، على اعتبار أن الإعلام يقوم على خدمة الجماهير، كما أن بعض وسائل الإعلام، وخصوصا العمومية ممولة من قبله الجماهير، لطلك تجد قضايا التنوع مسوغها

[248] - سيابيرا يوجينا، التنوع الثقافي والإعلام العالمي، تر أحمد المغربي، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012، ص 120.

الوجودي بالفعل وبالقوة، لكون وسائل الإعلام العمومية تنهض على مبدأ الخدمة العامة، والتي ترتبط بشكل مباشر بالاحتياجات الديمقراطية والاجتماعية والثقافية لكل مجتمع، وترتبط بالحاجة إلى الحفاظ على التعددية الإعلامية، ويجب أن تلعب دورا محوريا في تدعيم الديمقراطية، والحكم الرشيد، من خلال تمكين الفئات المهمشة والمغلوبة على أمرها سياسيا من الحصول على المعلومات.

المصادر والمراجع:

- حمائز حسن، الاتصال الجماهيري والتنوع الإعلامي، منشورات القصبة، ط 1، 2016.
- الهيأة العليا للاتصال السمعي البصري، البث الإذاعي والتلفزي: التعددية والتنوع (دليل التكوين لفائدة هيئات الضبط الإفريقية)، منشورات الهيأة العليا للاتصال السمعي البصري، الرباط.
- حفيظ محمد، الحق في التنوع في المجتمع وفي الإعلام، مركز حرية الإعلام في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، 2009.
- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصر، المجلد 1، حرف النون، عالم الكتب، 2008.
- عاشور محمد مهدي، التعددية الاثنية إدارة الصراعات واستراتيجيات التسوية، المركز العالمي للدراسات السياسية، عمان، 2002.
- بدوي أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، 1986.

– دبيان سامي، قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، 1990.

– نيفين عبد الخالق، الأبعاد السياسية لمفهوم التعددية، قراءة في واقع الدول القطرية واستقرار لمستقبلها، بحث مقدم لندوة التعددية الحزبية والطائفية والعرقية في العالم العربي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت،1993.

- الدجاني أحمد صدقي، التعددية السياسية في التراث العربي الإسلامي، ندوة التعددية السياسية في الوطن العربي، 26-1989/3/28، منتدى الفكر العربي، عمان.
- رياض عزيز هادي، من الحزب الواحد إلى التعددية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1995.

– ثناء فؤاد عبد الله، الحزب والسياسة والديمقراطية، مجلة الإسلام والديمقراطية، ع 3، بغداد، غشت 2003.

– منظمة اليونيسكو، إعلان اليونيسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي، باريس، المادة 1، 2001.

– مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، الجزء الرابع فصل العين، باب الميم، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

- إمام إبراهيم، أصول الإعلام الإسلامي، دار الفكر العربي، بدون تاريخ، القاهرة.

- حمزة عبد اللطيف، الإعلام له تاريخه ومذاهبه، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، القاهرة، 1965.

- مفتاح نورالدين، التنوع في المجتمع المغربي، مركز حرية الإعلام في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، 2009.

- مؤسسة المنصور الثقافية، إدارة التنوع الثقافي من الحفاظ إلى التزكية، بحث مقدم إلى ندوة التنوع الثقافي والحداثة: حوار بين الأقاليم، من تنظيم منظمة اليونيسكو، باريس، ماي 2004.

- الرامي عبد الوهاب، التنوع الإعلامي بالمغرب.. من أجل ممارسة مهنية تكرس واقع وغنى مجتمعنا، معهد التنوع الإعلامي، الرباط 2013.

- منظمة اليونيسكو، المجلد الأول، الدورة العشرون، باريس أكتوبر/نونبر 1986.

- معهد التنوع الإعلامي، الصحافة الاندماجية، ط1، الرباط، أبريل 2010.

- القباج مصطفى، التنوع الثقافي من المفهوم إلى التفعيل، مجلة المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية أسيناك، عدد 8.

- كيمليكا ويل، أوديسا التعددية الثقافية (سبر السياسات الدولية الجديدة في مجال التنوع)، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، ج1، يونيو 2011.

- ماستوار كويشير، إعلان اليونسكو بشأن التنوع الثقافي، منشورات منظمة اليونيسكو، باريس، 2001.

- منظمة اليونيسكو، اتفاقية حماية وتعزيز أشكال التعبير الثقافي، باريس، 2005.

– أندرياس جرن والد وآخرون، تجارب الإعلام المرئي والمسموع في أوروبا، ترجمة حازم سالم، سلسلة قضايا الاصلاح، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، 2005.

- الرامي عبد الوهاب: التنوع الإعلامي بالمغرب.. من أجل ممارسة مهنية تكرس واقع وغنى مجتمعنا، معهد التنوع الإعلامي، 2013.

- الكتاب الأبيض للحوار الوطني حول "الإعلام والمجتمع في المغرب"، منشورات البرلمان المغربي، إشراف جمال الدين ناجي، سنة 2011.

- بنشريف عبد الصمد، من إعلام السلطة إلى سلطة الإعلام، التغطية الإعلامية للتنوع في المجتمع المغربي، منشورات مركز حرية الإعلام في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، الرباط، 2009.

- سيابيرا يوجينا: التنوع الثقافي والإعلام العالمي، ترجمة أحمد المغربي، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012.

– زكي أحمد، احتكار وسائل الإعلام وإقصاء التنوع، التغطية الإعلامية للتنوع في المجتمع المغربي، منشورات مركز حرية الإعلام في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، الرباط، 2009.

– فردوس عبد الله، المنتوج الإعلامي الوطني من التعدد الكمي إلى التنوع الكيفي، مجلة مركز حرية الاعلام بالشرق الأوسط وشمال أفريقيا، الرباط، 2009.

- منظمة اليونيسكو، دليل الاذاعات الجمعوية، منشورات اليونيسكو، 2001.

- تقرير المقرر الخاص المعني بتعزيز وحماية الحق في حرية التعبير، فرانك لا رو حول البعثة التي اضطلع بها إلى الملديف، مجلس حقوق الإنسان، الدورة الحادية عشرة، البند 3 من جدول الأعمال، 25 ماي 2009 (A/HRC/11/4/Add.3).

- مذكرة المرافعة من أجل الإعلام الجمعوي، منشورات منتدى بدائل المغرب بدعم من الاتحاد الأوروبي.

- معهد التنوع الإعلامي، الصحافة الاندماجية، ط1 أبريل 2010.

- الزرن جمال، تلفزيون الخدمة العامة والديمقراطية: أية علاقة، مجلة الإذاعات العربية؛ منشورات اتحاد إذاعات الدول العربية، العدد 2، سنة 2011.

المراجع الأجنبية

- Haute Autorité de la Communication Audiovisuelle : Manuel de formation sur la régulation de l'audiovisuel en Afrique, page 17, Novembre 2008.

- C.t.Oninons(ed) The Shorter Oxford English Dictionary, The Clarendon Press,Oxford,1956.

- Encyclopedia Britanica,Vol.8,

- Audiovisuel pluralisme et Diversité : manuel de formation sur la régulation de l'audiovisuel en Afrique, Article 19, novembre 2008.

- McQUIAL Denis: la diversité de l'information dans toute sa diversité: évolution d'un concept pour les médias et les politique publique, Pluralisme de l'information et media diversity. Un état des lieux international, paris, 2013.

- Des FREEDMAN: la régulation pour la pluralité :les leçons du Royaume-Uni, Pluralisme de l'information et media diversity. Un état des lieux international, Sous la direction de Franck Rebillard, Marlène Loicq, Éditeur : De Boeck Supérieur, paris, 2013.

- Denis McQuail, la diversité de l'information dans toute sa diversité : évolution d'un concept pour les médias et les politiques publique, Pluralisme de l'information et media diversity. Un état des lieux international, Sous la direction de Franck Rebillard, Marlène Loicq, Éditeur: De Boeck Supérieur,paris, 2013

- Lawrence Erlbaum associates: Media diversity economics, ownership and FFC : Mara Einstein :, publishers Mahwah, New Jersey , London, 2004.

- PRITCHARD David et TERRY Christopher: politique publique de communication et diversité de l'information aux etat-Unis Pluralisme de l'information et diversity un état des lieux international, Sous la direction de Franck Rebillard, Marlène Loicq, Éditeur: De Boeck Supérieur, paris 2013.

-http://www.csa.fr/Television/Le-suivi-des-programmes/La-representation-de-la-diversite/La-diversite-a-la-television

- http://www.csa.fr/Television/Le-suivi-des-programmes/La-representation-de-la-diversite/La-diversite-a-la-television/Les-engagements-annuels-des-chaines

مشهديّة العنف السياسي في تونس: من الإعلام التقليدي إلى الميديا الجديدة

The spectacular of Political Violence in Tunisia: From Traditional Media to New Media

د. صفاء الحشاني: دكتورة في علم الاجتماع، قسم علم الاجتماع بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس وعضوة بوحدة البحث توارث انتقالات وحراك. تونس

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة تطوّر مشهدية العنف الذي رافق الفعل السياسي في تونس، من خلال تتبع دلالاته ورصد محدداته كرونولوجيا منذ نشأة الدولة الحديثة الى ما بعد الثورة سنة 2011. يتساءل البحث حول تأثيرات التطور الذي شهدته الروافد الاتصالية وخاصة بروز دور "الميديا الجديدة" وانعكاسات ذلك على أساليب وآليات الاتصال السياسي، ومن خلف ذلك العنف وصورة العنف. تعتمد هذه الدراسة في منهجها على المقاربة السيميوسوسيولوجية بهدف قراءة ما وراء الكلمة والصورة من عنف يمارسه السياسي عبر روافد متعددة. وقد خلصت الدراسة الى الكشف عن ارتباط وثيق بين انتقالية العنف السياسي من شكله الرمزي (الكلمة) الى شكله الأيقوني (الصورة) حيث لعبت المحددات السوسيواعلامية دور حاسم في تَشكُّلِها.

الكلمات المفتاحية: العنف السياسي، الإعلام التقليدي، الميديا الجديدة، المشهدية، تونس.

Summary:

This research aims at studying the development of the scene of violence that accompanied the political act in Tunisia, by tracing its indications and monitoring its chronological determinants since the establishment of the modern state until after the revolution in 2011. The research questions the effects of the development witnessed by the communicative tributaries, especially the emergence of the role of the "new media" and its repercussions This depends on the methods and mechanisms of political communication, and behind that violence and the image of violence. This study relies in its approach on the semi-sociological approach in order to read what is behind the word and the image of the violence practiced by the politician through multiple tributaries. The study concluded by revealing a close link between the transition of political violence from its symbolic form (the word) to its iconic form (the image), where socio-media determinants played a decisive role in its formation.

Keywords: political violence, traditional media, new media, spectacular, Tunisia

مقدمة:

ساهمت حالة الانفلات التي رافقت اندلاع الثورة التونسية سنة 2010–2011 في بروز أشكال مختلفة من العنف كان للروافد الإعلامية التقليدية والميديا الجديدة دور حاسم في التطبيع مع محدداته في سياق اجتماعي سريع التغيير. فالقطع مع حكم استبدادي قمع الأصوات المعارضة مثّل مطلبا أساسيا للمحتجين تحت شعار (شغل، حرية، كرامة وطنية)، خاصة وانّ وسائل الإعلام التقليدية (التلفاز، الراديو والصحف) كانت أداة في يد هذه السلطة لممارسة العنف الرمزي خاصة من خلال الاقتصار على تغطية أنشطة وتجمعات الحزب الحاكم "التجمع الدستوري الديمقراطي"[249]. مقابل منع الأحزاب المعارضة من ممارسة أي نشاط سياسي.

بهذا المعنى، كانت وسائل الإعلام التونسية أداة في خدمة السلطة وأجندتها. غير أنّ ببروز "الميديا الجديدة" باعتبارها كوكبة تتعايش فيها وسائط الإعلام الكلاسيكية كالصحافة الالكترونية ، التلفاز والإذاعات على الانترنت وكل أشكال استهلاك الفيديو الجديدة وإنتاجها، وتكنولوجيات متغيرة تنافسها وتتفاعل معها، كالهاتف الجوال المتعدد الوظائف، وأنماط تواصل وتفاعل اجتماعي جديدة ممثل في الشبكات الاجتماعية ومنتديات الحوار وأشكال تعبير مستحدثة كالتدوين وتعبيرات ثقافية كالواقع الافتراضي والألعاب الافتراضية الشبكية...[250]، وما توفره هذه الروافد من حينية وسرعة انتقال المعلومة، لم تتمكّن السلطة السابقة من مواكبة سرعاته وظلّت محافظة على فضاء سيطرتها المتمثل في الإعلام التقليدي، لتسقط تلك المشهدية الكلاسيكية[251] أمام مشهدية افتراضية[252]. فهذا المدّ الاتصالي الافتراضي تجاوزت استخداماته خلال العشرية الأخيرة 2010–2021 مرحلة الدعوة للثورة وتوثيق الفعل الاحتجاجي، بل انتقل الى رافد ومحمل سياسي بامتياز يمارس عبره السياسيون التونسيون شتّى أشكال وأنواع العنف.

أوّلا، مرتكزات الدراسة وتحديد اشكالياتها النظرية:

1– إشكالية البحث:

يمثّل العنف السياسي بأشكاله المسموعة والمرئية بعد 2011 مشهدية نُقلت للمتلقي عبر وسائل الاعلام التقليدية والميديا الجديدة بدلالاتها الرمزية، المرئية واللاّمرئية، الظاهرة والكامنة، ما يستوجب قراءتها في تناقضاتها وسردياتها من خلال النّبش في مدلولات الصورة والعلامة التي يتلقاها المتلقي حينيّا. غير أن هذه الصورة او المشهدية هي رسالة حمّالة لمخزون من العنف تدفع المتقبّل استبطان هذه الممارسات

249 التجمع الدستوري الديمقراطي هو حزب السلطة الحاكمة ما قبل 14 جانفي 2011 والذي تأسس بتاريخ 27 فيفري 1988.
250 الصادق الحمامي، الميديا الجديدة (الابستيمولوجيا والإشكاليات والسياقات)، المنشورات الجامعية بمنوبة، تونس،2012، ص 14.
251 نقصد بالمشهدية الكلاسيكية تلك الصورة (سواء الثابتة، المتحركة، او الايقونية او في شكل مقال) التي نتلقاها عبر وسائل الإعلام التقليدية من صحف مكتوبة، راديو وتلفاز.
252 المقصود بالمشهدية الافتراضية، تلك الصورة التي نتلقاها ونتفاعل معها عبر الميديا الجديدة.

بدون وعي منه، لتترسّخ في مخياله بفعل الاستمرارية والمداومة والتكرار وتصبح محدّد من محددات النسق الاجتماعي الذي يتهيكل داخله. بناءا عليه نسعى الى رصد محددات هذا العنف عبر الحفر في دلالاته الخفية، فهو بحث في الصورة الداخلية لمشهدية العنف السياسي عبر مرحلية تاريخية وسياقات مختلفة ساهمت التغيرات والديناميكيات الاجتماعية والسياسية والاتصالية في بناءه. نعتمد في ذلك نماذج بحثية مقارنة تميزت بانتقالات سياسية، اجتماعية وأخرى اتصالية. مثلا، من مرحلة حكم "زين العابدين بن على" قبل 2011، إلى المرحلة التي شهدت اعتصامات "الشرعية والرحيل[253]" سنة 2013، ثمّ مرحلة ما بعد انتخابات 2019. إضافة الى ذلك، قراءة لدلالات الخطاب السياسي وما يحمله من شحنة سيميولوجية، من خلال النقل المباشر والحيني لفيديوهات توثق تبادل العنف بين عضوين من مجلس نواب الشعب "عبير موسي[254]" عن الحزب الحر الدستوري و"سيف الدين مخلوف[255]" عن حزب ائتلاف الكرامة تمّ تداولها عبر الميديا الجديدة.

2- فرضية البحث:

ساهمت الميديا الجديدة في فكّ ارتباط السياسي وخضوعه لوسائل الاعلام التقليدية، ما أفرز مشهدية جديدة حوّلت هذا الرافد الى فضاء مشحون تُمارس فيه شتّى أنواع وأشكال العنف السياسي.

3. أهداف الدراسة وأهميتها:

تهدف هذه الورقة إلى تحديد سياقات بروز العنف السياسي في تونس وأثر التحولات الاجتماعية والسياسية والاتصالية في التغيرات الطارئة على أشكاله. فهي قراءة لأمثلة بحثية عبر التّعمّق في دلالات الصوت، الصورة، اللون، الفضاء والزمان... في تقاطع مع ناقل الصورة سواء أكان وسائل إعلام تقليدية أم ميديا جديدة، وبين متلقّيها. فمحددات هذا التقاطع بين حقول السياسة والاتصال تتجلّى عبر ممارسات سياسية تأخذ ابعاد مشهدية تستدعي فكّ تشفيرها لتتبع المتغيرات والتمفصلات التي ساهمت في تشكّلها.

4. مفاهيم البحث:

4. 1 المشهدية:

نعتمد مفهوم المشهدية باعتباره صور متعددة، لما تضفيه من شمولية المعنى وما يحيط بها من دلالات دائمة التغير في مجتمع يشهد ديناميكيات متحولة سواء على الصعيد الاتصالي أو السياسي. فالمشهدية بهذا المعنى، يمكن اعتبارها علامة نقرأها من خلال رمزيّاتها ومدلولاتها في إطار اجتماعي بعينه. أي أن

[253] شهدت البلاد التونسية ازمة سياسية حادة نتيجة تواتر اغتيالات سياسية: أوّلها شكري بلعيد (حزب الوطد) في6 فيفري 2013 وثانيها في25 جويلية 2013 لمحمد البراهمي (التيار الشعبي)، وهو ما ساهم في الدعوة لحل مجلس نواب الشعب. افضت هذه الحالة من التوتر الى تشكل فصيلين أحدهما يدعم توجهات السلطة والأخر معارض لها، ليكون اعتصام الشرعية واعتصام الرحيل واجهة وتجلي لهذا الصراع من امام مقر مجلس نواب الشعب بباردو.

[254] رئيسة الحزب الدستوري الحر منذ 13 أوت 2016.

[255] انتخب نائب في مجلس النواب سنة 2019 عن حزب ائتلاف الكرامة.

مشهدية العنف السياسي في تونس لا يمكن قراءته بمعزل عن السياق الاجتماعي الذي تشكّلت داخله. فهي قراءة لما وراء الصورة، سواء أكانت صورة متحركة أم ثابتة أو حتى علامات مكتوبة، فلصورة مداخلها ومخارجها، لها أنماط للوجود وأنماط للتدليل. إنها نص، وككل النصوص تتحدد باعتبارها تنظيما خاصا لوحدات دلالية متجلّية من خلال أشياء أو سلوكيات أو كائنات في أوضاع متنوعة. إنّ التفاعل بين هذه العناصر وأشكال حضورها في الفضاء وفي الزمان يحدّد العوالم الدلالية التي تحبل بها.[256]

فعبر فك شفراتها نتمكن من استخراج تلك المدلولات، فالصورة بهذا المعنى استعادة للحياة وخلق من جديد للجسد الاجتماعي، سواء في شكل تجمع او مجموعة قبلية صغرى تكون لها بمثابة السند، وفي تلك اللحظة ستثير الراية بوصفها "خرقة مخططة" احساسا جماعيا حادّا. وستقوم كلمة عادية ما بمصاحبة "وظيفة العلامة لتغدو وسيلة للتعرف والاعتراف، وتصلح كآمر بالتجمع. وفي كل حالة من هذه الحالات تعضد الصورة العروة الاجتماعية التي تستعيد بذلك قوتها الأصلية.[257] كما تعتبر " منى اباضة" في علاقة بمشهدية الموضة، انّها "تقليد ساحر" يؤدي دور فاعل في الحفاظ على النسق الاجتماعي والتكيف معه في مجتمع يبحث عن التمايز والاختلاف عبر تمسكه بالإرث الاجتماعي.[258]

4. 2 العنف السياسي:

تتنوع وتتعدد التعريفات المتعلقة بمفهوم العنف السياسي ويوجد شبه اتفاق بين أغلب الدارسين لهذه الظاهرة على أن العنف يصبح سياسيا عندما تكون أهدافه أو دوافعه سياسية.[259] فهو "استخدام القوة المادية أو التهديد باستخدامها لتحقيق أهداف سياسية."[260] كما "يرى البعض أنّ العنف وسيلة لتحقيق أهداف مشروعة، أي يُقرّها القانون وعادة ما يُركز المساندون والمؤيدون للنظام على فكرة المشروعية لتبرير ممارسات النظام والقانون، والقضاء على العابثين".[261]

بهذا المعنى، يمكن اعتبار العنف السياسي في شكل من أشكاله، استخدام لكافة الوسائل المتاحة سواء من قبل السلطة الحاكمة ومعارضيها أو من قبل جماعات أخرى لتحقيق أغراض وأهداف سياسية.

في هذه الورقة، سنتتبع مسار انتقال هذا العنف من خلال رصد التغيرات الطارئة على مشهديته، باعتبار الإعلام التقليدي والميديا الجديدة فضاءين أساسيين اعتمدهما السياسيون في التواصل مع المتقبل. فمفهوم الانتقال يحيلنا للتطور لا القطيعة أي الانتقال من شيء إلى آخر، وفي هذا الإطار تناولت مجموعة من

---

[8]سعيد بنكراد، سيميائيات الصورة الاشهارية: الإشهار والتمثلات الثقافية، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006، ص32.

[9] ميشال مافيزولي، تأمّل العالم: الصورة والاسلوب في الحياة الاجتماعية، ترجمة فريد الزاهي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2005، ص 115.

[258] منى اباضة، تحول مشهدية الموضة في مصر المعاصرة، بدايات، العدد33، 2021.

[259]Philippe Braud, La violence politique dans les démocraties Européennes occidentales, Harmattan, Paris 1993, P28.

[260] حسين توفيق إبراهيم، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه، بيروت،1999، ص 50.

[261] المرجع نفسه، ص 51.

الأبحاث والدراسات حول مسالة الانتقال والانتقال الديمقراطي حيث تتفق كونه مفهوم عملي بديل طوره الفكر الليبرالي، ويعتمد فكرة الانتقال المرحلي الخاضع للسيطرة والمراقبة نحو الديمقراطية الليبرالية.[262]بهذا المعنى نسعى في هذه القراءة الى فك شيفرات ومدلولات والرمزيات المخفية لهذه الصور في حلها وترحالها، من الإعلام التقليدي إلى الميديا الجديدة.

فالارتباط الكلاسيكي لممارسة العنف الشرعي من قِبل الدولة، تحوّل في شكل من أشكاله إلى وسيلة بيد السلطة قبل 2011 وذلك بهدف الحفاظ على رأس النظام من خلال إخضاع المؤسسات الإعلامية وجعلها راجعة بالنظر إليه. غير أن الحدث الثوري الذي تزامن مع بروز دور الميديا الجديدة، ساهم في تشكّل مشهد جديد لنعيد طرح تلك الاشكاليات المتعلّقة بمفهوم العنف السياسي وممارسة العنف الشرعي من نيكولا ماكيافيللي[263]، ماكس فيبر[264]، إلى العنف الرمزي كما حدده بيير بورديو.[265]

5- منهجية الدراسة:

إن قراءة مشهدية العنف السياسي في تونس هو بحث في دلالات الصورة بمحددات الحقل السياسي، باعتباره حيّزُ ممارسة الراس المال الرمزي بامتياز: انّه الحيّز الذي يكون الوجود فيه هو وجود قيد الرؤية، ويكون الكون (او الكينونة) فيه مساويا لأن تكون تحت الأنظار وقيد الإدراك". [266]حيث نعتمد بالأساس على المقاربة السيميوسوسيولوجية، فللصورة مداخلها ومخارجها، لها أنماط للوجود وأنماط للتدليل. إنها نص، وككل النصوص تتحدد باعتبارها تنظيما خاصا لوحدات دلالية متجلّية من خلال أشياء أو سلوكيات أو كائنات في أوضاع متنوعة. إنّ التفاعل بين هذه العناصر وأشكال حضورها في الفضاء وفي الزمان يحدّد العوالم الدلالية التي تحبل بها الصورة. فالصورة خلافا للنص الذي يتوسّل باللغة في إنتاج مضامينه، لا تستند في إنتاج دلالاتها إلى عناصر أولية مالكة لمعاني سابقة (الكلمات مثلا)، وإنما تستند إلى تنظيم يستحضر السّنن التي تحكم هذه الأشياء في بنيتها الأصلية".[267]

من هذا المنظور، تهتم السيميولوجيا "علم العلامات العامّ" بالخطاب بجميع أشكاله: رسوم، حركات، أفلام، نصوص، لباس..."[268] حيث تبحث السيميوسوسيولوجيا في دلالات العلامات المرتبطة بالواقع الاجتماعي الذي وردت فيه، "فأنماط الواقع ليست جميعها متماثلة بل فيها مواقع من الصراع والتناقض والتراتب ممّا يجعل العلامة متحركة ومختلفة باختلاف سياقاتها".[269] إنّ قراءة علامات ودلالات العنف السياسي من

---

[262] المولدي لحمر، "الانتقال الأخر في الثورة التونسية النفوذ الاجتماعي والموارد والاعتبارات والقيم"، الثورات العربية: عُسر التحول الديمقراطي ومآلاته، المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات، 2018، ص 186.

[263] أكد "ماكيافيل" في كتابه "الأمير" على ضرورة استخدام القوة من طرف الحاكم ليحقق الأمن والسلام.

[264] حدد "ماكس فيبر" ثلاثة أشكال للسلطة، أولا السلطة التقليدية المتمثلة في العادات والتقاليد، ثانيا، السلطة الكاريزماتية المتمثلة في الشخصية المثالية مثل الأنبياء، وثالثا، السلطة العقلانية وهي السلطة الخاضعة للتشريعات القانونية والتي تعتمد النموذج البيروقراطي.

[265] تناول بيير بورديو العنف الرمزي من خلال تناوله لمفهوم "الحقل" الذي يتميز بالصراع سواء في بنيته الداخلية أو الصراع على مستوى حقول أخرى، وفي هذا الإطار يبرز العنف الرمزي باعتباره يمثل عنف مخفي وغير مرئي يمارس بتواطؤ كلّ من المهيمِن والمهيمَن عليه.

[266] بيير بورديو، عن الدولة: دروس في الكوليج دو فرانس 1989-1992، ترجمة نصير مروة، سلسلة ترجمان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، سبتمبر 2016، الطبعة الأولى، ص 332.

[19] سعيد بنكراد، المرجع السابق، ص32.

[268] Jean-François Dortier, *Le Dictionnaire des sciences humaines* (Liban : Edition DELTA , 2007),p 769.

[21] محسن اليوعزيزي: السيميولوجيا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010، ص 15.

خلال مشهديته، هو بحث في فترات تاريخية كان للتحولات والتغيرات الاتصالية والسياسية والاجتماعية دور فيها، فهي علامة متحركة من فترة الى أخرى، سنتتبّع مساراتها كالآتي:

أولا، فترة خضوع المؤسسات الإعلامية التقليدية للسلطة قبل 2011، فـ"كل سياسيّ، مهما كان حجمه وأهميّته، هو بحاجة لتأثير الصحافة إضافة إلى العلاقات بالوسط الصحفي"[270]. **ثانيا**، بعد 14 جانفي 2011 وهو تاريخ سقوط النظام الحاكم وكذلك تاريخ سقوط مشهدية الإعلام التقليدي التي بواسطتها تمّ السيطرة على فكر ومخيال التونسي، حيث كان الميدان والانترنت متكاملان[271]، لتتشكل عبر ذلك صورة أخرى وهي مصداقية "الميديا الجديدة". فبالتزامن مع ذلك، برزت مشهديات جديدة للعنف السياسي والتي مثلت فضاء لدلالات ورمزيات وإيحاءات مغايرة لسابقاتها، فـ"الصورة التي تبثها الوسائط الرقمية بإمكاناتها الافتراضية الهائلة، هذه الوسائط التقنية الحديثة، تطور اليوم طقوس جديدة غير مألوفة، فتسرّع أكثر من ذي قبل القراءة السيميوسوسيولوجية لغزارة المادّة السيميائية التي تنتظر القراءة وفك الترميز، طقوس المظهر الاجتماعي، اللافتات، الشعارات، صورة العنف وعنف الصورة"[272].

تستند هذه الورقة على جملة من طرائق البحث وتقنياته، حيث سنعتمد الطريقة الكيفية في قراءة الفيديوهات والريبورتاجات أمثلة البحث، حيث استندنا في تحديدها إلى جملة من المتغيرات التي ارتبطت بالديناميكيات السياسية سواء قبل 14 جانفي 2011 أو بعده، ومن خلال ذلك سعينا إلى اخذ مثال من كل فترة تاريخية، يمكن تلخيصها في الجدول التالي:

الجدول عدد (1): نماذج البحث المعتمدة في دراستنا:

المتغيرات / المرحلة		عنوان الفيديو	المدّة	تاريخ النّشر	المرجع الالكتروني
مرحلة حكم "زين العابدين بن علي"[273]		شريط الانباء بالقناة التونسية 24 جويلية 2002–النشاط الرئاسي.	13 دق و14 ثانية.	30 أكتوبر 2015	https://bit.ly/3TqnUoi
مرحلة ما بعد الاغتيالات السياسية سنة 2013 تناولنا 2 فيديوهات:	فيديو لاعتصام الشرعية (خطاب صحبي عتيق[274]).	الصحبي عتيق يؤكد انّ المعتصمين بباردو انقلابيين وهم ضد الشرعية	2 دقائق و 11 ثانية	28 جويلية 2013	http://bitly.ws/tPf2
	فيديو لاعتصام الرحيل (خطاب محسن مرزوق[275])	بدون عنوان	8 دق و40 ثانية	3 اوت 2013	http://bitly.ws/tPeV

[270] Max Weber, *Le savant et le politique* (Paris : Union Générale d'Éditions, 1963) p44.

[271] منير السعيداني، يريد...ويبدع ما يريد...الشباب في الانتقال الديمقراطي بتونس، دار محمد علي للنشر، صفاقس، 2012، ص 20.

[24] محسن البوعزيزي: السيميولوجيا والسوسيولوجيا، المقدّمة، العدد 1، الجمعية التونسية لعلم الاجتماع، ص 103.

[273] ثاني رئيس للجمهورية التونسية بعد الاستقلال.

[274] نائب عن حركة النهضة.

[275] عضو في المكتب التنفيذي لحركة نداء تونس.

مرحلة ما بعد انتخابات 2019[276]	تمتعوا بأنواع السب والشتم صوت وصورة وفي مقر مجلس نواب الشعب على مرأى ومسمع من النواب والاداريين والمساعدين...	52 ثانية	02 أكتوبر 2020	https://bit.ly/3wIoG6q

المصدر: من اعداد الباحث استنادا لأمثلة البحث

هذه الفترات الثلاثة هي المحدد في اختيارنا لأمثلة البحث، حيث تناولنا في الفترة الأولى ريبورتاج ورد في نشرة الأنباء للتلفزة التونسية بتاريخ 24 جويلية 2002، وفيها تمّ عرض الفقرة القارة للنشاط الرئاسي. الفترة الثانية تناولنا 4 فيديوهات نشرت على اليوتيوب لاعتصام الشرعية واعتصام الرحيل بتواريخ 28 جويلية، 03 أوت، و06 أوت من سنة 2013. أمّا الفترة الثالثة تناولنا فيديو نشر على الصفحة الرسمية للنائبة "عبير موسي" بتاريخ 2 أكتوبر 2020 تحت عنوان شاهدوا جرائم "سيف الدين مخلوف" ضد الأستاذة عبير موسي داخل مجلس نواب الشعب.

ثانيا، نتائج الدراسة

تنقسم نتائج الدراسة إلى ثلاثة عناصر كان للتحولات الاتصالية والسياسية دور في خيارنا، حيث نتناول في العنصر الأول المشهدية الكلاسيكية للعنف السياسي في تونس وهي فترة حكم "الرئيس الثاني للبلاد التونسية، العنصر الثاني يمثل قراءة لمشهدية جديدة تمخضت عن تحول اتصالي مع بروز دور "الميديا الجديدة" الذي أنتج صور وأشكال جديدة للعنف السياسي. ثمّ العنصر الثالث، وهو بروز مشهدية افتراضية تحول من خلالها العنف السياسي من عنف رمزي في المشهدية الكلاسيكية الى عنف فرجوي.

قبل التعمق في نتائج الدراسة، سيكون الجدول اللاحق عبارة عن قراءة أولية لأمثلة البحث وذلك بهدف تحديد أدق للمتغيرات.

الجدول عدد (2): دراسة مقارنة بين ثلاثة مراحل ميّزت المشهد السياسي في تونس من خلال النماذج المعتمدة في بحثنا:

المتغيرات / الأمثلة	الفضاء (المجال)	الرافد الاتصالي	المشهدية	نوعية العنف	التوصيف الإعلامي
مرحلة حكم "زين العابدين بن علي"	مفتوح (مهرجان اوّسو بسوسة)	قناة التلفزة التونسية "ت7"	-تجمع عدد كبير من الأفراد. - لافتات وأعلام للرئيس. - طغيان اللون الأحمر. - وجوه مبتسمة - تصفيق - الرئيس يلقي التحية بملامح مبتسمة مع ضمّ اليدين	عنف رمزي	شريط الأنباء بالقناة التونسية 24 جويلية 2002-النشاط الرئاسي.

[276] الانتخابات الرئاسية الثانية بعد الثورة التونسية في 13 أكتوبر 2019، والتي كانت نتيجتها فوز "قيس سعيد" أمام منافسه "نبيل القروي".

			أفراد بلباس رسمي يحيطون بالرئيس.		
مرحلة ما بعد الاغتيالات السياسية سنة 2013	مفتوح(ساحة باردو)	الميديا الجديدة	– راية باللون الأسود والأبيض. – علم الجمهورية التونسية. – شخص يلقي خطاب فوق منصة. – افراد في الجهة الخلفية للمنصة. –لافتات تحمل علامات مثل" دستور وضعي بلا أحكام شرعية" – أصوات منفعلة، غاضبة. – تصفيق	عنف رمزي	– اعتصام الشرعية في باردو – اعتصام الرحيل بباردو.
مرحلة ما بعد انتخابات 2019	مغلق (داخل مجلس نواب الشعب)	الميديا الجديدة (الصفحة الرسمية لـ"عبير موسي")	– تجمهر اعدد من الأفراد يرتدون لباس رسمي. –شخص يشير بيده إلى الكاميرا وهو غاضب. – أفراد يحاولون تهدئته. –صوت خلف الكاميرا يردد بعض ألفاظ المخاطب.	–عنف لفظي –عنف رمزي	تمتعوا بأنواع السب والشتم صوت وصورة وفي مقر مجلس نواب الشعب على مرأى ومسمع من النواب والإداريين والمساعدين...

المصدر: من اعداد الباحث

1- المشهدية الكلاسيكية للعنف السياسي في تونس:

تمثل وسائل الاعلام التقليدية احدى اهم الأدوات التي يعتمدها الفاعل السياسي قصد تبليغ آراءه وتوجيه الرأي العام نحو خدمة مصالحه. مثال على ذلك الفيديو الذي تم تداوله على مواقع التواصل الاجتماعي "اليوتيوب" يوم 30 أكتوبر 2015 أي بعد سقوط نظام "زين العابدين بن علي"، تحت عنوان "شريط الانباء بالقناة التونسية 24 جويلية 2002–النشاط الرئاسي." وفي ذلك دلالات ورمزيات متعددة مرتبطة بالسياق التاريخي والاجتماعي الذي تم فيه عرض هذا الفيديو. حيث نسعى لقراءة هذه الدلالات واستخراج مدلولاتها ورمزياتها المخفية بتقاطع بين فترتين تاريخيتين وسياقين اجتماعيين مختلفين، وهما فترة حكم "زين العابدين بن علي" وفترة التي تلت سقوط نظامه وبالتحديد ما بعد 2011.

مثّل الفضاء السياسي في تونس قبل أحداث ديسمبر 2011 فضاء لممارسة العنف الرمزي، حيث مارس الفاعل السياسي من خلال نفوذه وسيطرته على أجهزة الدولة، القمع والتهميش وكبت الحريات والاستبداد. فتمكنت السلطة الحاكمة من التحكم في مؤسسات الدولة ومن بينها وسائل الإعلام العمومية والخاصة، فكانت "تعتمد عليهم (السلطة الحاكمة) في أغلب الأحيان كوسيط رئيسي لتمرير العديد من التوجيهات والتوصيات والرسائل الإعلامية وأيضا التهديدات والإنذار المبكّر بتسليط العقوبات المنتظرة على الصحافيين"[277]. فهي أداة ووسيلة لحقن الجمهور بأفكار وتصورات تخدم السلطة الحاكمة، اذ تعود جذور هذه النظرية إلى علم النفس مع "فرويد" والذي اعتبر أن السلوك الإنساني هو تركيبة من عناصر لا واعية تتحكم فيه وبالتالي تحدد وعيه. ومن ثمّ طور "هارولد لاسوال" هذه النظرية حيث يعتبر أن وسائل الإعلام

[29] خالد الحدّاد: السياسة الإعلامية في تونس: مراكز نفوذ صراع خلافة-سقوط نظام، المغاربية للطباعة وإشهار الكتاب، تونس، 2018، ص 198.

هي المحدد والمؤثر في سلوك الأفراد واعتمد مفهوم "الحقن تحت الجلد" ليبيّن مدى تأثير هذه المواد الإعلامية في المتقبل.

لئن تعد نظرية "لاسوال" حول تأثيرات وسائل الاعلام على الافراد على غاية من الأهمية، الا انها لا يمكن ان تكون الأداة الوحيدة بل هناك عدة عوامل أخرى من شانها ان تحدث أثر وتوجه الافراد نحو منحى محدد، وهي عوامل لا يمكن الكشف عنها الاّ بالتمحيص والتدقيق في اغوار المجتمع المدروس. وفي هذا الإطار، نتبين ان نظام زين العابدين بن علي" كان على دراية بما تمثله الأحزاب المعارضة من تهديد لحكمه وسلطته، وهو ما دفعه حرمانها من التجمعات وسلّط كل اجهزته الأمنية لمراقبتها والتجسس عليها. وقد عزز ذلك سياق اعلامي شرعن الاعتقالات في صفوف المنتمين للأحزاب المعارضة بتعلّات مختلفة مثل الإرهاب وتهديد امن الدولة وسلامة الأفراد والسلم الأهلي.

تحيلنا دلالات فقرة "النشاط الرئاسي" وشعار القناة "ت7ـ" لرمزيات ومدلولات مرتبطة بالذاكرة وهو تاريخ 7 نوفمبر 1987 تاريخ ترأس "زين العابدين بن علي" الدولة. فهذا الدال حامل لمدلولات التغيير مع شخصية سياسية تعتمد الكاريزماتية في مظهرها مثل طريقة المشي، الرصانة، كيفية إلقاء التحية على الجمهور، وذلك بهدف التأثير في المتقبل وشحنها بمدلولات القوة والهيبة التي ترسّخ لدى المتقبل صورة الزعيم والقائد. تتكرّر هذه المشهدية سواء عبر شعار أو خطاب أو صورة متحركة أو ثابتة لتبني مدلولات ورمزيات محددة مسبقا من المرسل المتمثل في الإعلام التقليدي، فالنحن تبنى اجتماعيا حاملة لانطباعات ومشاعر مُعاشة، في ظرفيات مماثلة للصور المُقَدّمة. تحيلنا التقاطعات بين ما هو سياسي وإعلامي في هذه المرحلة، إلى المشهدية الكلاسيكية للعنف السياسي في تونس التي بُنيت عبر صورة دلالية وإيحائية لتنتج مجموعة من المدلولات التي تعمل على تعزيز صورة النظام الحاكم مقابل تشويه صورة المعارضة وربطها بدلالات ومدلولات الفوضى وزعزعة استقرار البلاد. فالصورة كما يحددها أفلاطون هي محاكاة خادعة، ظاهرها شيء وباطنها أشياء أخرى. فاعتماد رمزية الصورة من خلال الألوان الواردة في الريبورتاج، الأحمر والأبيض، اللون الأبيض في لباس الرئيس، العلم التونسي ورمزياته، كلها دلالات تحيل للوطن وما يحمله من مدلولات. فهذه الإحالات تجعل المتلقي يستبطن صورة ذهنية تحمل رمزيات السلم من خلال بياض اللباس، اللون الأحمر دم الشهداء مع شعار التلفزة التونسية "تـ7" بلون ازرق بنفسجي والذي يدل على الصفاء من خلال استعارة "السماء زرقاء صافية" ويحيل كذلك إلى اللون الرسمي لحزب الرئيس التجمع الدستوري الديمقراطي.

فعبر هذه المدلولات ترتسم للمتلقي مجموعة من المسلمات التي تجعله أسير مشهدية نُحِتت بتوجهات النظام الحاكم قبل 14 جانفي 2011 عبر تحكمه في توزيع الإشهار العمومي من خلال بعث وكالة الاتصال الخارجي مقياسها في ذلك درجة الولاء للسلطة لخدمة وتلميع صورة الرئيس داخليا وخارجيا. فعبر هذه الآليات يتمّ إرسال رسائل مشفرة لمتلقي هذه العلامة والدلالات، حيث تتشكل معالم العنف

الرمزي فهو عنف ناعم وخفي يمارس عبر تواطؤ الممارس والممارس عليه. هدفه التأثير في الذهن لا الجسد. يمكن أن يتمظهر أحيانا في الحقل الأكاديمي، في خطاب النظام أو في كلمات المعلّم."[278] فهذا النوع من العنف، لا يمكن تحديده إلاّ عبر قراءة سيميوسوسيولوجية تنظر إلى مختلف الممارسات الرمزية للإنسان باعتبارها أنشطة رمزية وانساقا دالة. وبذلك أوجدت لنفسها، موقعا ابستيمولوجيا شرعيا".[279]

2- مشهدية العنف السياسي عبر الميديا الجديدة:

مثّل المشهد الإعلامي في تونس قبل 14 جانفي 2011 حقل تتحكم فيه السلطة السياسية عبر احتكارها ممارسة العنف الشرعي،[280] حيث يتم إخراج الصّور عبره بما يخدم مصالح السلطة الحاكمة من خلال سيطرتها على المؤسسات الإعلامية العمومية والخاصة، فـ**"من يمارس السياسة يسعى إلى السلطة. السلطة بوصفها وسيلة لخدمة أهداف أخرى. مثالية أو أنانية. أو "السلطة من اجل السلطة" من اجل الاستمتاع بشعور الامتياز الذي تمنحه."**[281] إلا أن اندلاع الثورة التونسية في ديسمبر –جانفي 2011 والتي كان"الفايسبوك" عامل مساعد في تبليغ صورة ظلت مخفية طوال عقود من الزمن. فعرّت كل الأشكال الاستبدادية والممارسات القمعية التي مارسها النظام الحاكم على أفراد المجتمع وكل مؤسساته وهياكله. فعبر هذه المشهدية التي رافقت الثورة التونسية برزت المشهدية الافتراضية والتي تشكلت عبر طابعها التفاعلي بين فواعل افتراضية مختلفة، فكانت حينيّة ومباشرة مناقضة للمشهد الذي تطبّعت به ممارسات السلطة وتعاطت به مع وسائل الإعلام التقليدية، حيث اتسمت بالحذف والتعديل، وهو ما ساهم في سقوطها.

من خلال هذه الدلالات المشهدية والانتقال من حقل كلاسيكي تحت سيطرة السلطة إلى فضاء تفاعلي "الميديا الجديدة"، برزت أشكال وفضاءات جديدة للعنف السياسي، فكان كلّ من اعتصام "الرحيل و"اعتصام الشرعية" مثال لاستخدامات هذه الروافد الاتصالية الجديدة والتي ساهمت بدورها في انتقال العنف السياسي وتطوّره.

يمكن تبين أشكال تغير أدوات الاتصال السياسي في تونس من خلال الانخراط في ما هو اتصالي رقمي من خلال إنشاء مواقع إلكترونية باسم الأحزاب السياسية، كذلك صفحات "فايسبوكية" ومدوّنون يشتغلون يوميا على تلك الصفحات من خلال نقل فيديوهات توثق أشغالهم وتحركاتهم وآراءهم وأفكارهم. حيث تحولت "الميديا الجديدة" إلى فضاء أتاح الفرصة لبروز فواعل سياسية متعددة ومختلفة. الهدف من هذا

[278] Dortier, *Dictionnaire*, p. 62.

[31] مبارك حنون: دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، تونس، 1987، ص102.

[280] في التعريف الكلاسيكي للعنف الشرعي، تمارس الدولة هذا النوع من العنف قصد الحفاظ على مجالها ضد أعداء محتملين وذلك عبر أجهزة مختلفة.

[281] ماكس فيبر: العلم والسياسة بوصفهما حرفة، ترجمة جورج كتورة، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011، ص 264.

الانخراط فيما هو افتراضي ومواكبة التحولات والديناميكات الاتصالية، هو اكتساب القدرة على التواصل مع الافتراضيين ومحاولة التأثير في توجهاتهم وتحديد اختياراتهم وانتماءاتهم، خاصة وانّ تونس شهدت بعد الثورة اتساع للفضاء العام بفضل شبكات التواصل الاجتماعي. فقد أتاح "الفايسبوك" لعدد كبير من الأشخاص، خاصة منهم الشباب، المشاركة في الحياة السياسية، الفئة العمرية الأكثر حضورا تتراوح بين 18 و34 سنة ما يمثل 68% من مجموع المستخدمين".[282]

جملة المتغيرات السابقة، مثلت عامل رئيسي في مواكبة الفاعلين السياسيين لهذه المستجدّات ونشر خطاباتهم صوت وصورة على اليوتيوب تحت شعار "اعتصام واعتصام الشرعية"، والتي حملت مشهدية اخترقت الزمان والمكان، ليستبطن المتلقي دلالاتها ومدلولاتها في صورتها الحينية والمباشرة عبر مختلف أشكال التفاعل بين الفواعل الافتراضية(التعليقات سواء بالكلمات او بالعلامات...)، ليرى فيه الناس عوالمهم المختلفة عبر أنشطة التمثيل المختلفة التي لا تقتصر على وسائط الصورة والكلام المشهدي، ولكن أيضا بواسطة الأنشطة التداولية التي يمكن أن تكون تعليقات على الأحداث أو أنشطة. [283]

مثلت "ساحة باردو" بالنسبة لمعتصمي الشرعية والرحيل فضاء حمّال لرمزيات ودلالات نظرا لتواجده أمام مقر مجلس النواب، ليتحوّل الفضاء إلى حلبة صراع وتقابل بين الأنا والآخر، فكل طرف يسعى إلى السيطرة واحتكار هذا المجال ليتمكن من بلوغ السلطة واكتساب صبغتها الدلالية. حيث أفضى احتكار الفواعل السياسية لساحة باردو الى بروز تعبيرات وأشكال دلالية جديدة؛ مثلا، تزويق جانب من الفضاء بأعلام الجمهورية وما تحيل إليه ألوانه الحمراء الطاغية الى دماء الشهداء ومدلولات الوطنية والحداثة في اعتصام الرحيل، وراية الطرف المقابل بلونيها الأسود والأبيض وعلامة "لا اله الاّ الله محمّد رسول الله" وما ترمز إليه من مدلولات ورمزيات متعلقة بالدين الإسلامي وتطبيق شرع الله، مع إرفاقها بعلامة كتابية "دستور وضعي بلا أحكام شرعية"، وهو ما يرمز إلى وجوب تطبيق الشريعة، فهذه الصور دالة لها معنى خفي[284].

تستدعي التعبيرات السابقة ضرورة التّنبه لمقاصدها ورمزياتها لفهم أشكال العنف السياسي التي تنتجها، فيمكن أن يكون تحت غطاء ديني يبرر له ويضفي عليه الشرعية ، فالتشريع للعنف السياسي باستعمال فتاوي التكفير وما شابهها، والعنف السياسي يجد له مسوّغا دينيا وأرضية فقهية ومرتكزا إيديولوجيا في تحديد ضحاياه واستهدافهم.[285] فإلتحام الصورة المباشرة بالمجال الركحي في كلا الاعتصامين، تحيلنا إلى دلالات الفضاء وتزويقه بناء على المرجعية السياسية لمُحتكِره، مثل المنصّة التي يلقي من فوقها السياسي خطبه وكأننا أمام ممثل مسرحي في عرض منفرد « one man-Chow » يخاطب الجمهور

[282] Sihem Najar, *Les réseaux sociaux sur Internet à l'heure des transitions démocratiques* (Tunis : IRMC-KARTHALA, 2013), p.346.

[283] الصادق الحمامي: ديمقراطية مشهدية: الميديا والاتصال والسياسة في تونس، دار محمد علي الحامي للنشر، تونس، 2022، ص260.

[284] Roland Barthes, *L'obvie et l'obtus* (France : édition du Seuil,1982) p33.

[285] المولدي قسومي، مجتمع الثورة وما بعد الثورة، دار محمد علي الحامي، الطبعة الأولى، تونس، 2020، ص 490.

في حركة دائمة يمينا ويسارا، فـ" لكل حقل رهاناته الخاصة التي لا يمكن ردّها أو اختزالها في رهانات حقل آخر، فالحقول فضاءات مبنية تتحدد من خلال الموقع الذي نحوزه داخلها.[286] فعبر هذه المشهدية تتشكل الأدوات المسرحية التي استعملها السياسي لتوجيه المتلقي وضمان مساندته، موظّفا كافة أدوات وأساليب الإقناع والتأثير المتاحة قصد بلوغ هدفه، وبذلك يكون المتلقي قد استبطن مجموعة من الصور الذهنية حمالة لعنف سياسي ورمزي عبر استبدال إدارة المجتمع القائمة على الإكراه بإدارة جديدة مغايرة تقوم على شرعية التمثيل والإقناع.[287]

اضافة لمشهدية الفيديوهات المُتدَاوَلة عبر "الميديا الجديدة"، يستدعي ما ترمز إليه نبرة صوت المخاطِب (السياسي) الى التنبّه، حيث توحي بالتوتر والتشنج والغضب من كلا الجانبين (اعتصام الرحيل واعتصام الشرعية تحوّلت "المنصّة" الى فضاء لكيل التّهم ونعت الآخر بالإرهاب وممارسة العنف. فلكسب تأييد المتقبل والتأثير في قناعاته، اعتمد المخاطِب نبرة غاضبة متفاعلا مع مضمون ومحتوى الرسالة وذلك لإيهام المتقبّل بمدى إحساسه بالقضية، فنبرة الصوت هي التي تنقل الإقناع فيما وراء تركيب الخطاب الدفاعي وأنّ الانفعال الذي تنقله نبرة الصوت اشد وقعا من الانفعال الذي تنقله الكلمات نفسها، حيث يتحقق ما أؤمن به إذا حملت نبرة صوتي إيماني إلى صميم المخ الوجداني للأخر[288].

بالتالي، نتبيّن أن مشهدية العنف السياسي في تلك المرحلة من تاريخ تونس، تعاضد في تشكّلها تداخل بلاغة الكلمة بالصورة في لفضاء ركحي نقل للمتلقي إشارات ودلالات حاملة لأيقونات مشفرة وغير مشفرة، حمّالة لتأويلات حسب مرجعيات متلقي العلامة وانتماءاته وحسب قدرته على تحليل وقراءة هذه الدلالا. من هنا، وجب التأكيد على ضرورة العودة لهذه الرسائل بأصنافها المتعددة بطريقة تسمح باستكشافها في سياقاتها العامّة، أخذًا بعين الاعتبار كوننا نبحث عن فهم بنية الصورة في كلّيتها، بمعنى الروابط النهائيّة للرسائل الثلاثة فيما بينها.[289]

3- المشهدية الافتراضية للعنف السياسي:

ساهمت التحولات والتغيرات الاتصالية وخاصة بروز "الميديا الجديدة" في إحداث تغيرات على مستوى العلاقة التواصلية بين الفواعل السياسية والمتلقي، حيث كانت علاقة عمودية قبل 14 جانفي 2011، تقوم على خضوع وتبعية وسائل الإعلام التقليدية للسلطة. أما بعد هذا التاريخ، تحولت إلى تفاعلية من خلال مواقع التواصل الاجتماعي التي ساهمت في بناء علاقات تفاعلية بين الافتراضيين على اختلاف انتماءاتهم وهوياتهم. هذا المعطى الاتصالي والعلائقي ساهم بدوره في إنتاج سلوكيات مستجدة على

---

[38] Pierre Bourdieu, *Questions de sociologie* (Tunis : Cérès Productions, 1993) p.133.

[287] الحمامي، المرجع السابق، ص10.

[288] جوزيف ميسنجر: لغة الجسد النفسية، ترجمة محمد عبد الكريم إبراهيم، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 2008، ص275.

[289] Roland Barthes, Rhétorique de l'image, In :Communications, 4, (1964), p 43, accessed on 18/06/2022, at : http://bitly.ws/tPbu.

المشهد السياسي، من ذلك إنشاء صفحات افتراضية تحمل أسماء أحزاب وشخصيات سياسية والتواصل المباشر مع الافتراضيين عبر فيديوهات توثق تحركاتهم وخطاباتهم وأنشطتهم الحينيّة. حيث تحولت الدعاية السياسية من توجيه المتلقي عبر الإعلام التقليدي إلى توجيهه عبر دعاية سياسية افتراضية، أي عدد صفحات السياسيين، الصفحات الممولة، عدد وكمّ التفاعلات، إعادة النشر... جميعها عوامل تساهم في التأثير على المتلقي وتوجيهه.

من خلال ذلك، نشأت علاقة تفاعلية افتراضية بين السياسي والافتراضي، وتحول الحقل السياسي من فضائه الضيق (تجمعات وملتقيات تضم أحزاب وناشطين سياسيين) إلى فضاء أوسع وأرحب يتميز بهامش كبير من الحرية في نقل الحدث والتفاعل معه (فواعل اجتماعية وفواعل سياسية). فهذه التقاطعات والتشابكات بين الحقل السياسي والاجتماعي والاتصالي أنتج مشهدية افتراضية للعنف السياسي في تونس تحولت بموجبها الصراعات والخلافات بين السياسيين الى فضاء مفتوح يتيح للافتراضي بالتفاعل والتعليق عليها.

في هذا الإطار، ومن خلال الأمثلة التي اشتغلنا عليها في هذه المرحلة (الفيديو) الذي نشر على الصفحة الرسمية لإحدى النائبات على الفايسبوك. يمكننا من تحليل الصورة كدلالة والبحث في مدلولاتها من خلال قراءة رمزيّات المجال الذي يتحرك داخله الفاعلون ممثّل في إحدى قاعات مجلس النواب، وما يرمز إليه من دلالات السيادة والسلطة. اضافة إلى هويات الفاعلين داخلها وهم مجموعة من النواب. ففي هذا الإطار، يلعب المجال دور رئيسي في تحديد هوية الأفراد داخله من خلال رمزيّاته. فمن خلال قراءتنا لإشارات وعلامات هذه الصورة المتحركة من تعبيرات وملامح وجه المتكلم التي تحيل إلى التّشنّج والتوتر وتعبيرات جسده التي تشير إلى استعمال العنف المادي(محاولة ضرب الطرف المقابل) حيث تحاول أطراف أخرى تهدئته وصده عن ذلك، هذا بالإضافة إلى الصورة الشفاهية المرفوقة بنص خطي تتضمن منسوب عالي من العنف من خلال الألفاظ مثل ("كلوشارة،[290] عِرّة[291]، قُعرة[292]...). أمّا في وجه آخر لهذه الصورة، نتبين أن باث هذا الفيديو المباشر يردد بعض الألفاظ مثل "فاسدة[293]".

عبر هذه المشهدية الافتراضية، تتشكل دلالات ورمزيات العنف السياسي في تونس، حيث نُقِلت صورة حمّالة لأوجه متعددة من العنف، وفي ذلك إحالة إلى انتقاله من رافد إلى آخر، ساهمت الميديا الجديدة في شحنه برمزية تستدعي فكّ تشفيرها تنقّلا ومراوحة بين السوسيولوجي والسيميولوجي. فقد مثّل انتقال الفعل السياسي من المجال الكلاسيكي (اجتماعات حزبية، لقاءات وخطابات مباشرة في فترة نظام ما قبل 14

290 في الأصل هو لفظ مستوحى من اللغة الفرنسية ويستخدم في اللهجة الدارجة التونسية بمدلولاته الفرنسية التي تحيل إلى التشرد والتسول، غير انّ استخداماته في اللهجة المحلية تحيل إضافة إلى المعاني السابقة إلى كل ما له علاقة بالخروج عن القانون وممارسة العنف بأشكاله.

291 المقصود به القذارة والتقليل من قيمة الطرف المقابل.

292 كلمة تستخدم في اللهجة الدارجة التونسية تحمل معاني ودلالات التقليل من قيمة الطرف المقابل وربط تصرفاته وممارساته بكل ما هو متخلف، وهو توصيف يطلق من خلال دلالات المظهر الخارجي للباس والتصرفات.

293 المقصود بها الفساد الأخلاقي، المالي، السياسي...

جانفي 2011 وكذلك فترة ما بعد انتخابات 2011) إلى فضاء افتراضي عبر إنشاء صفحات فايسبوكية لأحزاب سياسية أو فواعل سياسية مثل صفحة عبير موسي[294]، سيف الدين مخلوف[295]، صفحة حركة النهضة، صفحة الرسمية لرئاسة الجمهورية...، دور في إحداث تحوّلات على دلالاته ورمزياته. هذا الانتقال رافقه وزاد من زخمه الاعتماد المكثّف على الفضاء الافتراضي من قبل الفواعل السياسية في تونس وهو ما أعطى دلالة أخرى للانخراط في الأحزاب السياسية، حيث حلّ عدد المعجبين بالصفحات الفايسبوكية محل المنخرطين في الأحزاب السياسية. كما يحيل عدد الفيديوهات المنشورة على صفحاتهم إلى حضورهم وتواجدهم داخل الميديا الجديدة ما ساهم في إضفاء دلالات أخرى على صورتهم، فالتقنيات الحديثة أعطت للسياسة في المجتمعات التقليدية تقنيات جديدة لتمثيل نفسها (بالمعنى الدرامي والمسرحي)، فتعززت بذلك العلاقة السببية بين إنتاج الصور و"المظاهر" من جهة أولى ومصير الحكّام وقدرتهم على إدارة صورهم من جهة ثانية[296].

ساهمت هذه التحولات في تغيير استراتيجيات الفعل السياسي في تونس من فعل اعتمد على تأثيرات الإعلام التقليدي للسيطرة على الأفراد، إلى فعل حيث يُختَزل الفعل السياسي في الاستراتيجيات الخطابية الكلامية والمشهدية التي تصبح السياسة نفسها (تطغى صورة السياسي على ما يجب أن يقوم به)[297]. وبذلك نكون قد انتقلنا من عنف رمزي وارد عبر الروافد الكلاسيكية في فترة كان احتكار وسائل الإعلام التقليدية من طرف النظام الحاكم عاملا مساعدا في توجيه المتلقي، إلى عنف رمزي وافد عبر "الميديا الجديدة" مورس من طرف فواعل سياسية وفواعل افتراضية عبر التفاعل بالتعليقات أو إعادة نشر الفيديو أو عبر التعليق بمجرّد رموز.

خاتمة

تعكس الخطابات والتعبيرات السياسية التي تناولناها في هذا البحث، مشهديّة رافقت هذا الفعل تعود إلى ما قبل 2011 نتجت عن تحكم السلطة في المؤسسات الإعلامية التقليدية، وصولا إلى ما بعده من خلال بروز دور الميديا الجديدة ودورها في انتقالية الفعل السياسي من الكلاسيكي إلى الافتراضي.

تركّز اهتمامنا في هذا البحث على مشهدية العنف السياسي وفي انتقال أشكاله وروافده وذلك على ثلاث مستويات. أوّلا، قمنا بقراءة وتحليل جملة المتغيرات والأساليب المُعتمدة من قبل نظام "زين العابدين بن علي" في سعيه الحفاظ على سلطته، فقد كرّس من اجل ذلك الأجهزة الإعلامية التقليدية موظّفا في ذلك العنف الرمزي من خلال شحن أغلب المواد الإعلامية برمزيات ودلالات تدعو ضمنيّا المتلقي مساندة النظام. ثانيا، تناولنا مشهدية راوحت بين استعمال رمزية المجال وهو ساحة باردو وما يضفيه من دلالات

294 الصفحة الرسمية لـ"عبير موسي" في موقع الفايسبوك يضم أكثر من 628 ألف معجب.
295 الصفحة الرسمية لـ "سيف الدين مخلوف" في موقع الفايسبوك يضم أكثر من 460 ألف معجب.
296 الحمامي، المرجع السابق، ص 261.
297 نفس المصدر، ص 10.

وتوظيف الميديا الجديدة من خلال نقل فيديوهات لاعتصام الرحيل والشرعية حينيّا، حيث رافق ذلك منسوب من العنف امتزج فيه اللفظي بالرمزي. ثالثا، وهي مرحلة شهدت نقلة نوعية للخطاب السياسي خاصة من خلال الاعتماد المكثف على الميديا الجديدة، حيث تحوّل الفعل السياسي من شكله الخطابي الركحي الى شكل افتراضي وأصبح لكل حزب سياسي وفاعل سياسي تقريبا صفحة خاصة به في الفضاء الافتراضي، لينتقل بذلك من عنف عبر وسائل الإعلام الكلاسيكية إلى عنف حيني ومباشر، عنف رمزي قابل للنشر وإعادة النشر عبر تداوله من قبل المؤيدين للطرف والطرف المقابل. حيث يفتح هذا التناول لمشهدية العنف السياسي في تونس الباب واسعا لمزيد التعمق في الإشكاليات المرتبطة بالميديا الجديدة وتأثيراتها على المتقبل في خضم ديناميكيات اجتماعية وتغيرات سياسية غير مسبوقة تشهدها تونس.

المراجع

العربية

- أنوار بوخرص (2011)، العنف السياسي في شمال افريقيا: مصاعب التحرر غير المكتمل. مركز بروكنجز، الدوحة.
- بيير بورديو، عن الدولة (2016)، دروس في الكوليج دو فرانس 1989–1992، ترجمة نصير مروة، سلسلة ترجمان، الطبعة الأولى، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت.
- جوزيف ميسنجر(2008)، لغة الجسد النفسية، ترجمة محمد عبد الكريم إبراهيم، منشورات دار علاء الدين، دمشق.
- حسين توفيق إبراهيم (1999)، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- خالد الحدّاد (2018)، السياسة الإعلامية في تونس: مراكز نفوذ صراع خلافة–سقوط نظام، المغاربية لطباعة وإشهار الكتاب، تونس.
- سعيد بنكراد(2006)، سيميائيات الصورة الاشهارية: الإشهار والتمثلات الثقافية، إفريقيا الشرق، المغرب.
- الصادق الحمامي (2022)، ديمقراطية مشهدية: الميديا والاتصال والسياسة في تونس. دار محمد علي الحامي للنشر، تونس.
- الصادق الحمامي(2012)، الميديا الجديدة: الابستيمولوجيا والإشكاليات والسياقات، المنشورات الجامعية بمنوبة، تونس.

- ماكس فيبر(2011)، العلم والسياسة بوصفهما حرفة، ترجمة جورج كتورة، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- مبارك حنون (1987)، دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، تونس.
- محسن البوعزيزي(2010)، السيميولوجيا الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- محسن البوعزيزي، السيميولوجيا والسوسيولوجيا، المقدّمة، العدد 1، الجمعية التونسية لعلم الاجتماع، تونس.
- منير السعيداني (2012)، يريد...ويبدع ما يريد...الشباب في الانتقال الديمقراطي بتونس، دار محمد علي للنشر، صفاقس.
- منى أباضة ، (2021)، تحول مشهدية الموضة في مصر المعاصرة، مجلّة بدايات، العدد 33.
- المولدي الأحمر (2018)،"الانتقال الأخر في الثورة التونسية النفوذ الاجتماعي والموارد والاعتبارات والقيم"، الثورات العربية: عُسر التحول الديمقراطي ومآلاته، المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات.
- المولدي قسومي (2020)، مجتمع الثورة وما بعد الثورة، الطبعة الاولى دار محمد علي الحامي، تونس.
- ميشال مافيزولي(2005)، تأمّل العالم: الصورة والاسلوب في الحياة الاجتماعية، ترجمة فريد الزاهي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر.

الأجنبية

- Barthes, Roland. *L'obvie et l'obtus*. France : édition du Seuil,1982.
- Barthes, Roland. Rhétorique de l'image, In : *Communications*, 4, (1964). accessed on 18/06/2022, at : http://bitly.ws/tPbu
- Bourdieu, Pierre. *Questions de sociologie*. Tunis : Cérès Productions, 1993.
- Braud, Philippe. *La violence politique dans les démocraties Européennes occidentales*. Harmattan , Paris 1993.
- Najar, Sihem. *Les réseaux sociaux sur Internet à l'heure des transitions démocratiques*. Tunis : IRMC-KARTHALA, 2013.
- Weber, Max. *Le savant et le politique*. Paris : Union Générale d'Éditions, 1963.

الأطر الخبرية لقضية القدس في المواقع الإلكترونية للصحف الفرنسية
دراسة تحليلية مقارنة

News Frames of Jerusalem Cause on French Newspapers Websites: A Comparative Analytical Study

أ. د. طلعت عبد الحميد عيسى
أستاذ الصحافة
الجامعة الإسلامية بغزة

أ. ماجدولين حسن عايش
باحثة في الإعلام الفرنسي
غزة – فلسطين

ملخص الدراسة:

هدفت الدراسة إلى تحليل الأطر الخبرية لقضية القدس في المواقع الإلكترونية للصحف الفرنسية والشخصيات المحورية وآليات التأطير المستخدمة، وهي دراسة وصفية، اعتمدت على منهج المسح الإعلامي ومن خلاله أسلوب تحليل المضمون على عينة من موقعي لوموند ولوفيغارو لمدة عامين هما 2021 و2022، وتم تحليل 112 موضوعاً حول قضية القدس 50 منها في موقع لوموند و62 في موقع لوفيغارو.

وكشفت النتائج تصدر الموضوعات الأمنية والعسكرية لقضية القدس مثل الاشتباكات والهجمات والقتل والطرد موقعي الدراسة، وتركزت أطر الصراع في أطر الاعتداءات الإسرائيلية، وركز الموقعان على الجيش الإسرائيلي ومستوطنيه كجهات مسؤولة عما يحدث في المدينة، كما تركزت النتائج المتوقعة على سيناريوهات سلبية للمستقبل مثل استمرار العنف، وتغيير الوضع القائم بالقدّس، وقلت كثيراً الحلول المقترحة لقضية القدس، مما يشير إلى إدراك الموقعين بتعقيد القضية وتعنت الاحتلال الإسرائيلي، وكانت أهم الحلول هي الدعوة إلى إنهاء العنف واستئناف المفاوضات، وظهر انحياز الموقعين للرواية الإسرائيلية من خلال التركيز على الاهتمامات الإنسانية والشخصيات الإسرائيلية، بالإضافة إلى المصطلحات والكلمات الدلالية التي يكثر الاحتلال الإسرائيلي من استخدامها مثل العمليات الإرهابية والهجمات المسلحة.

الكلمات المفتاحية: الأُطر الخبرية، لوموند، لوفيغارو، المواقع الإلكترونية للصحف الفرنسية، قضية القدّس.

Abstract:
The study aimed to analyze the news frames Jerusalem cause on the websites of French newspapers, the characters concentrated on, and the framing mechanisms used, It is a descriptive study, which relied on the media survey methodology and through it the content analysis on a sample of Le Monde and Le Figaro websites for two years, 2021 and 2022. 112 news articles on Jerusalem cause were analyzed, 50 of them on the Le Monde website and 62 on the Le Figaro website
The results revealed that the security and military issues of the Jerusalem cause, such as clashes, attacks, killings, and deportation, were at the forefront of the two study sites. The conflict frames focused on the Israeli aggressions frames. The websites considered the Israeli army and its settlers as responsible for what is happening in the city, the expected results focused on negative scenarios for the future such as the continuation of violence and changing the status quo in Jerusalem, there were no many suggested solutions, which indicates the awareness of the complexity of this cause and the intransigence of the Israeli occupation, The solutions were to call for an end to the violence and the resumption of negotiations.
A bias towards the Israeli narrative appeared by focusing on Israeli human interests and Israeli characters, idioms and semantics that the Israeli occupation frequently uses, such as terrorist operations and armed attacks.
Keywords: News Frames, Le Monde; le Figaro; French newspaper websites; Jerusalem Cause.

مقدمة:

أصبحت قضية القدس محل اهتمام العالم العربي والإسلامي، ومحور القضية الفلسطينية مُنذُ نشأتها، من خلالها تؤدي وسائل الإعلام دوراً بارزاً ومُهماً حول تسليط الضوء على الانتهاكات الإسرائيلية المُمنهجة تجاه المقدسيين بالقدّس، والأساليب العدائية المُتبعة ضدهم من تشريد وإخلائهم من منازلهم والاعتداء المستمر والمتكرر وهدم بيوتهم بادعاء عدم الترخيص وفرض ضرائب باهظة بحقهم، على أثرها يعيش الآلاف من العائلات المقدسية تحت التهديد بالطرد، وذلك ضمن مخططات الاحتلال لتهويد المدينة المقدسة وتفريغها من الفلسطينيين وبناء مُنشآت استيطانية، الأمر الذي طال الأماكن المقدسة واقتحام المسجد الأقصى ومنع المصليين من التواجد والصلاة فيه.

ويهتم الإعلام الفرنسي بكافة وسائله بالقضية الفلسطينية بصفتها واحدة من القضايا المركزية الساخنة في العالم، وبالذات ما يتعلق بمدينة القدس وما يحدث فيها من أحداث وقضايا مشتعلة، خاصةً المواجهات والمعاناة المتكررة التي يُعايشها الفلسطينيون في القدّس، من قبل الاحتلال الإسرائيلي، حيث أسهمت التغطية الإعلامية في تعزيز الرأي العام العالمي ضد انتهاكات الاحتلال والتي يُمارسها ضد الشعب الفلسطيني.

وتأتي هذه الدّراسة في محاولة للكشف عن كيفية تأطير الإعلام الفرنسي لقضية القدس، وما يحدث فيه من اعتداءات الاحتلال على المقدسات والسكان، من خلال تحليل مضمون موقعي أهم صحيفتين فرنسيتين وهما: لوموند ولوفيغارو لمدة عامين كاملين هما 2021 و2022.

أولاً: الإجراءات المنهجية:

1- أهم الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات القريبة من موضوع الدّراسة التي عثر عليها الباحثان، فقد تناولت عدد من الدّراسات منها: دراسة (نزار، 2022) والتي هدفت إلى التعرف على كيفية معالجة قضية حي الشيخ جراح في الصحافة الإلكترونية العربية من خلال تحليل مضمون لصحيفة القدس العربي ومدى مصداقيتها في نقل الأخبار، وتوصلت الدراسة إلى أن الصحيفة ركزت على الأهداف التي تسعى لإبرازها من خلال معالجتها لقضية حي الشيخ جراح، وأهمها فضح جرائم الاحتلال والمستوطنين وخطر التهجير القسري على سكان حي الشيخ جراح[298].

وهدفت دراسة (ريناوي، 2022) إلى معرفة كيفية اعتماد الصحفيين على صحافة الموبايل في تغطيتهم خلال أحداث "هبة القدس عام 2021"، وتوصلت الدراسة إلى وجود دور رئيس لصحافة الموبايل في تغطية الأخبار وصناعة القصة الرقمية في شرقي القدس المحتلة، وأنها وسيلة تكنولوجية يستخدمها الصحفيون لمواصلة تغطيتهم لكنها تعرض سلامتهم الشخصية للخطر[299].

وتناولت دراسة (بركة، 2022) قضايا التهويد في مدينة القدس في المواقع الإلكترونية الفلسطينية، وتوصلت إلى أن مواقع الدراسة اهتمت بقضية تهويد المرافق العامة تلتها قضية الاستيطان في المدينة، واعتمدت على الأساليب المنطقية في معالجة هذه القضايا، وأن المصادر الرسمية الفلسطينية تصدرت مصادر المواقع، واعتمدت مواقع الدراسة على الخبر الصحفي تلاه التقرير[300].

أما دراسة (بوسعيد، وساعد، 2022) فهدفت إلى كشف الصلة الوثيقة بين طريقة تغطية الأخبار في منصات التواصل ودورها في نشر وإبراز قضية الشيخ جراح بالقدس، وتبين مساهمة صفحة فيسبوك "أنقذوا حي الشيخ جراح" في دعم ومساندة أهالي الحي والوقوف معهم في إيصال قضيتهم للعالمية من زيادة الوعي العالمي حول القضية الفلسطينية، ما أدى إلى تضامن عدد كبير من النُخب والمشاهير العالميين مع أصوات الفلسطينيين[301].

في حين هدفت دراسة (صقر، 2021) إلى التعرف على عدد من وسائل الإعلام العربية والأجنبية بقضية حي الشيخ جراح بالقدس، ومدى تأثير القوى الفاعلة في حل القضية، وتبين أن "إطار الأزمة" احتل المرتبة الأولى حيث تم نشر عدد 354 موضوعاً بنسبة 35.61%، تلاه "إطار الصراع والعنف"، ثم إطار النتائج المترتبة[302]، وتناولت دراسة (Al Bzour, Anzeh, 2021) تأطير التمثيل الفلسطيني الإسرائيلي في الخطاب الإعلامي الغربي ممثلاً بصحيفة الإندبندنت البريطانية

([298]) ريحانة نزار، المعالجة الإعلامية لقضية حي الشيخ جراح في الصحافة الإلكترونية العربية: دراسة تحليلية لجريدة القدس العربي اللندنية، **رسالة ماجستير**، جامعة صالح بوبنيدر، قسنطينة 3، الجزائر، 2022.

([299]) كريستين ريناوي، دور صحافة الموبايل في تغطية المناطق المحتلة وصناعة القصة الرقمية: القدس الشرقية المحتلة كحالة، **رسالة ماجستير**، جامعة القدس، فلسطين، 2022.

([300]) عبد الهادي بركة، معالجة المواقع الإخبارية الإلكترونية الفلسطينية لقضايا التهويد لمدينة القدس: دراسة تحليلية مقارنة، **رسالة ماجستير**، الجامعة الاسلامية بغزة، فلسطين، 2022.

([301]) ليلى بوسعيد، والخادم ساعد، دور منصات التواصل الاجتماعي في دعم قضية الشيخ جراح بالقدس: صفحة فيسبوك أنقذوا حي الشيخ جراح أنموذجاً، **رسالة ماجستير**، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر 2022.

([302]) غادة صقر، تغطية الصحف لقضية حي الشيخ الجراح بالقدس: دراسة تحليلية على بعض الصحف (الأهرام- cnn بالعربي – فلسطين)، **المجلة المصرية لبحوث الرأي العام**، جامعة القاهرة، مصر، 20(3ج1)، 2022، 231-252.

في أعقاب إعلان ترامب القدس عاصمة لإسرائيل، وتوصلت إلى الصحيفة استخدمت ممارسات منطقية مختلفة، وتقنيات تخفيض الحدة، والتعبيرات الملطفة، لرسم علاقات قوة هيكلية بين الصوت الأمريكي داخل المجموعة لنزع الشرعية عن شعور الفلسطينيين بسيادة القدس.

وحاولت دراسة (محمد، 2020) رصد أسباب اعتماد الشباب الجامعي العربي على الوسائل الإلكترونية العربية والعالمية في متابعة القرارات الأمريكية بشأن القدّس، وتبين عدم تأثير المتغيرات الديموجرافي للمبحوثين في تقييمهم لمصداقية وسائل الإعلام سواء العربية أو العالمية[303]، أما دراسة (عوايص، 2020) فهدفت إلى تحليل التغطية الإخبارية والخطاب الإعلامي لفضائية فلسطين حول موضوع القدس ودرجة اهتمامها بقضايا القدس كماً ونوعاً، واتضح أن الفضائية لم تقدم خطاباً إقليمياً أو دولياً أو حتى إنسانياً، واقتصر خطابها على شكل تعبوي نحو المواجهة أشبه بخطابات انتفاضة الحجارة الموجهة للجماهير، مع غياب كامل للخطاب القانوني، أو لغة الأرقام الرسمية، وتغلب الكليشيهات[304].

وهدفت دراسة (Mischler and Friedman, 2020) إلى دراسة أنماط إلقاء المسؤولية الأخلاقية والتأطير الإعلامي عند فشل المفاوضات في الشرق الأوسط في وسائل إعلام أمريكية وفرنسية وإسرائيلية وروسية وعربية، وأظهرت النتائج أن معظم إلقاء المسؤولية المستند إلى العمل تم تأطيره بشكل عرضي، وأن تغطية الموضوعات المتعلقة بفشل المفاوضات عززت التوصيف السلبي للجهات الفاعلة الأخرى، بدلاً من تمكين معلومات سياقية مختلفة للسماح بإعادة تقييم الأحداث[305].

أما دراسة (Sevón, 2020) فحاولت تحديد تأثير التغيير في السياسة على تأطير وسائل الإعلام الأمريكية لإسرائيل بعد الاعتراف بالقدس كعاصمة، وتبين وجود هذا التأثير حيث اعتبرت وسائل الإعلام الأمريكية إسرائيل أكثر قوة في الساحة الدولية وفي التحالف مع الولايات المتحدة، وتم عرض قرارات إسرائيل في وسائل الإعلام التي لم تنتقدها أو تختلف معها[306].

في حين تناولت دراسة (عيسى، ورضوان، 2019) اعتماد الشباب الفلسطيني على صحافة الهاتف المحمول مصدراً لأخبار انتفاضة القدّس وأسباب هذا الاعتماد ودوافعه، والتأثيرات المعرفية والوجدانية والسلوكية الناتجة عن هذا الاعتماد، وتوصلت الدّراسة إلى أن المبحوثين يعتمدون على صحافة الهاتف المحمول بدرجة عالية في أوقات الأزمات، بينما يثقون في أخبارها في أوقات الأزمات بنسبة 72.2%[307]، واستكشفت دراسة (غبن، 2019) الأُطر الخبرية لانتفاضة القدس في المواقع الإلكترونية للصحف الأمريكية، ومدى اهتمام هذه المواقع بتغطية انتفاضة القدس، واتضح من نتائجها أن موقعا الدراسة اعتبرا الفلسطينيين مسؤولين بالدرجة الأولى عن انتفاضة القدس، وأن السبب الرئيس في اندلاع الانتفاضة هو التحريض الإعلامي الفلسطيني[308].

([303]) منى محمد، مصداقية وسائل الإعلام الإلكترونية العربية والعالمية لدى الشباب الجامعي العربي في تغطية القرار الأمريكي بالاعتراف بالقدس عاصمة إسرائيل ونقل سفارتها إليها: دراسة ميدانية، **المجلة العلمية لبحوث الصحافة**، جامعة القاهرة، مصر، 20(20)، 2020، 307-385.

([304]) إيهاب عوايص، الارتباطات السياسية في فضائية فلسطين وأثرها على التغطية الإخبارية مفهوم القدّس، **مجلة الثقافة الإسلامية والإنسانية**، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، ماليزيا، 22(1)، 2020، 110-138.

(305) Mischler, A., & Friedman, E. (2020). The 'blame game frame': Ethical blame patterns and media framing upon negotiations failure in the Middle East. *Journalism*, 21(9), 1192-1211.

(306) Sevón, M., Frame Change Due to Policy Change: A Corpus Study of the Changing Frame of Israel in the US Media After Jerusalem Was Recognized as Capital, *Master thesis*, University of Turku, Finland, 2020.

([307]) طلعت عيسى، وسائد رضوان، اعتماد الشباب الفلسطيني على صحافة الهاتف المحمول مصدراً لأخبار انتفاضة القدس: دراسة ميدانية، **مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية**، غزة، فلسطين، 27(4)، 2018، 347-375.

([308]) يوسف غبن، الأطر الخبرية لانتفاضة القدس في المواقع الإلكترونية للصحف الأمريكية: دراسة تحليلية مقارنة، **رسالة ماجستير**، الجامعة الاسلامية بغزة، فلسطين، 2019.

أما دراسة (Arandas,and others, 2018) فحاولت التعرف على تأطير الإعلام الفلسطيني لرد فعل الرئيس عباس على قضية نقل سفارة الولايات المتحدة من تل أبيب إلى القدس، وكشفت النتائج أن تغطية المواقع الإخبارية الفلسطينية لموقف الرئيس عباس كانت إيجابية له، وأن تغطية وكالة معاً كانت أقل اهتماماً من المركز الفلسطيني للإعلام[309].

وحاولت دراسة (محمد ، 2018) التعرف على الأطر المرجعية التي استند عليها خطاب صحف واشنطن بوست ويديعوت أحرونوت والأهرام نحو قضية القدس، وتوصلت إلى أن أُطر الأحداث والشواهد من الواقع كانت أبرز الأطر المرجعية بنسبة 30.4%، تلاها السياسية، وأخيراً التاريخية[310].

في حين هدفت دراسة (رمضان، 2015) إلى التعريف بالخلفية التاريخية والسياسية لمدينة القدّس، بالإضافة إلى الكشف عن مضمون الخطاب الإعلامي العربي تجاه مدينة القدس وبالأخص صحيفة الرأي الأردنية، من خلال تحليل النصوص والمضامين الإعلامية، وتوصلت إلى أن أكثر المصطلحات استخداماً في التغطية الإعلامية لصحيفة الرأي الأردنية حول مدينة القدس كان المسجد الأقصى بنسبة 32.6%، يليه مصطلح الوصاية ثم مصطلح التنديد[311]، وهدفت دراسة (متى ، 2013) إلى تحليل أُطر تقديم القضايا العربية في المواقع الإخبارية الناطقة بالفرنسية، مشتملة على أُطر رئيسة وشخصيات محورية وسمات كل منهم، حيث ظهرت السمات الإيجابية في القضية المصرية والتونسية والليبية، بينما ظهرت السمات السلبية في القضية السورية[312].

وتناولت دراسة (Schweitzer, 2011) التغطية الإعلامية للنزاع الإسرائيلي والفلسطيني في الولايات المتحدة وفرنسا، وقال المبحوثون في كلا البلدين أن التغطية الإخبارية للنزاع تقدم في معظم الأحيان تحيزًا مؤيدًا لإسرائيل، وأن الطلاب أصبح أكثر وعيًا بالصراع من خلال أفعالهم وآرائهم، ويمكنهم تحدي وسائل الإعلام وتحسين التغطية الإخبارية للنزاع الإسرائيلي والفلسطيني[313].

2- مشكلة الدراسة:

تتمثل مُشكلة الدّراسة في التعرف على أهم الأُطر الخبرية الخاصة بقضية القدس في المواقع الإلكترونية للصحف الفرنسية، مِنْ خِلال معرفة مدى اهتمام هذه المواقع بهذه القضية، وترتيب أولويات موضوعات قضية القدس فيها، وأُطرها الخبرية (أطر الصراع، الجهات المسؤولة، الأسباب، النتائج، الحلول، والاهتمامات الإنسانية)، والشخصيات المحورية، وآليات وأدوات التأطير التي استخدمتها، وأوجه الشبه والاختلاف بين تِلك المواقع في تأطيرها لقضية القدّس.

3- أهمية الدراسة:

(309) Arandas, M. and others, Framing the Reaction of President Abbas on the Issue of Moving the US Embassy from Tel Aviv to Jerusalem. *e-Bangi*, 15(5), 2018, 181-192.

(310) أحمد محمد، الخطاب الصحفي نحو قضية القدس بعد إعلان ترامب 2017: دراسة تحليلية مقارنة لمواقع (الواشنطن بوست ويديعوت أحرونوت والأهرام) **المجلة المصرية لبحوث الرأي العام**، جامعة القاهرة، مصر، 18(4)، 2018، 1-56.

(311) حذيفة رمضان، القدس في الخطاب الإعلامي العربي صحيفة الرأي الأردنية نموذجاً، **رسالة ماجستير**، جامعة القدس، فلسطين، 2015.

(312) فلورا متى، أطر تقديم القضايا العربية على المواقع الإخبارية الفرنسية على الإنترنت: دراسة مقارنة، **المجلة العربية لبحوث الاعلام والاتصال**, جامعة الأهرام الكندية، القاهرة، مصر، 3(3), 2013، 174-189.

(313) Schweitzer, J., The media coverage of the Israel and Palestine conflict in the United States and in France, *Doctoral dissertation*, Oklahoma State University, 2011.

أ. أهمية قضية القدس ومركزيتها في القضية الفلسطينية، حيث أنها من القضايا الأساسية في الصراع، وتسهم بشكل كبير في تهدئة أو إشعال الأوضاع السياسية والأمنية في المنطقة برمتها.

ب. الدور المركزي لموقعي الدراسة والإعلام الفرنسي بشكل عام، والاهتمام بموضوعات قضية القدّس، وتأثيرها على الرأي العام الفرنسي، الأمر الّذي يُساعد على فَهم مواقف الإعلام الفرنسي منها.

ج. تُعدّ مرجعاً علمياً حديثاً للباحثين والدارسين عامةً والمهتمين بالشأن الفرنسي خاصةً فِي مجال الإعلام، وذلك من خِلال عرضها لأطر الصِراع ، وأطر الاهتمامات الإنسانية ، وأدوات وآليات التأطير المتعلقة بِموضوعات قضية القدّس في المواقع الإلكترونية للصحف الفرنسية .

4- أهداف الدراسة وتساؤلاتها:

تهدف الدّراسة بشكل رئيس إلى التعرف على الأُطر الخبرية لقضية القدّس في المواقع الإلكترونية للصحف الفرنسية، ووضع الباحثان مجموعة من التساؤلات تحقق الإجابة عليها هذا الهدف، وهي:

أ. ما ترتيب أولويات موضوعات قضية القدّس في المواقع الإلكترونية للصحف الفرنسية؟

ب. ما الأُطر الخبرية الّتي استخدمتها المواقع الإلكترونية للصحف الفرنسية مع موضوعات قضية القدّس (أطر الصراع، الجهات المسؤولة، الأسباب، النتائج، الحلول، والاهتمامات الإنسانية)؟

ج. ما الشخصيات المحورية الّتي ركزتْ عليها المواقع الإلكترونية للصحف الفرنسية مع موضوعات قضية القدّس؟

د. ما آليات وأدوات التأطير المستخدمة في المواقع الإلكترونية للصحف الفرنسية مع موضوعات قضية القدّس؟

هـ. ما أوجه الاتفاق والاختلاف في التأطير الخبري لموضوعات قضية القدس في المواقع الإلكترونية للصحف الفرنسية؟

5- الإطار النظري للدراسة:

استخدم الباحثان نظريتان، الأولى: نظرية ترتيب الأولويات، حيث تشير النظرية إلى أن القائمين بالاتصال في وسائل الإعلام يختارون بعض الموضوعات التي يتم التركيز عليها والتحكم في طبيعتها ومحتواها، الأمر الذي يؤدي إلى إثارة اهتمام الناس فيها تدريجياً، وبالتالي تمثل هذه الموضوعات أهمية أكبر من غيرها لدى الجماهير[314]، حيث تعد الأجندة محصلة خيارات عديدة للتعبير عن اهتمام الوسائل الإعلامية بترتيب المواد بما يعبر عن اهتمامها بها[315].

واستفاد الباحثان من هذه النظرية في التعرف على ترتيب موضوعات قضية القدس وترتيب الأطر الخبرية لهذه القضية وبعض الأطر مثل أطر النتائج والأسباب والحلول، وترتيب الشخصيات المحورية لهذه القضية في المواقع الإلكترونية للصحف الفرنسية.

كما اعتمد الباحثان على نظرية الأطر الخبرية، التي تسمح للباحث بقياس المحتوى الضمني للرسائل الإعلامية التي تعكسها وسائل الإعلام، وتقدم تفسيراً منتظماً لدور وسائل الإعلام في تشكيل الأفكار والاتجاهات حيال القضايا المطروحة،

([314]) حسن مكاوي، وليلى السيد، **الاتصال ونظرياته المعاصرة**، ط1، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1998، 288.
([315]) محمد عبد الحميد، **نظريات الإعلام واتجاهات التأثير**، ط3، القاهرة: عالم الكتب، 2004، 341 -342.

وتفترض النظرية أن الصحفيين يسعون لتبسيط الأحداث وترتيبها ضمن أولويات معينة وفقاً لأطر خبرية يختارونها عن قصد، ومن ثم يصدرون معلومات وحقائق محددة ويعطونها نوعاً من الأولوية والإبراز لتشكيل اتجاه معين لدى الجمهور المتلقي[316].

ويرى روبرت انتمان أن وظائف تحليل الإطار تتمثل في التعرف على القضية والمشكلة، وتشخيص أسباب المشكلة والقوى الفاعلة المسببة لها، ووضع تقييمات أخلاقية للعوامل المسببة للمشكلة، وطرح حلول وعلاج للمشكلة[317]، ومن أهم الأطر الخبرية البارزة في التغطيات الإعلامية للقضايا المهمة، إطار الصراع، وإطار الاهتمامات الإنسانية، وإطار النتائج الاقتصادية، والإطار الأخلاقي، وإطار المسؤولية، وإطار الاستراتيجية[318]، حيث قام الباحثان بتوظيف النظرية في التعرف على عدد من هذه الأطر بالإضافة إلى الشخصيات المحورية في القضية، وأبرز آليات التأطير المستخدمة.

6- نوع الدراسة ومناهجها وأداتها:

أ- نوع الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على البحوث الوصفية، التي تهدف إلى وصف الظواهر والتعرف على عناصرها ومكوناتها عن طريق جمع البيانات وتحليلها وتفسيرها بما يتيح تقديم صورة دقيقة وموضوعية عن الظاهرة[319]، ويستخدم الباحثان هذا النوع من البحوث ليساعد على تقديم وصف دقيق لموضوعات قضية القدّس التي رسمتها المواقع الإلكترونية للصحف الفرنسية.

ب- منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على منهج الدراسات المسحية الذي يعد جهداً علمياً منظماً للحصول على بيانات ومعلومات وأوصاف عن الظاهرة موضوع البحث[320]، ومن خلال منهج المسح الإعلامي يستخدم الباحثان أسلوب تحليل المضمون، وهو "مجموعة الخطوات المنهجية التي تسعى إلى اكتشاف المعاني الكامنة في المحتوى، والعلاقات الارتباطية بهذه المعاني من خلال البحث الكمي الموضوعي المنظم للسمات الظاهرة في هذا المحتوى"[321]، ويسهم هذا الأسلوب في الكشف عن طريقة تأطير المواقع الإلكترونية للصحف الفرنسية لموضوعات قضية القدّس.

كما استخدم الباحثان أسلوب المقارنة المنهجية للمقارنة بين المواقع الإلكترونية للصحف الفرنسية عينة الدراسة في تأطير قضية القدّس.

ج- أداة الدراسة:

([316]) بسام المشاقبة، **نظريات الإعلام**، ط1، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2011، 81.

(317) Entman, R., Framing Toward Clarification of Fractured Paradigm, *Journal of Communication*, 43 (4), 1993, 51-58.

(318) Tankard, J., The Empirical Approach to the Study of Media Framing. In *Framing public life*, Routledge, 1st Ed, 2001, 95.

([319]) محمد حجاب، **أساسيات البحوث الإعلامية والاجتماعية**، ط2، القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، 2003، 80.

([320]) سمير حسين، **دراسات في مناهج البحث العلمي: بحوث الإعلام**، ط2، القاهرة: عالم الكتب، 2006، 147.

([321]) محمد عبد الحميد، **بحوث الصحافة**، ط1، القاهرة: عالم الكتب، 1998، 132.

استخدم الباحثان أداة وحيدة هي استمارة تحليل المضمون التي تم تصميمها وفقاً لفئات التحليل التي تم تحديدها استناداً إلى تساؤلات الدّراسة واستمارات الدراسات القريبة، وانقسمت إلى فئات تحليل المضمون، وفئات تحليل الأطر الخبرية، وذلك على النحو الآتي:

ج/1 فئة موضوعات القدس، وتشمل: القتل وينقسم إلى "قتل فلسطينيين، قتل إسرائيليين"، الطعن، الدهس، اعتقال، اشتباك، مظاهرات، اقتحام، اعتداء، هجوم، طرد فلسطينيين، هدم منازل الفلسطينيين، وأخرى.

ج/2 فئات تحليل الأُطر الخبرية: وتتضمن:

1 – أطر الصراع وتتمثل في: "أُطر الاعتداءات الإسرائيلية، وأُطر عمليات المقاومة الفلسطينية".

2– أطر الجهات المسؤولة: وتنقسم إلى إسرائيليين، وتتمثل في: "الجيش، المستوطنين، وأخرى"، وإلى فلسطينيين وتتمثل في: "السلطة، الفصائل، الشعب، وأخرى".

3– أطر الأسباب: وتتضمن: "الاحتلال الإسرائيلي، السيطرة على المسجد الأقصى، التحريض الإعلامي، العمليات الفدائية، الاستيطان، الإرهاب، التحريض الإعلامي، وأخرى".

4– أطر النتائج: وتحتوى على "تدمير المسيرة السلمية، صِراع عقائدي، تغيير الوضع القائم، استمرار العنف، فشل المفاوضات، وأُخرى".

5– أطر الحلول: وتنقسم إلى إسرائيلية: وتشمل: "استئناف المفاوضات، رفع القيود على العبادة، وأخرى" وفلسطينية: وتشمل على: "وقف أعمال المقاومة، إقامة دولة فلسطينية، نشر قوات دولية، وأخرى".

6– أُطر الاهتمامات الإنسانية: وتنقسم إلى: "فلسطينية، وإسرائيلية".

ج/3 فئة الشخصيات المحورية: وتتمثل في: "عربية، دولية، فلسطينية، وإسرائيلية" .

ج/4 فئة أدوات وآليات التأطير: وتشتمل على: "معلومات وخلفيات تاريخية، أخبار وبيانات صحفية سابقة، اقتباسات، عناوين رئيسة، كلمات دلالية، التكرار، الإبراز، وأخرى".

7– مجتمع الدراسة وعينتها:

يضم مجتمع الدراسة جميع المواقع الإلكترونية للصحف الفرنسية، وتتضمن صحف لوموند، لوفيغارو، لوباريسيان، ليبراسيون، وصحف أخرى، واختار الباحثان موقعي أشهر صحيفتين في فرنسا، وأكثر موقعين متابعة لدى الجمهور حسب موقع (similarweb) المتخصص[322]، هما موقعا صحيفة لوموند (www.lemonde.fr)، وصحيفة لوفيغارو (www.lefigaro.fr)، وذلك كعينة للدراسة، حيث تم حصر كل موضوعات قضية القدس في هذين الموقعين خلال عامين كاملين من بداية سنة 2021 وحتى نهاية سنة 2022م، وبلغت هذه المواد الصحفية التي تم تحليلها 112 مادة صحفية.

8– وحدات التحليل والقياس:

(322) *Similarweb*, https://www.similarweb.com/top-websites/france/category/news-and-media. Retrieved 14 March, 2023.

تمثلت وحدات تحليل مضمون موضوعات المقاومة الفلسطينية في المواقع الإلكترونية للصحف الفرنسية في: الوحدة الطبيعية للمادة الإعلامية ووحدة الفكرة أو الموضوع، ووحدة الشخصية، واستخدم الباحثان أسلوب العد والتكرار كوحدة قياس.

9- إجراءات الصدق والثبات:

استخدم الباحثان وسيلتين للتأكد من صدق الأداة تمثلت الأولى في تعريف فئات تحليل المضمون تعريفاً دقيقاً وهو ما يساعد في دقة النتائج وصدقها، والثانية في تحكيم الأداة من قبل مجموعة من الخبراء والمختصين في الموضوع، وتم الاستفادة من ملاحظاتهم في تعديل بعض الفئات وتعريفاتها حتى استقرت الاستمارة في الشكل الملائم للتطبيق[323].

ويسهم اختبار الثبات في التأكد من درجة الاتساق العالية لأداة الدراسة، والوصول إلى نفس النتائج بتكرار تطبيق المقياس على نفس الأفراد في نفس المواقف أو الظروف، ومن أساليبه إعادة الاختبار بعد مرور فترة زمنية[324]، وهو الأسلوب الذي لجأ إليه الباحثان، حيث تم إعادة تحليل عينة عشوائية بعد مرور ثلاثة أسابيع على التحليل الأول، على عينة عشوائية بسيطة بلغت 11 مادة صحفية لموضوعات قضية القدس في موقعي الدراسة (5 في موقع لوموند، و6 في موقع لوفيغارو)، بما نسبته 10% تقريباً من العينة الأصلية والتي بلغت 112 مادة صحفية.

وتبين من اختبار الثبات على عينة موقع لوموند، أن فئة موضوعات القدّس في التحليل الأول وإعادة التحليل كانت متفقة بنسبة 96%، وفئة الأُطر بنسبة 92.3%، وفئة الأسباب بنسبة 95.2%، وفئة النتائج والشخصيات بنسبة 92.3% لكل منهما، فيما كانت نسبة الاتفاق 100% في بقية الفئات، وهي : فئة الجهات المسؤولة وفئة الحلول وفئة أدوات وآليات التأطير، وبذلك تبلغ نسبة الثبات في موقع لوموند: (96 +92.3 +100+ 95.2 + 92.3 +100+ 92.3+100)/8 = 96%، وبنفس الطريقة تم حساب نسبة ثبات التحليل في موقع لوفيغارو، والتي بلغت 97.3%، أما نسبة الثبات في موقعي الدّراسة فتبلغ (96 + 97.3) /2 = 96.6% .

ثانياً: نتائج الدارسة التحليلية:

يستعرض الباحثان نتائج الدراسة التحليلية التي أجريت على المواقع الإلكترونية للصحف الفرنسية متمثلة في موقع صحيفة لوموند وموقع صحيفة لوفيغارو لمدة سنتين، في المدة بين 2020/1/1م وحتى 2021/12/31م.

1- عدد المواد الصحفية:

(323) قام بتحكيم استمارة التحليل التالية أسماؤهم:
- د. أيمن أبو نقيرة، أستاذ الصحافة المشارك، الجامعة الإسلامية بغزة
- د. موسى طالب، أستاذ الإعلام المشارك، جامعة الأزهر غزة
- د. عمرو أبو جبر، أستاذ الإعلام المشارك، جامعة فلسطين غزة
- د. رجاء أبو مزيد، أستاذ الإعلام المساعد، الجامعة الإسلامية بغزة

(324) محمد عبد الحميد، **البحث العلمي في الدراسات الإعلامية**، ط1، القاهرة: عالم الكتب، 2000، 419.

جدول (1) عدد المواد الصحفية لموضوعات المقاومة الفلسطينية في موقعي الدراسة

الموقع / عدد المواد الصحفية	لوموند		لوفيغارو		الاتجاه العام	
	ك	%	ك	%	ك	%
	50	44.6	62	55.4	112	100

بلغ عدد موضوعات قضية القدّس في مواقع الصحف الفرنسية عينة الدراسة 112 موضوعاً، وهو ما يشير إلى اهتمام متوسط من كلا الموقعين، وكان الاهتمام متقارباً بينها، حيث وصل عدد الموضوعات إلى 62 موضوعاً في لوفيغارو الذي جاء أولاً في الاهتمام بنسبة 55.4%، فيما بلغ عددها في موقع لوموند 50 موضوعاً بنسبة 44.6%.

2- ترتيب الموضوعات:

جدول (2) ترتيب موضوعات المقاومة الفلسطينية في موقعي الدراسة

الموقع / الموضوعات	لوموند		لوفيغارو		الاتجاه العام	
	ك	%	ك	%	ك	%
اشتباك	19	22.1	22	17.6	41	19.4
هجوم	6	7	19	15.2	25	11.8
طعن	2	2.3	21	16.8	23	10.9
قتل فلسطينيين	6	7	16	12.8	22	10.4
أخرى	9	10.5	12	9.6	21	10
طرد فلسطينيين	11	12.8	7	5.6	18	8.5
اعتقال	9	10.5	8	6.4	17	8.1
قتل إسرائيليين	5	5.8	10	8	15	7.1
مظاهرات	9	10.5	1	0.8	10	4.7
اعتداء	4	4.7	5	4	9	4.3
هدم منازل الفلسطينيين	2	2.3	4	3.2	6	2.8
اقتحام	3	3.5	0	0	3	1.4
إغلاقات أمنية	1	1.2	0	0	1	0.5

المجموع	86	100	125	100	211	100

تُشير بيانات الجدول السابق إلى أن موقعي الدّراسة اهتما بموضوعات قضية القدّس بنسب متفاوتة، حيث حصلت موضوعات القدّس في موقع لوفيغارو على 125 تكراراً، بينما حصل موقع لوموند على 86 تكراراً، وجاء في مُقدمة موضوعات القدّس اشتباك في الترتيب الأول بنسبة 19.4%، تلاه هجوم بنسبة 11.8%، ثم طعن بنسبة 10.9%، وجاء قتل فلسطينيين بنسبة 10.4%، وحصلت موضوعات أخرى على نسبة 10%، وحصل موضوع طرد فلسطينيين على نسبة 8.5% وجاء موضوع اعتقال بنسبة 8.1%، فيما حصل موضوع قتل إسرائيليين على نسبة 7.1%، فيما جاءت بقية الموضوعات ومنها مظاهرات واعتداء وهدم منازل الفلسطينيين واقتحام وإغلاقات أمنية بنسب قليلة.

وقد حصل موضوع اشتباك بموقع لوموند على الترتيب الأول بنسبة 22.1%، فيما حصل على نفس الترتيب في موقع لوفيغارو بنسبة 17.6%، وذلك يُشير إلى أن موقعي الدّراسة تناولا موضوع الاشتباك بنفس الاهتمام، حيث تزامنت مدة الدراسة مع حدوث مجموعة من اعتداءات من الاحتلال على الفلسطينيين والمسجد الأقصى، ومحاولة منعهم من التواجد في ساحات المسجد الأقصى، وتهجير السكان الفلسطينيين في حي الشيخ جراح بالقدس المحتلة، وأسفرت هذه الأحداث عن تصدي الفلسطينيين للاعتداءات المتلاحقة وحدوث اشتباكات بين المقاومين الفلسطينيين والاحتلال الإسرائيلي في القدّس المحتلة، بذلك أسهم الموقعان بصورة فعّالة من خلال تغطيته للأحداث.

وجاء موضوع هجوم بموقع لوفيغارو على الترتيب الأول بنسبة 15.2% بينما حصل موقع لوموند على نسبة 7%، ويُشير هذا الأمر إلى تركيز موقع لوفيغارو على هذا الموضوع، إذ صورت الفعل الفلسطيني في إطار الهجوم والاعتداء، والفعل الإسرائيلي في إطار الدفاع عن النفس من خلال ما يتعرض له الفلسطينيين وتسليط الضوء على الجرائم المرتكبة بحقهم، والدفاع عن أنفسهم.

كما حصل موضوع طعن بموقع لوفيغارو على نسبة 16.8%، بينما جاء بفارق كبير بموقع لوموند على نسبة 2.3%، ويُشير ذلك برأي الباحثين إلى اعتماد موقع لوفيغارو على المراسل الخاص الذي يسمح بمتابعة الأحداث عن قرب.

أما موضوع قتل الفلسطينيين فجاء بنسبة 12.8% في موقع لوفيغارو وبنسبة 7% في موقع لوموند، وجاءت أعداد القتلى في الفلسطينيين أعلى من الإسرائيليين نظراً لاستخدام القوة والعنف من قبل الاحتلال الإسرائيلي مع ردات الفعل للأحداث على أرض الواقع.

وجاءت بعض الموضوعات المتفرقة الأخرى بموقع لوموند بنسبة 10.2%، بينما في موقع لوفيغارو بنسبة 9.6%، ومن هذه الموضوعات: "الاعتراف بالقدس عاصمة موحدة لإسرائيل، والتحذيرات من زيارة اليهود لساحة المسجد الأقصى، ومحادثات دولية لبحث التوترات في القدس، ومسيرة الأعلام في القدس، وتصريحات السلطة الفلسطينية بشأن الانتهاكات، وتأجيل الانتخابات الفلسطينية بسبب القدس، وغيرها.

كما حصل موضوع طرد الفلسطينيين بموقع لوموند على نسبة 12.8% وحصل موقع لوفيغارو على نسبة 5.6%، ويُشير ذلك برأي الباحثين إلى إبراز الموقعين لمحاولات الاحتلال الإسرائيلي فرض السيطرة على مدينة القدس، وتفريغها من سكانها الأصليين، وطردهم من بيوتهم وتهجيرهم منها بهدف الاستيلاء عليها بالقوة.

وحصلت موضوعات: اعتقال، وقتل إسرائيليين، ومظاهرات، واعتداءات، وهدم منازل الفلسطينيين، واقتحامات، وإغلاقات أمنية، على نسب متفاوتة ومختلفة من حيث اهتمام الموقعين.

3- أطر الصراع:

جدول (3) أُطر الصراع لموضوعات قضية القدّس في موقعي الدراسة

الموقع / أطر الصراع	لوموند		لوفيغارو		الاتجاه العام	
	ك	%	ك	%	ك	%
أُطر الاعتداءات الإسرائيلية	42	84	47	61.8	89	70.6
أُطر عمليات المقاومة الفلسطينية	8	16	29	38.2	37	29.4
المجموع	**50**	**100**	**76**	**100**	**126**	**100**

اتضح من الجدول السابق تصدر أُطر الاعتداءات الإسرائيلية لموضوعات قضية القدّس بموقعي الدّراسة بنسبة 70.6%، بينما حصل أُطر عمليات المقاومة الفلسطينية على نسبة 29.4%.

ويعتقد الباحثان أن حصول أُطر الاعتداءات الإسرائيلية في الموقعين وبنسب مُتقاربة يؤكد أن كلا الموقعين يُدركان أن السبب الرئيس لقضية القدس هو اعتداءات الاحتلال الإسرائيلي وإجراءاته القمعية التعسفية ضد الشعب الفلسطيني في القدس وتدنيس المسجد الأقصى.

وحصل أُطر عمليات المقاومة الفلسطينية بموقع لوفيغارو على نسبة 38.2%، بنسبة أكثر من الضعف في موقع لوموند، ويشير ذلك من وجهة نظر الباحثيّن إلى تحيز موقع لوفيغارو للرواية الإسرائيلية التي تنسب ما يحدث في القدس لأعمال المقاومة الفلسطينية بوضعها تُهدد الأمن القومي العالمي وتهدد أمن دولة الاحتلال.

4- الجهات المسؤولة:

جدول (4) الجهات المسؤولة عن قضية القدس في موقعي الدراسة

الموقع / الجهات المسؤولة		لوموند		لوفيغارو		الاتجاه العام	
		ك	%	ك	%	ك	%
الإسرائيليين	الجيش	10	52.6	7	46.7	17	50
	المستوطنين	5	26.3	4	26.7	9	26.5
	أخرى	2	10.5		0	2	5.9
	المجموع	**17**	**89.5**	**11**	**73.3**	**28**	**82.4**

الفلسطينيين	الفصائل	2	10.5	2	13.3	4	11.8
	الشعب	0	0	1	6.7	1	2.9
	أخرى	0	0	1	6.7	1	2.9
	المجموع	**2**	**10.5**	**4**	**26.7**	**6**	**17.6**
المجموع الكلي		**19**	**100**	**15**	**100**	**34**	**100**

تصدر "الإسرائيليون" الجهات المسؤولة عن قضية القدّس بموقعي الدّراسة بنسبة 82.4%، مقابل 17.6% للفلسطينيين، وتقاربت النسب بين الموقعين بصورة لافتة، وجاء الجيش كأعلى جهة في الاحتلال بنسبة 50%، تلاه المستوطنين بنسبة 26.5%، ومن جهة الفلسطينيين جاءت الفصائل أولاً بنسبة 11.8%.

بيّنت نتائج موقع لوموند أن الجهة المسؤولة الجيش جاءت بالترتيب الأول بنسبة 52.6% ، بينما جاءت بموقع لوفيغارو بنسبة 46.7%، وهذا يُشير إلى أن إدراك الموقعين أن جيش الاحتلال هو المتسبب الأساسي في كل ما يحدث من اشتباكات ومظاهرات واستفزازات وإجراءات قمعية تجاه الفلسطينيين، وانتشار قوات الشرطة في ساحة المسجد الأقصى بطريقة استفزازية "provocation"، حيث ورد هذا المصطلح في موضوع بموقع لوفيغارو بعنوان: "اشتباكات جديدة في حرم المسجد الأقصى بالقدّس...[325]".

فيما حمل كلا الموقعين المستوطنين المسؤولية بنسب متقاربة جداً بلغت 26.7% بموقع لوفيغارو وفي موقع لوموند بنسبة 26.3%، وتحدث موضوع في موقع لوموند عن أعمال المستوطنين المستفزة وخطط اليمين المتطرف للتظاهر أمام الفلسطينيين في القدس الشرقية، بعنوان: "بعد أعمال العنف أعادت الشرطة الإسرائيلية الوصول إلى ضواحي القدّس الشرقية...[326]".

وأشار موقع لوموند إلى دور الجماعات اليهودية المتطرفة وبعض الأحزاب والجهات السياسية، حيث عبرت الأردن عن إدانتها للاستفزازات التي قامت بها الجماعات اليهودية المتطرفة، في موضوع بعنوان: "اشتباكات في القدّس خلال مظاهرة لحركة لاهافا اليمينية المتطرفة...[327]".

5- أسباب قضية القدس:

جدول (5) أسباب قضية القدس في موقعي الدراسة

(325) https://www.lefigaro.fr/international/israel-nouveaux-heurts-a-l-esplanade-des-mosquees-de-jerusalem-20220422, Retrieved May 24th 2023.
(326) https://www.lemonde.fr/international/article/2021/04/26/apres-les-violences-la-police-israelienne-rouvre-l-acces-aux-abords-de-jerusalem-est_6078065_3210.html, Retrieved May 25th 2023.
(327) https://www.lemonde.fr/international/article/2021/04/23/affrontements-a-jerusalem-lors-d-une-manifestation-du-mouvement-d-extreme-droite-lahava_6077758_3210.html, Retrieved May 24th 2023.

الموقع / الأسباب	لوموند		لوفيغارو		الاتجاه العام	
	ك	%	ك	%	ك	%
الاحتلال الإسرائيلي	44	53	60	55	104	54.2
السيطرة على المسجد الأقصى	20	24.1	18	16.5	38	19.8
العمليات الفدائية	5	6	23	21.1	28	14.6
الاستيطان	7	8.4	4	3.7	11	5.7
الإرهاب	5	6	4	3.7	9	4.7
التحريض الإعلامي	1	1.2	0	0	1	0.5
أُخرى	1	1.2	0	0	1	0.5
المجموع	**83**	**100**	**109**	**100**	**192**	**100**

كانت أهم الأسباب التي أوردها موقعا الدراسة لما يحدث في القدس متعلقة بالاحتلال الإسرائيلي للقدس وممارساته داخل الأماكن المقدسة وبنسب متقاربة بين الموقعين، حيث ورد احتلال القدس بنسبة 54.2%، ومحاولة السيطرة على المسجد الأقصى بنسبة 19.8%، والاستيطان بنسبة 5.7%.

وقدّ تشابه الموقعان في تصدر أسباب الاحتلال الإسرائيلي وممارساته، إلا أن موقع لوموند ركز أكثر على قضية الاستيطان في القدس، ويرى الباحثان أن هذا الأمر يُشير لإدراك الموقعين بشكل واضح أن أهم سبب لقضية القدّس هو الاحتلال الإسرائيلي وما يُمارسه من سياسات قمعية تعسفية، من قتل للفلسطينيين وتهجيرهم من بيوتهم وتدميرها بذريعة عدم ترخيصها، وفرض ضرائب باهظة بحقهم، بالإضافة إلى الاعتداء على المصلين في المسجد الأقصى ومنعهم من الصلاة فيه وإغلاق المسجد الأقصى، كما أبرزت موضوعات موقعي الدّراسة التوسع في البناء الاستيطاني وطرد العديد من العائلات الفلسطينية من منازلهم التي من المقرر أن تستولي منظمة استيطانية على منازلهم في القدّس الشرقية المحتلة، حيث ورد في موضوع بموقع لوفيغارو بعنوان: "تصعيد في القدّس وسط تهديدات بالإخلاء...[328]"، وأيضاً إخلاء عائلات فلسطينية لصالح المستوطنين الإسرائيليين، كما جاء في موقع لوموند موضوع بعنوان: "اشتباكات جديدة بين فلسطينيين وشرطة الاحتلال...[329]".

وتؤكد هذه النتائج ما توصلت إليه الدراسة في الجدول السابق حيث حمل الموقعان الاحتلال الإسرائيلي والمستوطنين المسؤولية عن قضية القدس بنسبة عالية.

(328) https://www.lefigaro.fr/international/escalade-de-la-violence-a-jerusalem-sur-fond-de-menaces-d-expulsions-20210508, Retrieved May 24th 2023.
(329) https://www.lemonde.fr/international/article/2021/05/08/jerusalem-plus-de-50-blesses-dans-de-nouveaux-heurts-entre-palestiniens-et-policiers-israeliens_6079609_3210.html, Retrieved May 25th 2023.

أما بالنسبة للجانب الفلسطيني فقد أورد الموقعان العمليات الفدائية كسبب لما يحدث لكن بنسبة أعلى بكثير في موقع لوفيغارو بلغت 21.1% مقابل 6% لموقع لوموند، وجاء أيضاً الإرهاب والتحريض الإعلامي، وظهر ذلك في موضوع بموقع لوموند بعنوان: "مقتل جندي إسرائيلي في القدس الشرقية وفلسطينيين في جنين..."[330].

6- نتائج قضية القدس:

جدول (6) نتائج قضية القدس في موقعي الدراسة

الموقع	لوموند		لوفيغارو		الاتجاه العام	
النتائج	ك	%	ك	%	ك	%
استمرار العنف	42	67.7	48	61.5	90	64.3
تغيير الوضع القائم بالقدس	12	19.4	24	30.8	36	25.7
صراع عقائدي	7	11.3	4	5.1	11	7.9
فشل المفاوضات	1	1.6	1	1.3	2	1.4
تدمير المسيرة السلمية	0	0	1	1.3	1	0.7
المجموع	**62**	**100**	**78**	**100**	**140**	**100**

تُشير بيانات الجدول السابق إلى صورة تشاؤمية كاملة للنتائج التي توقعها موقعا الدراسة لما يحدث في القدس، حيث حصل استمرار العنف بموقعي الدّراسة بنسبة 64.3%، تلتها تغيير الوضع القائم بالقدّس بنسبة 25.7%، ثم صراع عقائدي بنسبة 7.9%، وفشل المفاوضات بنسبة 1.4%، وقدّ تشابه الموقعان في تصدر نتائج استمرار العنف، ويرى الباحثان أن استمرار العنف متمثلاً بقتل الفلسطينيين والاعتقال واقتحامات المسجد الأقصى، وتغيير الوضع القائم بالقدّس.

وحصل تغيير الوضع القائم بالقدّس بموقع لوفيغارو على نسبة 30.8%، بينما حصل على نسبة أقل في موقع لوموند، ومن مؤشرات تغيير الوضع القائم كما وردت في موقعي الدراسة: تركيب البوابات الإلكترونية، التقسيم المكاني والزماني للمسجد الأقصى، طرد الفلسطينيين من القدّس، زيادة بناء الاستيطان.

7- الحلول المقترحة:

(330) https://www.lemonde.fr/international/article/2022/10/09/israel-trois-blesses-dans-une-fusillade-a-jerusalem-est_6145016_3210.html, Retrieved May 25th 2023.

جدول (7) الحلول المقترحة لقضية القدس في موقعي الدراسة

الموقع / الحلول المقترحة	لوموند		لوفيغارو		الاتجاه العام	
	ك	%	ك	%	ك	%
أخرى	8	66.7	3	37.5	11	55
استئناف المفاوضات	1	8.3	3	37.5	4	20
وقف أعمال المقاومة	0	0	2	25	2	10
رفع القيود على العبادة	1	8.3	0	0	1	5
نشر قوات دولية	0	0	0	0	0	0
إقامة دولة فلسطينية	2	16.7	0	0	2	10
المجموع	**12**	**100**	**8**	**100**	**20**	**100**

بصفة عامة يمكن القول أن موقعي الدراسة لم يحاولا كثيراً تقديم حلول مقترحة لقضية القدس، حيث بلغ عددها في الموقعين 20 حلاً مقترحاً فقط، وذلك بالطبع ينم عن وعي الموقعين بتعقيد القضية وصعوبة تقديم حلول في الوقت الذي عجزت فيه عشرات الإدارات الأمريكية وسنوات طويلة من الصراع والمفاوضات عن التوصل إلى حل مرضي.

واحتلت الحلول الأخرى المرتبة الأولى بنسبة 55%، وكانت النسبة في موقع لوموند حوالي ضعف نسبة موقع لوفيغارو، ومنها: الدعوة إلى إنهاء العنف، ووقف التصعيد وخلق جو من الهدوء، ووقف بناء الاستيطان، وظهر ذلك في موضوع لموقع لوفيغارو بعنوان: "تصعيد في القدّس وسط تهديدات بالإخلاء..."[331]، حيث دعا نيد برايس المتحدث باسم الوزراء الخارجية الأمريكية إلى ضرورة تجنب أي عمل من شأنه يؤدي إلى تصعيد الوضع مثل عمليات الإخلاء في القدس الشرقية والأنشطة الاستيطانية وهدم المنازل والأعمال الإرهابية وطالب بالحفاظ على الوضع الراهن، وفي نفس الموقع دعا تور وينسلاند مبعوث الأمم المتحدة للشرق الأوسط إلى إنهاء الأعمال العدائية، وطالب القادة من جميع الأطراف بالالتزام بوقف التصعيد والعنف، وجاء ذلك في موضوع بعنوان "بعد أعمال العنف في القدّس الشرقية التصعيد العسكري بين إسرائيل وحماس..."[332].

وحصل استئناف المفاوضات بموقع لوفيغارو على نسبة 37.5%، مع فارق كبير نوعاً عن بموقع لوموند، مثل إبراز تصريحات وزيرة الخارجية الأسترالية بيني وونغ: "إن وضع القدّس يجب أن يُحل من خلال محادثات السلام بين إسرائيل

(331) https://www.lefigaro.fr/international/escalade-de-la-violence-a-jerusalem-sur-fond-de-menaces-d-expulsions-20210508, Retrieved May 24th 2023.
(332) https://www.lefigaro.fr/flash-actu/gaza-un-commandant-du-hamas-tue-par-des-frappes-israeliennes-20210510, Retrieved May 24th 2023.

والشعب الفلسطيني وليس القرارات أحادية الجانب"، كما ورد في موقع لوفيغارو بعنوان: "أستراليا تتخلى عن الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل...[333]".

وجاء وقف أعمال المقاومة بموقع لوفيغارو بنسبة 25%، فيما لم يقترح هذا الحل موقع لوموند، حيث أن لوفيغارو ركز على النتائج المترتبة على أعمال المقاومة وأبرز وجود قتلى إسرائيليين وفقدان الأمن في المجتمع الإسرائيلي وهذا يدل انحياز الموقع للرواية الإسرائيلية، حيث أكد الموقع أن شرطة الاحتلال تدخلت لوقف "الأعمال العدائية" ووضع حد للاشتباكات التي اندلعت بعد وصول اليهود الأرثوذكس عندما أرادوا الصلاة في باحة المساجد فيما يسمونه "بجبل الهيكل" وذلك في موضوع بعنوان "اشتباكات اندلعت في حرم المساجد في القدّس...[334]".

فيما اقترح موقع لوموند إقامة دولة فلسطينية كحل للقضية بنسبة 16.7%، فيما لم يورد موقع لوفيغارو هذا الحل، مثل ما ورد في موضوع في الموقع بعنوان: "لا تزال الولايات المتحدة معزولة في دعمها لإسرائيل على القدّس...[335]"، حيث أبرز المقال اقتراح الرئيس الأمريكي الأسبق بل كلنتون أن تكون القدّس عاصمة مشتركة بين إسرائيل والدولة الفلسطينية المستقبلية، مع السيادة الإسرائيلية على الأحياء اليهودية، والسيادة الفلسطينية على الأحياء العربية.

كما تناول موقع لوموند رفع القيود على العبادة، وهو ما يشير إلى تبنى الموقع لرؤية القانون الدولي التي تعتبر القدّس الشرقية على الأقل واقعة تحت الاحتلال الإسرائيلي، الذي يُمارس سيطرته الكاملة على المدينة، وما يترتب عليها من إجراءات قمعية تعسفية اتجاه الفلسطينيين، وورد في الموقع تصريحات الأمين العام للأمم المتحدة غوتيريش قوله: ضرورة التأكيد على الحفاظ على الوضع الراهن في الأماكن المقدّسة، حيث ناقش الجهود المبذولة لخفض التوترات ووقف الاستفزازات والعنف واستعادة الهدوء، وذلك في موضوع بعنوان: "الأمين العام للأمم المتحدة يبحث التوترات في القدّس مع القادة الإسرائيليين والفلسطينيين...[336]".

8- أُطر الاهتمامات الإنسانية:

جدول (8) أُطر الاهتمامات الإنسانية لقضية القدس في موقعي الدراسة

الموقع	لوموند		لوفيغارو		الاتجاه العام	
أُطر الاهتمامات الإنسانية	ك	%	ك	%	ك	%
فلسطينية	0	0	2	66.6	2	33.3
إسرائيلية	3	100	1	33.3	4	66.7

(333) https://www.lefigaro.fr/international/l-australie-renonce-a-reconnaitre-jerusalem-comme-capitale-d-israel-20221018, Retrieved May 24th 2023.
(334) https://www.lefigaro.fr/flash-actu/heurts-sur-l-esplanade-des-mosquees-a-jerusalem-20220415, Retrieved May 24th 2023.
(335) https://www.lemonde.fr/un-si-proche-orient/article/2022/12/04/les-etats-unis-toujours-isoles-dans-leur-soutien-a-israel-sur-jerusalem_6152882_6116995.html, Retrieved May 25th 2023.
(336) https://www.lefigaro.fr/international/le-chef-de-l-onu-a-discute-des-tensions-a-jerusalem-avec-les-leaders-israelien-et-palestinien-20220424, Retrieved May 24th 2023.

المجموع	**3**	**100**	**3**	**100**	**6**	**100**

كما ورد في الجدول السابق، لم يهتم موقعا الدراسة كثيراً بالاهتمامات الإنسانية رغم خطورة الأوضاع الإنسانية في القدس نتيجة الانتهاكات الإسرائيلية للمقدسات والممارسات ضد أبناء الشعب الفلسطيني في المدينة، وقد وردت الاهتمامات الإنسانية 6 مرات فقط، معظمها كان عن الاهتمامات الإنسانية الإسرائيلية وبالذات في موقع لوموند، رغم أن الشعب الواقع تحت الاحتلال هو الشعب الفلسطيني، وقد ركز موقع لوموند على الجوانب العاطفية والإنسانية للإسرائيليين بوصفهم ضحايا، في حين تم تصوير الفلسطينيين بأنهم الأقرب للعنف والاعتداء، فيما كان موقع لوفيغارو أقرب للاهتمامات الإنسانية الفلسطينية بنسبة 66.6%.

9- الشخصيات المحورية:

جدول (9) الشخصيات المحورية في موضوعات قضية القدس في موقعي الدراسة

الموقع	**لوموند**		**لوفيغارو**		**الاتجاه العام**	
الشخصيات المحورية	**ك**	**%**	**ك**	**%**	**ك**	**%**
إسرائيلية	30	45.5	19	43.2	49	44.5
فلسطينية	16	24.2	14	31.8	30	27.3
دولية	17	25.8	10	22.7	27	24.5
عربية	.3	4.5	1	2.3	4	3.6
المجموع	**66**	**100**	**44**	**100**	**110**	**100**

تُشير بيانات الجدول السابق إلى تصدر الشخصيات الإسرائيلية للشخصيات المحورية في موضوعات قضية القدس بموقعي الدّراسة بنسبة 44.5%، تلتها الشخصيات الفلسطينية بنسبة 27.3% ، ثم الشخصيات الدولية بنسبة 24.5%، وأخيراً الشخصيات العربية بنسبة 3.6%.

وقد تقارب الموقعان في إبراز الشخصيات الإسرائيلية، ويُعد ذلك في رأي الباحثين انحيازاً واضحاً من الموقعيّن لإظهار الشخصيات الإسرائيلية وآرائها ووجهات نظرها المُتباينة في موضوعات قضية القدّس، ومن أمثلة الشخصيات الإسرائيلية في موقع لوموند: ميكي روزنفيلد المتحدث باسم الشرطة الإسرائيلية، وبنيامين نتنياهو رئيس الوزراء السابق، وفي موقع لوفيغارو: يائير لبيد رئيس الوزراء الإسرائيلي في حينه.

وجاءت الشخصيات الفلسطينية بالمرتبة الثانية وبنسبة أعلى بقليل في موقع لوفيغارو، وذلك رغم أن موضوعات قضية القدّس تتعلق بالشأن الفلسطيني والقضية الفلسطينية وبالتالي لم يستطع الموقعان إغفال الشخصيات الفلسطينية، ومن

أمثلتها: المتحدث باسم الرئيس نبيل أبو ردينة، والرئيس الفلسطيني محمود عباس، والذي ورد ذكرهما في موضوع بموقع لوفيغارو بعنوان: "مقتل جندي إسرائيلي في القدس وفلسطينيين اثنين في جنين...[337]".

وجاءت الشخصيات الدولية في كلا الموقعين بنسب متقاربة أيضاً، ويرجع ذلك إلى جهود الجهات الدولية والأممية في موضوع القدس، ومن أمثلة الشخصيات الدولية تور وينسلاند مبعوث الأمم المتحدة للشرق الأوسط، وورد ذكره بموضوع لموقع لوموند بعنوان "اشتباكات بين الفلسطينيين والشرطة الإسرائيلية...[338]".

أما الشخصيات العربية فذكرت في كلا الموقعيّن بدرجة أقل وبنسب مُتفاوتة، ومن أمثلة الشخصيات العربية الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي، والعاهل الأردني عبد الله الثاني، ورئيس دولة الإمارات العربية محمد بن زايد آل نهيان، وذلك في موضوع بموقع لوفيغارو بعنوان: "السيسي والعاهل الأردني وولي العهد أبو ظبي يناقشون قضية القدس...[339]".

10- أدوات وآليات التأطير:

جدول (10) أدوات وآليات التأطير لقضية القدس في موقعي الدراسة

الموقع	لوموند		لوفيغارو		الاتجاه العام	
أدوات وآليات التأطير	ك	%	ك	%	ك	%
معلومات وخلفيات تاريخية	32	51.6	28	57.1	60	54.1
اقتباسات	18	29	14	28.6	32	28.8
كلمات دلالية	7	11.3	5	10.2	12	10.8
أخبار وبيانات صحفية سابقة	5	8.1	2	4.1	7	6.3
المجموع	**62**	**100**	**49**	**100**	**111**	**100**

تصدرت معلومات وخلفيات تاريخية أدوات وآليات تأطير قضية القدّس في المواقع الإلكترونية للصحف الفرنسية وذلك بنسبة 54.1%، ثم جاءت اقتباسات في المرتبة الثانية بنسبة 28.8%، تلتها كلمات دلالية بنسبة 10.8%، ثم أخبار وبيانات صحفية سابقة بنسبة 6.3%.

تقاربت نسبة معلومات وخلفيات تاريخية في موقعي الدّراسة، حيث حصلتْ بموقع لوفيغارو على نسبة 57.1%، وفي موقع لوموند على نسبة 51.6%، ويرجع ذلك إلى اهتمام الموقعين بالأحداث والمعلومات التاريخية لقضية القدّس، كما تشابهت نسبة اقتباسات في الموقعين، حيث حصل موقع لوموند على نسبة 29%، بينما حصل موقع لوفيغارو 28.6%، ويرجع

(337) https://www.lefigaro.fr/flash-actu/trois-blesses-dans-une-attaque-a-jerusalem-est-20221008, Retrieved May 24th 2023.
(338) https://www.lemonde.fr/international/article/2021/05/07/manifestations-a-jerusalem-est-deux-palestiniens-tues-par-des-policiers-israeliens-au-cours-de-violents-heurts_6079547_3210.html, Retrieved May 24th 2023.
(339) https://www.lefigaro.fr/flash-actu/egypte-sissi-le-roi-jordanien-et-le-prince-heritier-d-abou-dhabi-discutent-de-jerusalem-20220424, Retrieved May 24th 2023.

ذلك إلى اعتماد موقعي الدّراسة على الشخصيات الإسرائيلية على حساب الرواية الفلسطينية عند سرد الأحداث حول قضية القدّس.

أما الكلمات الدلالية فكانت نسبتها منخفضة ومتقاربة في الموقعين، وقد أبرز الموقعان مجموعة من الكلام الدلالية معظمها يصب في صالح الرواية الإسرائيلية والانحياز لها، حيث لاحظ الباحثان اعتماد موقعي الدّراسة على كلمات دلالية أقرب للمصطلحات الإسرائيلية في توصيف أحداث قضية القدّس، ومنها: الإرهابي الفلسطيني "le terroriste palestinien"، والإرهاب القاتل للعرب "le terrorisme meurtrier des Arabes"، وهجوم إرهابي "attaque terroriste"، وحل الدولتين "solution à deux Etats"، وهجوم مسلح "attaque armée"، وغيرها.

ثالثاً: خلاصة نتائج الدراسة واستنتاجات حولها:

من خلال استقراء النتائج التي توصلت إليها الدراسة فقد تبين أن عدد موضوعات قضية القدّس بموقعي الدراسة بلغ (112) موضوعاً وتفوق موقع لوفيغارو حيث حصل على 55.4%، بينما حصل موقع لوموند على 44.6%، وهو ما يشير لاهتمام متوسط بهذه القضية رغم أهميتها ومركزيتها في الصراع ووجودها في قلب القضية الفلسطينية والأحداث التي تحركها.

تصدرت الموضوعات الأمنية والعسكرية مثل الاشتباكات والهجمات والقتل والطرد، فيما قلت الموضوعات الأخرى الاجتماعية وغيرها، وهو ما يشير إلى أن منطلق تغطية الموقعين هو الطبيعة الخبرية للأحداث دون تناول الأسباب الحقيقية لها، حيث أن القدس متفجرة بالأحداث الساخنة والتي تتركز على الاشتباك اليومي بين المواطنين الفلسطينيين وقوات الاحتلال ومستوطنيه في محاولة من الاحتلال الإسرائيلي لتغيير الوضع القائم بالقدس وتهجير سكانه والاستيلاء على ممتلكاتهم.

ويؤكد هذا الأمر أن أطر الصراع في الموقعين تركزت في أطر الاعتداءات الإسرائيلية، كما أن كلا الموقعين ركزا على الجيش الإسرائيلي ومستوطنيه كجهات مسؤولة عما يحدث في المدينة، فيما حملا المسؤولية بدرجة أقل للجانب الفلسطيني، فيما أشار الموقعان إلى الاحتلال كسبب أساسي في الأحداث التي تجري في المدينة ومحاولته السيطرة على المسجد الأقصى وزيادة الاستيطان في المدينة، وبدرجة أقل كانت العمليات الفدائية والتحريض الإعلامي.

فيما يتعلق بأطر النتائج التي تحدث عنها موقعا الدراسة، يشير التحليل إلى صورة تشاؤمية كاملة أبرزها الموقعان لما يحدث في القدس، فقد تركزت النتائج المتوقعة على سيناريوهات سلبية للمستقبل مثل استمرار العنف، وتغيير الوضع القائم بالقدّس وهو ما يشير لتوقع بنجاح المساعي الإسرائيلية لفرض واقع جديد في المدينة وبالذات في الأماكن المقدسة فيها، كما توقع الموقعان اندلاع صراع عقائدي نتيجة الممارسات الإسرائيلية في أماكن العبادة بالمدينة، وفشل المفاوضات وتدمير المسيرة السلمية.

بصفة عامة يمكن القول أن موقعي الدراسة لم يحاولا كثيراً تقديم حلول مقترحة لقضية القدس، حيث بلغ عددها في الموقعين 20 حلاً مقترحاً فقط، وذلك يشير إلى إدراك الموقعين بتعقيد القضية وصعوبة تقديم حلول وتعنت الاحتلال الإسرائيلي وممارساته التي تجعل الحلول غير ممكنة، كما أن كثير من المبادرات والحلول المقترحة فشلت سابقاً في ظل عجز وتخاذل المجتمع الدولي، وكذلك لم يحاول كلا الموقعين التطرق كثيراً إلى الاهتمامات الإنسانية حيث وردت بأعداد

قليلة، وربما كان هذا الأمر عائداً إلى انحياز من الموقعين لإدراكهما أن المعاناة الإنسانية الفلسطينية أعلى بكثير في ظل ممارسات وانتهاكات الاحتلال الإسرائيلي في المدينة المقدسة، ورغم أن الشعب الواقع تحت الاحتلال هو الشعب الفلسطيني، فقد ركز الموقعان على الجوانب العاطفية والإنسانية للإسرائيليين وبالذات في موقع لوموند، كما تم تصوير الفلسطينيين بأنهم الأقرب للعنف والاعتداء.

وتبين وجود انحياز الموقعين الواضح للرواية الإسرائيلية من خلال إبراز الشخصيات الإسرائيلية في موضوعات قضية القدّس بنسبة تقترب من ضعف الشخصيات الفلسطينية، الأمر الذي يُشير إلى تفضيل موقعي الدّراسة للشخصيات الإسرائيلية وتبني الرواية الإسرائيلية وغياب الرأي الفلسطيني.

واستخدم موقعا الدراسة المعلومات والخلفيات التاريخية كأكثر أدوات وآليات التأطير المتعلقة بموضوعات قضية القدّس، وهذا يوضح اهتمام الموقعين بجوانب الموضوع التاريخية بما يحيل القارئ ربما لجوانب عاطفية فيما يتعلق بالصراع وقضية القدس ووجود اليهود فيها، بما يشكل تبنياً لمنطق الاحتلال، ويتضح هذا الأمر من الكلمات الدلالية التي وردت بكثرة في الموقعين، والتي يصب معظمها في صالح الرواية الإسرائيلية والانحياز لها، مثل: الإرهابي، والإرهاب القاتل للعرب، وهجوم إرهابي، وهجوم مسلح، وغيرها.

مراجع الدراسة:

أولاً: المراجع العربية:

أحمد محمد (2018)، الخطاب الصحفي نحو قضية القدس بعد إعلان ترامب 2017: دراسة تحليلية مقارنة لمواقع (الواشنطن بوست ويديعوت أحرونوت والأهرام) **المجلة المصرية لبحوث الرأي العام**، جامعة القاهرة، مصر، 18(4)، 1-56.

إيهاب عوايص (2020)، الارتباطات السياسية في فضائية فلسطين وأثرها على التغطية الإخبارية مفهوم القدّس، **مجلة الثقافة الإسلامية والإنسانية**، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، ماليزيا، 22(1)، 110-138.

بسام المشاقبة (2011)، **نظريات الإعلام**، ط1، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع.

حذيفة رمضان (2015)، القدس في الخطاب الإعلامي العربي صحيفة الرأي الأردنية نموذجاً، **رسالة ماجستير**، جامعة القدس، فلسطين.

حسن مكاوي، وليلى السيد (1998)، **الاتصال ونظرياته المعاصرة**، ط1، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

ريحانة نزار (2022)، المعالجة الإعلامية لقضية حي الشيخ جراح في الصحافة الإلكترونية العربية: دراسة تحليلية لجريدة القدس العربي اللندنية، **رسالة ماجستير**، جامعة صالح بوبنيدر، قسنطينة 3، الجزائر.

سمير حسين (2006)، **دراسات في مناهج البحث العلمي: بحوث الإعلام**، ط2، القاهرة: عالم الكتب.

طلعت عيسى، وسائد رضوان (2018)، اعتماد الشباب الفلسطيني على صحافة الهاتف المحمول مصدراً لأخبار انتفاضة القدس: دراسة ميدانية، **مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية**، غزة، فلسطين، 27(4)، 347-375.

عبد الهادي بركة (2022)، معالجة المواقع الإخبارية الإلكترونية الفلسطينية لقضايا التهويد لمدينة القدس: دراسة تحليلية مقارنة، **رسالة ماجستير**، الجامعة الاسلامية بغزة، فلسطين.

غادة صقر (2021)، تغطية الصحف لقضية حي الشيخ الجراح بالقدس: دراسة تحليلية على بعض الصحف (الأهرام- cnn بالعربي – فلسطين)، **المجلة المصرية لبحوث الرأي العام**، جامعة القاهرة، مصر، 20(3ج1)، 231-252.

فلورا متى (2013)، أطر تقديم القضايا العربية على المواقع الإخبارية الفرنسية على الإنترنت: دراسة مقارنة، **المجلة العربية لبحوث الاعلام والاتصال**, جامعة الأهرام الكندية، القاهرة، مصر، 3(3), 174-189.

كريستين ريناوي (2022)، دور صحافة الموبايل في تغطية المناطق المحتلة وصناعة القصة الرقمية: القدس الشرقية المحتلة كحالة، **رسالة ماجستير**، جامعة القدس، فلسطين.

ليلى بوسعيد، والخادم ساعد (2022)، دور منصات التواصل الاجتماعي في دعم قضية الشيخ جراح بالقدس: صفحة فيسبوك أنقذوا حي الشيخ جراح أنموذجاً، **رسالة ماجستير**، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر.

محمد حجاب (2003)، **أساسيات البحوث الإعلامية والاجتماعية**، ط2، القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.

محمد عبد الحميد (1998)، **بحوث الصحافة**، ط1، القاهرة: عالم الكتب.

محمد عبد الحميد (2000)، **البحث العلمي في الدراسات الإعلامية**، ط1، القاهرة: عالم الكتب.

محمد عبد الحميد (2004)، **نظريات الإعلام واتجاهات التأثير**، ط3، القاهرة: عالم الكتب.

منى محمد (2020)، مصداقية وسائل الإعلام الإلكترونية العربية والعالمية لدى الشباب الجامعي العربي في تغطية القرار الأمريكي بالاعتراف بالقدس عاصمة إسرائيل ونقل سفارتها إليها: دراسة ميدانية، **المجلة العلمية لبحوث الصحافة**، جامعة القاهرة، مصر، 20(20)، 307-385.

يوسف غبن (2019)، الأطر الخبرية لانتفاضة القدس في المواقع الإلكترونية للصحف الأمريكية: دراسة تحليلية مقارنة، **رسالة ماجستير**، الجامعة الاسلامية بغزة، فلسطين.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

Al Bzour, B., & Anzeh, M. F. A. (2021). Framing the Palestinian-Israeli Representations in Western Media Discourse in the Aftermath of Trump's Declaration of Jerusalem as the Capital of Israel. *Journal of Arts and Humanities*, 10(12), 01-13.

Arandas, M. F., Kee, C. P., Mohamad, E. M. W., & Idid, S. A. (2018). Framing the Reaction of President Abbas on the Issue of Moving the US Embassy from Tel Aviv to Jerusalem. *e-Bangi*, 15(5), 181-192.

Entman, Robert M. (1993). Framing Toward Clarification of Fractured Paradigm, *Journal of Communication*, 43 (4), 51-58

Mischler, A., & Friedman, E. (2020). The 'blame game frame': Ethical blame patterns and media framing upon negotiations failure in the Middle East. *Journalism*, 21(9), 1192-1211.

Schweitzer, J. (2011). The media coverage of the Israel and Palestine conflict in the United States and in France, *Doctoral dissertation*, Oklahoma State University.

Sevón, M. (2020). Frame Change Due to Policy Change: A Corpus Study of the Changing Frame of Israel in the US Media After Jerusalem Was Recognized as Capital, *Master thesis*, University of Turku, Finland.

similarweb (2023), https://www.similarweb.com/top-websites/france/category/news-and-media. Retrieved 14 March, 2023.

Tankard, J. (2001). The Empirical Approach to the Study of Media Framing. In *Framing public life*, Routledge, 1st Ed, 95-106.

https://www.lefigaro.fr/international/israel-nouveaux-heurts-a-l-esplanade-des-mosquees-de-jerusalem-20220422, Retrieved May 24th 2023.

https://www.lefigaro.fr/international/escalade-de-la-violence-a-jerusalem-sur-fond-de-menaces-d-expulsions-20210508, Retrieved May 24th 2023.

https://www.lefigaro.fr/international/escalade-de-la-violence-a-jerusalem-sur-fond-de-menaces-d-expulsions-20210508, Retrieved May 24th 2023.

https://www.lefigaro.fr/flash-actu/gaza-un-commandant-du-hamas-tue-par-des-frappes-israeliennes-20210510, Retrieved May 24th 2023.

https://www.lefigaro.fr/international/l-australie-renonce-a-reconnaitre-jerusalem-comme-capitale-d-israel-20221018, Retrieved May 24th 2023.

https://www.lefigaro.fr/flash-actu/heurts-sur-l-esplanade-des-mosquees-a-jerusalem-20220415, Retrieved May 24th 2023.

https://www.lefigaro.fr/international/le-chef-de-l-onu-a-discute-des-tensions-a-jerusalem-avec-les-leaders-israelien-et-palestinien-20220424, Retrieved May 24th 2023.

https://www.lefigaro.fr/flash-actu/trois-blesses-dans-une-attaque-a-jerusalem-est-20221008, Retrieved May 24th 2023.

https://www.lefigaro.fr/flash-actu/egypte-sissi-le-roi-jordanien-et-le-prince-heritier-d-abou-dhabi-discutent-de-jerusalem-20220424, Retrieved May 24th 2023.

https://www.lemonde.fr/international/article/2021/04/23/affrontements-a-jerusalem-lors-d-une-manifestation-du-mouvement-d-extreme-droite-lahava_6077758_3210.html, Retrieved May 24th 2023.

https://www.lemonde.fr/international/article/2021/04/26/apres-les-violences-la-police-israelienne-rouvre-l-acces-aux-abords-de-jerusalem-est_6078065_3210.html, Retrieved May 25th 2023.

https://www.lemonde.fr/international/article/2021/05/07/manifestations-a-jerusalem-est-deux-palestiniens-tues-par-des-policiers-israeliens-au-cours-de-violents-heurts_6079547_3210.html, Retrieved May 24th 2023.

https://www.lemonde.fr/international/article/2021/05/08/jerusalem-plus-de-50-blesses-dans-de-nouveaux-heurts-entre-palestiniens-et-policiers-israeliens_6079609_3210.html, Retrieved May 25th 2023.

https://www.lemonde.fr/international/article/2022/10/09/israel-trois-blesses-dans-une-fusillade-a-jerusalem-est_6145016_3210.html, Retrieved May 25th 2023.

https://www.lemonde.fr/un-si-proche-orient/article/2022/12/04/les-etats-unis-toujours-isoles-dans-leur-soutien-a-israel-sur-jerusalem_6152882_6116995.html, Retrieved May 25th 2023.

استخدام الشباب لتطبيق التيك توك والاشباعات المحققة منه

دراسة ميدانية

Youth use of the Tik Tok application and the gratifications achieved from it

A comparative field study on Palestinian and Moroccan youth

أيوب موسى شلط
باحث دكتوراه جامعة محمد الخامس بالرباط

أ. د. زكية الحسني
استاذ التعليم العالي بجامعة محمد الخامس بالرباط

ملخص الدراسة: هدفت الدراسة إلى الكشف عن استخدام الشباب الفلسطيني والمغربي لتطبيق التيك توك والإشباعات المحققة منه، وتندرج الدراسة ضمن الدراسات الوصفية، واستخدم الباحثان منهج الدراسات المسحية "مسح جمهور وسائل الإعلام" معتمداً على نظرية الاستخدامات والإشباعات، واستخدمت صحيفة الاستقصاء كأداة رئيسة لجمع البيانات من المبحوثين، وقد أجريت الدراسة على عينة قوامها 597 مفردة من الشباب الفلسطيني والشباب المغربي. وتوصلت إلى عدة نتائج أهمها:

أغلب الشباب المستخدم لتطبيق التيك توك من الفئة العمرية (25/20 سنة). نسبته (84.6%) بدأ استخدام تطبيق التيك توك منذ أقل من سنتان، بعدد ساعات أقل من ساعتين في اليوم. أغلب الشباب الفلسطيني والشباب المغربي يستخدمون تطبيق التيك توك كزائر بنسبة (86.2%)، دوافع استخدام تطبيق التيك توك هي البحث عن التسلية والترفيه" في المرتبة الأولى، جاءت الاشباعات " ترفيهية " في المرتبة الأولى كأبرز الاشباعات التي تم تحقيقها. أن الشباب الفلسطيني والشباب المغربي لا يؤثر تطبيق التيك توك على حياة أو نمط التفكير لديهم بنسبته (95.8%).

توصيات الدراسة: يوصي الباحثان بضرورة تركيز الآباء والأمهات على توعية أبناءهم، تدريس مادة التربية الإعلامية للشباب في مختلف التخصصات، ضرورة محاربة مقاطع الفيديو المسيئة من قبل الأفراد والمؤسسات المعنية . الاستفادة من تطبيق التيك توك في عملية التنمية المجتمعية والتنمية الشاملة، وضع قيود تشريعية وقانونية ومواثيق أخلاقية للنشر.

الكلمات المفتاحية: استخدام– دوافع– اشباعات– تيك توك

Abstract

The study aimed to reveal the Palestinian and Moroccan youth's use of the application of Tik Tok and the gratifications achieved from it. The study falls within the descriptive studies. The researchers used the "media audience survey" approach based on the theory of uses and gratifications. The survey newspaper was used as a main tool for collecting data from the respondents. The study was conducted on a sample of 597 Palestinian and Moroccan youth. It reached several results, the most important of which are:

Most of the young people who use the Tik Tok application are in the age group (20/25 years). Its percentage (84.6%) started using the TikTok application less than two years ago, with a number of hours less than two hours a day. Most of the Palestinian youth and Moroccan youth use the Tik Tok application as a visitor (86.2%). The motives for using the Tik Tok application are the search for entertainment and "entertainment" in

the first place, "entertainment" gratifications came in the first place as the most prominent gratifications that have been achieved. The Tik Tok application does not affect their life or thinking style at a rate of (95.8%).
Study recommendations: The researchers recommend the need for parents to focus on educating their children, teaching media education to young people in various disciplines, and the need to combat offensive videos by individuals and institutions concerned. Benefit from the application of TikTok in the process of community development and comprehensive development, and set legislative and legal restrictions and ethical charters for publishing.

مقدمة: أدى التطور التكنولوجي والعلمي في الأعوام السابقة، إلى ظهور العديد من مواقع التواصل الاجتماعي التي اجتاحت العالم بشكل كبير وأصبحت لها شعبية كبيرة بين الجماهير العريضة، وخصوصا بين الشباب لما لها من الخصائص التي تميزها عن غيرها من سهولة الاستخدام، وتنوع المحتوى، وقد شكلت مواقع التواصل بشكل عام منظومة لها تأثيرها على تفكير وسلوك الأشخاص، في الوقت التي يستخدمها العديد لساعات طويلة حتى أصبح من الضرورة دراسة هذه الوسائل والاستفادة منها بشكل كبير.

ويعتبر تطبيق التيك توك من بين أهم مواقع التواصل الاجتماعي وأكثرها استخداماً، فهو يسمح بمشاهدة كم هائل من الفيديوهات المختلفة بشكل مجاني، ومشاركتها مع الأصدقاء، والتعليق عليها، ومع تزايد أعداد المشاركين على هذه المنصة، حيث أصبح لها قبولاً كبيراً وخصوصاً من قبل الشباب، الذين وجدوا فيه نافذه تسمح لهم بالاطلاع على العالم.

ومن خلال هذه الدراسة يحاول الباحثان التعرف على مدي استخدام موقع التيك توك وما يحققه من اشباعات لدى الشباب.

أهم الدراسات السابقة:

1. دراسة اسماء لعموري، نحال سناء(2022)([340])، هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على دوافع استخدام الشباب الجزائري فئة المراهقين لمواقع التواصل الاجتماعي، والتعرف على عادات وكثافة الاستخدام وتأثيره على القيم الاجتماعية من خلال استخدام المنهج الوصفي وتطبيق

[340] - اسماء لعمور، نحال سناء(2021)، تأثير وسائط التواصل الرقمية على القيم الاجتماعية لدى المراهق الجزائري، التيك توك نموذجاً، المجلة الدولية للاتصال الاجتماعي، المجلد 9، العدد 2، ص242،ص257.

الاستبيان كأداة لجمع البيانات على العينة القصدية بحجم 150 مفردة من أصل المجتمع الأصلي ، ومن أهم نتائجها: أن سلبيات التطبيق تغزو حياة المراهقين فمن التصفح الدائم إلى المشاركة اليومية وبكل ما هو مخالف لقيم المجتمع ، إنتاج لغات جديد رموز وعبارات قد لا تفهمها الأسرة و يعتمدها المراهقين.

2. دراسة ولهي كنزة(2021) ([341]).تهدف هذه الدراسة للتعرف على استخدام الشباب لتطبيق التيك توك والإشباعات المحققة منه, بالتطبيق على عينة من مستخدمي التطبيق لدى شباب مدينة المسيلة, تنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات الوصفية، بتطبيق أداة الاستبيان لجمع المعلومات من المبحوثين, على عينة قصدية مقدرة ب 80 فرد من الشباب، ومن أهم نتائجها، عينة الدراسة تستخدم التطبيق بشكل كبير، وأن فترة استخدامهم أقل من سنه، أهم الدوافع هي التسلية وتمضية الوقت، وتعتبر الاشباعات الترفيهية في مقدمة الاشباعات التي يسعى لها أغلب المبحوثين.
3. دراسة(زهير محمد جار النبي،(2021)([342]) تناول البحث الاشباعات المتحققة لدى عينة من طلاب الجامعات السودانية من استخدامهم لشبكات التواصل الاجتماعي دراسة تطبيقية ومن أهم نتائج الدراسة: أن الهدف الاساسي من استخدام موقع فيسبوك في العملة التعليمية هو تبادل المعلومات والمحاضرات، وان سبب استخدام موقع الفيسبوك بسبب سهولة توفر المعلومات، وأن موقع فيسبوك يشبع احتياجات 86% من المبحوثين، ويلبي احتياجاتهم المعرفية.
4. دراسة نهى هريدي(2022)([343])يهدف هذا البحث لرصد مدى تحول استخدام تطبيق التيك توك لدى الشباب ،اعتمد البحث على منهج المسح الي تم تطبيقه على 400 طالب جامعي مصري، وتوصلت نتائج الدراسة إلى: أن نصف المبحوثين يستخدمون تطبيق التيك توك بشكل كبير، وأن أهم دوافع هذا الاستخدام الهروب من الواقع، والتفاعل الاجتماعي والحصول على المعلومات، وجود علاقة دالة احصائيا بين ادمان الشباب الجامعي لتطبيق وادائهم الدراسي..
5. دراسة فاطمة الزهراء جنحي، خولة بوعروج(2022)، ([344]) هدفت الدراسة لمعرفة استخدام تطبيق والكشف عن دوافع الاشباع المحققة من استخدام هذا التطبيق. وهي دراسة وصفية استخدمت المنهج الوصفي، لعينة قصدية تمثلت 50 مفردة من الطلبة الجامعيين، استخدمت الاستبيان، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن أغلب الشباب المستخدم للتطبيق التيك توك من الفئة العمرية (21إلى 25)، كما يستخدمونه حسب الظروف المناسبة لهم بدافع التسلية

[341] - ولهي كنزة،(2020)، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة محمد بوضياف المسلية –كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علوم الإعلام والاتصال ،2020.

[342] - زهير محمد عثمان جار النبي(2021)، الاشباعات المتحققة من استخدام شبكات التواصل الاجتماعي لدى طلاب الجامعات السودانية، دراسة ميدانية ،مجلة الدراسات الاعلامية، المركز الديمقراطي العربي، برلين ، ألمانيا- العدد الرابع عشر /فبراير 2021.ص206

[343] - نهى عادل هريدي،(2022)، هوس وإدمان الشباب الجامعي لتطبيق تيك توك، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد 80، الجزء الثاني- المجلد الثالث، يوليو سبتمبر 2022. ص1385،ص1419.

[344] - فاطمة الزهراء جنحي، خولة بوعروج،(2022) استخدام الشباب الجزائري لتطبيق التيك توك والإشباعات المحقق منه، كلية علوم الاعلام والاتصال، جامعة صالح بوبنيدر قسنطينة3، الجزائر،

ومتابعة المواهب، بالإضافة الى أن تطبيق التيك توك يحقق للشباب الجامعي اشباعات مختلفة ومتنوعة أبرزها الترفيه والتعليم كما يحقق حاجات ربحية وذلك بتسويف المنتجات والأفكار الجديدة، ، كما أجمعو على انه لم يؤثر على تفكيرهم ونمط حياتهم.

6. دراسة هلال بن علي الرشيدي، عبد الله الكندي(2016)([345]) تهدف هذه الدراسة إلى وصف وتفسير استخدامات طلبة جامعة السلطان قابوس لشبكات التواصل الاجتماعي الإلكترونية والإشباعات المتحققة، اعتماداً على مدخل الاستخدامات والإشباعات ، وباستخدام منهج المسح الإعلامي، لعينة حصصيه من 394 متطوعا من طلبة جامعة السلطان قابوس ، ومن أهم نتائج الدراسة إلى أن أهم دوافع استخدام المبحوثين لشبكات التواصل الاجتماعي الإلكترونية، تلخصت في : حب الاستطلاع، والبحث عن الأخبار والمعلومات . وأما أهم الاشباعات المتحققة من ذلك الاستخدام، فتمثلت في : الحصول على الأخبار والمعلومات، والتواصل مع الأصدقاء، والتسلية.

مشكلة الدراسة: تتمثل مشكلة الدراسة في التعرف على عادات وانماط استخدام الشباب لتطبيق التيك توك والتعرف على دوافع استخدامهم وبيان الاشباعات المتحققة من استخدام تطبيق التيك توك على فئة الشباب. مع رصد الفروق بين درجة الاستخدام والاشباعات المتحققة لدى الشباب المغربي والشباب الفلسطيني.

أهمية الدراسة: تنبع اهمية الدراسة من أهمية الموضوع الذي يطرح من خلال منصة التيك توك وتتمثل في:

1- التعرف على عادات وانماط استخدام الشباب لتطبيق التيك توك

2- معرفة الاشباعات المتحققة من استخدام تطبيق التيك توك.

3- اثراء المكتبة الفلسطينية والمغربية بالعديد من الأبحاث والدراسات.

4- طرح قضية محتوى التيك توك للدراسة والتفحص من قبل الاعلاميين والدارسون.

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة الى التعرف على استخدام تطبيق التيك توك والاشباعات المحققة منه على فئة الشباب الفلسطيني والمغربي. والمتمثلة في:

1- التعرف على عادات وانماط استخدام الشباب لتطبيق التيك توك

2- التعرف على دوافع الاستخدام اليومي لتطبيق التيك توك.

[345] - دراسة هلال بن علي الرشيدي عبد الله بن خميس الكندي(2016)، استخدامات طلبة جامعة السلطان قابوس لشبكات التواصل الاجتماعي الإلكترونية والإشباعات المتحققة، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 13، العدد 1، 2016، ص115-143.

3- التعرف على الاشباعات المتحققة من استخدام تطبيق التيك توك.

تساؤلات الدراسة:

ما استخدام موقع التيك توك لدى الشباب. ويتفرع منه مجموعة من الاسئلة الفرعية.

1- ما هي عادات وانماط استخدام الشباب الفلسطيني والمغربي لتطبيق التيك توك؟

2- ما هي دوافع استخدام الشباب الفلسطيني والمغربي لتطبيق التيك توك؟

3- ما هي الاشباعات المحققة للشباب الفلسطيني والمغربي من استخدام تطبيق التيك توك؟

الإطار النظري للدراسة:

نظرية الاستخدامات والاشباعات: وتركز النظرية على فكرة التعرف على مسوغات استخدام أو عدم استخدام الجمهور لوسائل الإعلام، وأن للجمهور أسباباً ودوافع معينة لاستخدامهم وسائل الإعلام واختيارهم لهذه الوسائل وفقا للمضامين التي تحملها والتي تتناسب مع الحاجات الشخصية الخاصة بهم وتحقيق اشباعات الجمهور من تلك الحاجات.

وتعتمد نظرية الاستخدامات والاشباعات على فكرة أن استخدام الأفراد للرسالة نفسها يمكن أن تختلف باختلاف الأهداف التي يسعى هؤلاء الافراد لتحقيقها، وأن تأثير الوسيلة الإعلامية يرتبط إلى حد كبير بالاختلاف والفروق الفردية القائمة بين الافراد وفي تعاملهم مع الوسيلة.[346].

تعتمد هذه الدراسة على نظرية الاستخدامات والإشباعات والتي تلعب دور رئيسياً في تفسير العلاقة بين المرسل والمستقبل.

فرضيات النظريـة:

تقوم نظرية الاستخدامات والإشباعات على عدة أسس من أبرزها[347]:

1.أعضاء الجمهور مشاركون فاعلون في عملية الاتصال الجماهيري ويستخدمون مواقع الاتصال لتحقيق أهدافهم بصورة تلبي رغباتهم وتوقعاتهم.

(346) سعد سلمان المشهداني، فراس حمود العبيدي، مواقع التواصل الاجتماعي وخصائص البيئة الاعلامية الجديدة، دار أمجد للنشر والتوزيع، المملكة الاردنية الهاشمية ط1، 2020، ص2223.

(347) محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، القاهرة، عالم الكتب، جمهورية مصر العربية، 2000، ص222.

2. الجمهور هو الذي يختار المواقع والمضامين التي تشبع حاجاته واهتماماته، فالأفراد هم اللذين يستخدمون مواقع الاتصال لتحقيق أهدافهم وإشباع رغباتهم، وليست مواقع الاتصال هي التي تستخدم الجمهور.

3. أفراد الجمهور دائما يمكنهم تحديد احتياجاتهم ودوافعهم وبالتالي يختارون المواقع التي تشبع حاجاتهم ورغباتهم.

4. يعتبر استخدام مواقع الاتصال عن الحاجات التي يدركها أعضاء الجمهور ويتحكم في ذلك عوامل الفروق الفردية، وعوامل التفاعل الاجتماعي، وتنوع الحاجات واختلاف الأفراد.

5. تتنافس مواقع الإعلام مع مصادر أخرى في إشباع حاجات الأفراد المتنوعة مثل الاتصال الشخصي والمؤسسات الأكاديمية وغيرها.

دوافع تعرض الجمهور لوسائل الاعلام:

يعرف الدافع بأنه حالة نفسية توجه الفرد إلى القيام بسلوك محدد بهدف إشباع حاجة محددة، وتُصَنِف نظرية الاستخدامات والاشباعات دوافع تعرض الجمهور لوسائل الإعلام إلى دافعين رئيسيين، وهما:

- دوافع نفعية: دوافع اكتساب المعرفة والمعلومات، والتعرف إلى المعلومات والتعرف على الذات، وكسب الخبرات في مجالات الحياة، مثل مشاهدة نشرة الأخبار.
- دوافع طقوسية: تتمثل الدوافع الطقوسية بكسر الملل، وتمضية الوقت، والاسترخاء، والتهرب من واقع الحياة ومشكلاتها، مثل مشاهدة الأفلام والمسلسلات والبرامج الكوميدية.

إشباعات تعرض الجمهور لوسائل الإعلام

تقوم نظرية الاستخدامات والاشباعات على أن الفرد يسعى إلى إشباع حاجات معينة، من خلال اختيار نوع الوسيلة والمحتوى الذي يرغب فيه. وقد قسم لورانس وينر الاشباعات إلى نوعين رئيسين:

اشباعات المحتوى: ترتبط بالمحتوى الذي يُقدم في الوسائل الإعلامية، وتنقسم اشباعات المحتوى إلى قسمين:

اشباعات توجيهية: تتمثل في مراقبة البيئة المحيطة بالفرد والحصول على المعلومات. اشباعات اجتماعية: تتمثل في ربط المتلقي للمعلومات التي يحصل عليها بعلاقاته الاجتماعية.

إشباعات العملية: ترتبط إشباعات العملية بالوسيلة الإعلامية نفسها، وتنقسم إلى: **إشباعات شبه توجيهية:** مثل الحد من الخوف والقلق، وتعزيز الشعور بالذات والدفاع عنها.

اشباعات شبه اجتماعية: حيث تتمثل بزيادة علاقة الفرد بالشخصيات الإعلامية، وتزيد للأشخاص لدراسة المنعزلين اجتماعياً.

نوع الدراسة ومناهجها وأدواتها:

نوع الدراسة:

تندرج هذه الدراسة ضمن البحوث الوصفية التي تستهدف تصوير وتحليل وتقويم خصائص مجموعة معينة أو موقف معين يغلب عليه صفة التحديد، أو دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة الظاهرة، أو موقف، أو مجموعة من الناس، أو مجموعة من الأحداث، أو مجموعة من الأوضاع، وذلك بهدف الحصول على معلومات كافية ودقيقة عنها، ويمتد مجال البحوث الوصفية إلى تصنيف البيانات والحقائق وتفسيرها وتحليلها تحليلاً شاملاً واستخلاص نتائج ودلالات مفيدة تؤدي إلى إمكانية إصدار تعميمات بشأن المواقف أو الظاهرة التي يقوم الباحث بدراستها[348] وتسعى هذه الدراسة إلى وصف استخدام الشباب لتطبيق التيك توك والاشباعات المتحققة.

منهج الدراسة:

المنهج المسحي: هو الطرق والإجراءات والأدوات التي تستخدم لدراسة ظاهرة أو موضوع دراسة وصفية تكشف عما فيه من خصائص ومتغيرات وعلاقات من حيث الشدة والاتجاه، ويتجسد وصف الظاهرة أو الموضوع من خلال جهد علمي منظم يتضمن جمع بيانات كافية ثم تنظيم تلك البيانات ومعالجتها والوصول إلى إجابة حاسمة عن تساؤلات أو التحقق من فروض معينة [349]. وضمن هذا المنهج استخدم الباحثان أسلوب مسح جمهور وسائل الاعلام وهو يعني جمع البيانات والمعلومات من جمهور وسائل الاعلام، ووصف خصائصهم وسلوكهم في إطار النظام الكامل والمجتمع وتسجيل هذه البيانات وتبويبها وتكوين قاعدة معرفية وصفية عن خصائص جمهور وسائل الاعلام [350]، ومن خلال هذا الأسلوب يتم التعرف على استخدام الشباب لتطبيق التيك توك والاشباعات المتحققة من الاستخدام.

اداة جمع البيانات:

348 - سمير حسين(2010)، دراسات في مناهج البحث العلمي: بحوث الإعلام، ط3،عالم الكتب، القاهرة، ص131.
349 - بركات عبد العزيز(2012)، مناهج البحث الإعلامي، الأصول النظرية ومهارات التطبيق، دار الكتاب الحديث: القاهرة، ص37.
350 - محمد عبد الحميد(2000)، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، عالم الكتب : القاهرة.ص167.

استخدم الباحثان صحيفة الاستقصاء للتعرف على دوافع استخدام الشباب لتطبيق التيك توك والاشباعات المتحققة من الاستخدام.

صحيفة الاستقصاء :

وتعد صحيفة الاستقصاء من الأدوات المهمة لجمع المعلومات في بحوث الصحافة والإعلام نظراً لما تتمتع بها من خصائص منهجية توائم بعض الظواهر الإعلامية كما تساعد الباحثين على جمع معلومات من عينة كبيرة العدد [351] .

وتم تصميم صحيفة الاستقصاء الكترونية لقياس أراء الشباب حول دوافع استخدام تطبيق التيك توك والاشباعات المتحققة منه، حيث تم وضع أسئلة من نوع مغلق، مفتوح، اختيار متعدد لإجابة واحدة أو اختيار من متعدد لاختيار أكثر من إجابة.

وتضمنت صحيفة الاستقصاء عدة محاور كما يأتي:

المحور الأول: السمات العامة: يتضمن النوع الاجتماعي والتخصص الجامعي والسنة الدراسية والمحافظة والجامعة.

المحور الثاني: يتضمن عادات وأنماط استخدام الشباب لموقع اليوتيوب

المحور الثالث: دوافع استخدام الشباب لتطبيق التيك توك.

المحور الرابع: يتضمن الاشباعات المتحققة من استخدام الشباب لموقع التيك توك.

حدود الدراسة:

تحاط الدراسة بمجموعة من المحددات وهي:

- **الحد الموضوعي**: اقتصرت هذه الدراسة على معرفة دوافع استخدام الشباب لتطبيق التيك توك.
- **الحد المكاني للدراسة**: حدد الباحثان دولة فلسطين ودولة المغرب مجتمعاً للدراسة .
- **الحد البشري للدراسة**: اقتصرت هذه الدراسة على الشباب المغربي والشباب الفلسطيني.
- **الحد الزماني:** قام الباحثان بتوزيع صحيفة الاستقصاء وتم إجراء المسح الميداني خلال الفترة الزمنية الواقعة بين2022/10/1 حتى 2022/12/3.

351 - محمد عبد الحميد(1992)، بحوث الصحافة، ط1، عالم الكتب: القاهرة. ص106.

- **الحد المؤسساتي:** حدد الباحثان الجامعات الفلسطينية والمغربية لتطبيق الاستبيات.

وفيما يلي عرض لخصائص عينة الدراسة وفق السمات العامة

جدول (1): التوزيع النسبي لعينة الدراسة وفقاً لمتغيراتها

المتغير	التصنيف	العدد	النسبة المئوية (%)
النوع الاجتماعي	ذكر	383	64.2
	أنثى	214	35.8
العمر	من 16- أقل من 20 سنة	169	28.3
	من 20- أقل من 25 سنة	76	12.7
	من 25- 30 سنة	352	59.0
المستوى التعليمي	ثانوي	273	45.7
	جامعي	324	54.3
الجنسية	فلسطيني	323	54.1
	مغربي	274	45.9
المجموع		597	100

حادي عشر: مفاهيم الدراسة:

يعتبر تحديد مفاهيم الدراسة إحدى الخطوات الهامة التي يحتاجها الباحث بهدف الاتفاق على المحددات الخاصة لكل مفهوم، وللتأكيد الاتفاق على هذه المحددات قام الباحثان بتعريف مفاهيم الدراسة وهي كالتالي:

مفهوم الاستخدام: وهو استعمال الشيء أو الوسيلة بهدف تحقيق غاية معينة أو حاجات معينة لدي الأفراد، ونقصد بالاستخدام هنا، عملية التصفح لموقع التيك توك من قبل الشباب، من أجل تحقيق إشباعات معينة عبر جملة من الدوافع.

الشباب: وهي المرحلة العمرية ما بين سن الثامنة عشر والأربعين، وتتميز هذه المرحلة بالنشاط والتنوع.

موقع التيك توك: المعروف في الصين باسم دوين Douyin (بالصينية)، هي خدمة شبكة اجتماعية لمشاركة الفيديو مملوكة لشركة بايت دانس الصينية. تُستخدم منصة الوسائط الاجتماعية لإنشاء مجموعة متنوعة من المقاطع المرئية القصيرة، والتي تتراوح مدتها من 3 ثوانٍ إلى عشر دقائق ([352])

إجراءات الصدق والثبات

1-صدق الاستبانة:

أ. **الصدق من وجهة نظر المحكمين "الصدق الظاهري"**: حيث قام الباحثان بعرض أداة الدراسة في صورتها الأولية على مجموعة من المحكمين بلغ عددهم (7) محكمين، مختصين في مجال الصحافة والإعلام، وبناءً على آراء المحكمين تم تعديل وحذف واضافة ما يلزم على فقرات صحيفة الاستقصاء، حيث اعتمد الباحثان نسبة اتفاق بين المحكمين (80 %) لاعتماد فقرات الاستبانة، ووفق هذه الملاحظات أُخرجت الاستبانة بصورتها النهائية مختلفة عن الصورة الأولية، وبذلك خرجت صحيفة الاستقصاء في صورته النهائية.

ب. **صدق الاتساق الداخلي لفقرات الاستبانة:** يقصد بصدق الاتساق الداخلي، مدى اتساق كل فقرة من فقرات الاستبانة مع المحور الذي تنتمي إليه هذه الفقرة، حيث أسفرت النتيجة أن معاملات الارتباط دالة عند مستوى دلالة (0.05)، حيث إن القيمة الاحتمالية لكل فقرة أقل من (0.05).

2-ثبات فقرات الاستبانة: استخدم الباحثان لقياس ثبات الاستبانة طريقة ألفا كرونباخ حيث بلغت قيمته (0.85)، وباستخدام طريقة التجزئة النصفية بلغت قيمته (0.82)، وقد بينت أن معاملات الثبات مرتفعة مما يدفع الباحثان على استخدام صحيفة الاستقصاء بكل طمأنينة ويمكن تطبيقها بثقة.

نتائج الدراسة الميدانية

يستعرض نتائج الدراسة الميدانية التي أجراها الباحثان على عينة الدراسة والتي بلغت (579) مبحوثاً، وذلك من خلال استعراض أسئلة الدراسة وإجاباتها ومناقشتها والتعليق عليها.

أولاً: عادات وانماط استخدام تطبيق التيك توك:

1. هل تستخدم تطبيق التيك توك؟

جدول (2): استخدام تطبيق التيك توك

[352] - موقع ويكيبيديا،
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D9%8A%D9%83_%D8%AA%D9%88%D9%83

استخدام تطبيق التيك توك	ك	%
نعم	572	95.8
لا	25	4.2
المجموع	597	100

يتضح من الجدول (2) السابق أن أغلب الشباب الفلسطيني والشباب المغربي يستخدمون تطبيق التيك توك بنسبة (84.6%)، فقد انتشر تطبيق التيك توك بشكل كبير في الفترة الأخيرة خصوصاً بين الشباب وأصبح علية إقبال شديد، لتميزه بنشر مقاطع الفيديو القصيرة بسهولة، وسهولة استخدامه، وتتفق هذه الدراسة مع جميع الدراسات السابقة من حيث الاستخدام الكبير لتطبيق التيك توك. وأن ما نسبته (4.2%) لا يستخدمون تطبيق التيك توك.

2. منذ متى تستخدم تطبيق التيك توك؟

جدول (3): بدء استخدام تطبيق التيك توك

بدء استخدام تطبيق التيك توك	ك	%
أقل من سنتان.	484	84.6
من سنتين إلى أقل من أربع سنوات.	47	8.2
من أربع سنوات إلى أقل من ست سنوات.	0	0
من ست سنوات إلى أقل من ثمانية سنوات.	41	7.2
المجموع	572	100

تبين من الجدول (3) أعلاه أن ما نسبته (84.6%) بدأوا استخدام تطبيق التيك توك منذ أقل من سنتان، بينما ما نسبته (8.2%) كانت بدايتهم لاستخدام تطبيق التيك توك تتراوح ما بين سنتين إلى أقل من أربع أعوام، وأن ما نسبته (7.2%) كان بدايتهم لاستخدام تطبيق التيك توك تتراوح ما بين ست سنوات إلى أقل من ثمانية سنوات، فمنذ بداية ظهور تطبيق التيك توك لم يكن له الانتشار الكبير بين الجماهير، لكن في الفترة القليلة التي تتراوح بين سنتين انتشر تطبيق التيك توك بشكل ريع وكبير، لظهور وشهرة عدد كبر من النشطاء والشباب على تطبيق التيك توك.وهذه النتيجة تتفق مع دراسة ولهي كنزة(2021) ([353])، الخاصة بسنوات استخدام التطبيق

3. ما معدل استخدامك اليومي لتطبيق التيك توك بالساعة؟

جدول (4): معدل الاستخدام اليومي لتطبيق التيك توك بالساعة

[353] - ولهي كنزة،(2020)، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة محمد بوضياف المسلية –كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علوم الإعلام والاتصال ،2020.

معدل الاستخدام اليومي لتطبيق التيك توك بالساعة	ك	%*
أقل من ساعتين.	344	60.2
من ساعتين إلى أقل من أربع ساعات.	194	33.9
من أربع ساعات إلى أقل من خمس ساعات.	0	0
خمس ساعات فأكثر.	34	5.9
المجموع	572	100

تبين من الجدول (4) أعلاه أن ما نسبته (60.2) من المستخدمين لتطبيق التيك توك يومياً متوسط عدد ساعات متابعتهم أقل من ساعتين، بينما ما نسبته (33.9%) متوسط عدد ساعات استخدامهم من ساعتين إلى أقل من أربع ساعات، في حين ما نسبته (5.9%) متوسط عدد ساعات استخدامهم خمس ساعات فأكثر، ومن خلال الجدول السابق يتضح أن معدل الاستخدام اليومي الاكثر لتطبيق التيك توكٌ ل من ساعتين، وهذا يفسره بتنوع منصات مواقع التواصل الاجتماعية المختلفة التي يستخدمها الشباب مثل الفيسبوك والتلغرام والواتس والبوتيوب.

4. هل تستخدم تطبيق التيك توك كزائر؟

جدول (5): استخدام تطبيق التيك توك كزائر

استخدام تطبيق التيك توك كزائر	ك	%
نعم	493	86.2
لا	79	13.8
المجموع	572	100

يتضح من الجدول (5) السابق أن أغلب الشباب الفلسطيني والشباب المغربي يستخدمون تطبيق التيك توك كزائر بنسبة (86.2%)، وأن ما نسبته (13.8%) لا يستخدمون تطبيق التيك توك كزائر، من خلال الجدول السابق يتضح ان عينة الدراسة الأكبر تستخدم تطبيق التيك توك دون تسجيل الدخول، والذي يسمح له كزائر بمشاهدة مقاطع الفيديو المعروضة، دون استخدام مميزات البرنامج الأخرى.

5. ما درجة ثقتك بالمضامين التي يقدمها تطبيق التيك توك؟

جدول (6): درجة ثقة الشباب الفلسطيني والشباب المغربي بالمضامين التي يقدمها تطبيق التيك توك.

درجة الثقة	عالية	متوسطة	منخفضة	المجموع	المتوسط الحسابي	الوزن النسبي%	الدرجة
ك	0	454	118	572	1.21	0.40	**منخفضة**

%	0	79.4	20.6	%100			

تبين من الجدول (6) السابق أن عينة الدراسة يثقون بالمضامين التي يقدمها تطبيق التيك توك بدرجة متوسطة في المرتبة الأولى بنسبة (79.4%)، ثم بدرجة منخفضة في المرتبة الثانية بنسبة (20.6%)، في حين لم تحظ درجة الثقة العالية بأي نسبة.

وبشكل عام فقد تبين أن الوزن النسبي يمثل ما نسبته (40%) بدرجة منخفضة مما يدلل على أن درجة الثقة بالمضامين التي يقدمها تطبيق التيك توك كان منخفضاً من قبل أفراد عينة الدراسة.

ثانياً: دوافع استخدام تطبيق التيك توك

1. ما درجة اعتمادك على تطبيق التيك توك كوسيلة للتواصل الاجتماعي؟

جدول (7): درجة اعتماد الشباب الفلسطيني والشباب المغربي على تطبيق التيك توك كوسيلة للتواصل الاجتماعي.

درجة الثقة	عالية	متوسطة	منخفضة	المجموع	المتوسط الحسابي	الوزن النسبي%	الدرجة
ك	52	143	377	572	1.43	0.45	منخفضة
%	9.1	25	65.9	%100			

تبين من الجدول (7) السابق أن عينة الدراسة يعتمدون على تطبيق التيك توك كوسيلة للتواصل الاجتماعي بدرجة منخفضة في المرتبة الأولى بنسبة (65.9%)، ثم بدرجة متوسطة في المرتبة الثانية بنسبة (25%)، ثم بدرجة عالية في المرتبة الثالثة بنسبة (9.1%).

وبشكل عام فقد تبين أن الوزن النسبي يمثل ما نسبته (45%) بدرجة منخفضة مما يدلل على أن درجة اعتماد الشباب الفلسطيني والشباب المغربي على تطبيق التيك توك كوسيلة للتواصل الاجتماعي كان منخفضاً من قبل أفراد عينة الدراسة.

2. ما دوافع استخدامك تطبيق التيك توك؟

جدول (8): دوافع استخدام تطبيق التيك توك.

دوافع الاستخدام	ك	% *	الترتيب
الحصول على معلومات وثقافات جديدة.	211	36.9	3
البحث عن التسلية والترفيه.	461	80.6	1

البعد عن الملل والهروب من الواقع.	259	45.3	2
التواصل مع الآخرين وتكوين صداقات جديدة.	49	8.6	7
متابعة المشاهير والمواهب.	69	12.1	4
تحقيق الشهرة والنجومية.	60	10.5	5
كسب المال والشهرة.	34	5.9	8
التخلص من الفراغ العاطفي والاجتماعي	55	9.6	6

***الإجابات من اختيار متعدد وقد تم احتساب النسبة من 572**

يوضح الجدول (8) دوافع استخدام تطبيق التيك توك، حيث جاءت الفقرة " البحث عن التسلية والترفيه" في المرتبة الأولى بنسبة (80.6%)،وهذا يفسر استخدام تطبيق التيك توك من قبل الشباب للبحث عن التسلية والترفيه، حيث يتصفح الفرد لمقاطع الفيديو المعروضة للترفيه. والمحتوى الذي يقدمه تطبيق التيك توك ليس محتوى جاد بشكل كبير، ولكن يغلب علية صفة التسلية. والمغامرات، ثم تلتها الفقرة" البعد عن الملل والهروب من الواقع "حيث احتلت المرتبة الثانية بنسبة (45.3%)، بينما جاءت في المرتبة الأخيرة الفقرة " كسب المال والشهرة " بنسبة (5.9%).

ثالثاً: الاشباعات المتحققة من استخدام تطبيق التيك توك.

1. **ما درجة الاشباع التي يحققها تطبيق التيك توك؟**

جدول (9): درجة الاشباع التي يحققها تطبيق التيك توك

درجة الاشباع التي يحققها تطبيق التيك توك	ك	%
عالية	191	33.4
متوسطة	323	56.5
منخفضة	58	10.1
المجموع	572	100

يتضح من الجدول (9) السابق أن درجة الاشباع التي يحققها تطبيق التيك توك جاءت متوسطة بنسبة (56.5%)، وأن ما نسبته (33.4%) درجة الاشباع لديهم عالية، وأن ما نسبته (10.1%) درجة الاشباع لديهم منخفضة. من خلال الجدول السابق نجد أن عينة الدراسة قد حصلت على درجة اشباع متوسطة من استخدام تطبيق التيك توك، وهذا يعني ان التطبيق ساهم في اشباع رغبات بعض افراد العينة، من خلال عرض الفيديوهات والبحث عن التسلية والترفيه وقضاء وقت الفراغ.

2. ما أبرز الاشباعات التي حققتها من استخدامك تطبيق التيك توك؟

جدول (10): أبرز الاشباعات التي حققتها من استخدامك تطبيق التيك توك

أبرز الاشباعات	ك	%	الترتيب
اجتماعية	365	63.8	3
ثقافية	394	68.9	2
ترفيهية	425	74.3	1
اقتصادية	292	51.1	6
رياضية	340	59.4	4
دينية	316	55.2	5
نفسية	106	18.5	7
عاطفية	82	14.3	8

***الإجابات من اختيار متعدد وقد تم احتساب النسبة من 572**

يوضح الجدول (10) أبرز الاشباعات التي حققتها من استخدامك تطبيق التيك توك، حيث جاءت الاشباعات " ترفيهية " في المرتبة الأولى بنسبة (74.3%)، يتضح من خلال الجدول السابق أن أهم دوافع استخدام تطبيق التيك توك هو التسلية والترفيه، وهنا نجد أن تطبيق التيك توك قد اشبع رغبات الافراد في الحصول على الترفيه في المقام الأول وبنسبة عالية، وهذه النتيجة تتفق مع دراسة فاطمة الزهراء جنحي، خولة بوعروج(2022)، ([354])، و دراسة ولهي كنزة(2021) ([355]). الخاصة بالاشباعات المتحققة من استخدام تطبيق التيك توك.

. تلتها الاشباعات " ثقافية" حيث احتلت المرتبة الثانية بنسبة (68.9%)، بينما جاءت في المرتبة الأخيرة الاشباعات " عاطفية " بنسبة (14.3%).

3. ما الحاجات التي ترى أن تطبيق التيك توك يلبيها لك؟

جدول (11): الحاجات التي يلبيها تطبيق التيك توك

الحاجات التي يلبيها تطبيق التيك توك	ك	%	الترتيب
الشهرة	35	6.1	4
كسب المال	20	3.5	5
الراحة النفسية	15	2.6	6
تكوين الصداقات	36	6.3	3

[354] - فاطمة الزهراء جنحي، خولة بوعروج،(2022) استخدام الشباب الجزائري لتطبيق التيك توك والإشباعات المحقق منه، كلية علوم الاعلام والاتصال، جامعة صالح بوبنيدر قسنطينة3، الجزائر،

[355] - ولهي كنزة،(2020)، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة محمد بوضياف المسلية –كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علوم الإعلام والاتصال ،2020.

قضاء وقت الفراغ	275	48.1	1
التعرف على ثقافات جديدة	191	33.4	2
المجموع	572		100

يوضح الجدول(11) الحاجات التي يلبيها تطبيق التيك توك، حيث جاءت الفقرة " قضاء وقت الفراغ " في المرتبة الأولى بنسبة (48.1%)، وهذا يفسر الجدول السابق الخاص بدوافع الاستخدام من قبل أفراد العينة، تلتها الفقرة" التعرف على ثقافات جديدة" حيث احتلت المرتبة الثانية بنسبة (33.4%)، بينما جاءت في المرتبة الأخيرة الفقرة " الراحة النفسية " بنسبة (2.6%).

4. ما هو تقيمك لتطبيق التيك توك كمتصفح وكمستخدم من حيث المحتوى؟

جدول (12): تقيم الشباب الفلسطيني والمغربي لتطبيق التيك توك كمتصفح وكمستخدم من حيث المحتوى

التقييم لتطبيق التيك توك كمتصفح وكمستخدم من حيث المحتوى	ك	%
جيد	112	19.6
متوسط	350	61.2
سيئ	110	19.2
المجموع	572	100

يتضح من الجدول (12) السابق أن تقيم الشباب الفلسطيني والمغربي لتطبيق التيك توك كمتصفح وكمستخدم من حيث المحتوى كان جيداً بنسبة (19.6%)، وأن ما نسبته (61.2%) كان تقييمهم متوسطاً، وأن ما نسبته (19.2%) كان تقييمهم سيئاً. من خلال الجدول نجد أن تطبيق التيك توك اشبع بعض الحاجات والرغبات عند الأفراد التي منها التسلية وقضاء وقت الفراغ والتخلص من الملل، وبذلك كان التطبيق يلبي رغبات المستخدم حسب حاجاته فجاءت نسبة الرضي متوسطة عن التطبيق من حيث المحتوى بدرجة عالية.

5. هل أثر تطبيق التيك توك على حياتك أو نمط تفكيرك؟

جدول (13): أثر تطبيق التيك توك على حياة أو نمط التفكير

أثر تطبيق التيك توك على حياة أو نمط التفكير	ك	%
نعم	24	4.2
لا	548	95.8
المجموع	572	100

يتضح من الجدول (13) السابق أن الشباب الفلسطيني والشباب المغربي يؤثر تطبيق التيك توك على حياة أو نمط التفكير لديهم بنسبة (4.2%)، وأن ما نسبته (95.8%) لا يؤثر تطبيق التيك توك على حياتهم أو نمط تفكيرهم، وذلك لان المحتوى المقدم من خلال هذا التطبيق خصص للتسلية والترفيه، وان المستخدم يتعامل ايضا مع هذا المحتوى على اسا التسلية والترفيه فقط، وهو يعلم حاجاته من استخدام التطبيق، أي أن المستخدم واع لعملية الاستخدام حسب حاجاته ورغباته.

6. عند غياب تطبيق التيك توك تشعر بـ

جدول (14): الشعور عند غياب تطبيق التيك توك

الشعور عند غياب تطبيق التيك توك	ك	%
القلق والتوتر	58	10.1
الفراغ والملل	123	21.5
لا شيء	391	68.4
المجموع	572	100

يوضح الجدول (14) شعور الشباب الفلسطيني والشباب المغربي عند غياب تطبيق التيك توك، حيث جاءت الفقرة " لا شيء" في المرتبة الأولى بنسبة (68.4%)، تلتها الفقرة" الفراغ والملل " حيث احتلت المرتبة الثانية بنسبة (21.5%)، بينما جاءت في المرتبة الأخيرة الفقرة " القلق والتوتر " بنسبة (10.1%).

من خلال الجدول السابق نجد أن تطبيق التيك توك لا يؤثر على حياة الاشخاص وبالتالي غياب الشخص عن استخدام التطبيق لا يؤثر عليه بشكل كبير، بسبب استخدام التطبيق ولدى الشخص معرفة بالمحتوى الذي يقدم من خلال هذا التطبيق وبالتالي ليس لدية رغبة في التوحد والانسجام مع ما يعرض من خلاله، بل يستخدمه للترفيه التسلية أو لكسب الشهرة والمال.

7. ما سبب عدم استخدامك تطبيق التيك توك؟

جدول (15): سبب عدم استخدام تطبيق التيك توك.

سبب عدم استخدام تطبيق التيك توك	ك	% *	الترتيب
ليس لدي وقت كافي.	8	32	3
المحتوى غير لائق.	15	60	1
غير مهتم بالمحتوى الذي يعرض.	11	44	2

ضعف الانترنت.	1	4	5
استخدم تطبيق آخر.	4	16	4

***الإجابات من اختيار متعدد وقد تم احتساب النسبة من 25**

يوضح الجدول (15) سبب عدم استخدام تطبيق التيك توك، حيث جاءت الفقرة " المحتوى غير لائق" في المرتبة الأولى بنسبة (60%)، تلتها الفقرة" غير مهتم بالمحتوى الذي يعرض "حيث احتلت المرتبة الثانية بنسبة (44%)، بينما جاءت في المرتبة الأخيرة الفقرة " ضعف الانترنت" بنسبة (16%).

من خلال هذا الجدول نجد أن بعض افراد العينة لا يستخدم التطبيق بسبب المحتوى الذي يقدمه تطبيق التيك توك، وهذه الفئة تمتنع عن استخدام التطبيق بشكل كامل، بسبب المحتوى الهابط الذي يقدم من خلال منصة التيك توك.

أهم نتائج الدراسة الميدانية

1- أن أغلب الشباب الفلسطيني والشباب المغربي يستخدمون تطبيق التيك توك بنسبة (84.6%) من أفراد العينة.
2- أن ما نسبته (84.6%) بدأوا استخدام تطبيق التيك توك منذ أقل من سنتان،
3- أن ما نسبته (60.2) من المستخدمين لتطبيق التيك توك يومياً متوسط عدد ساعات متابعتهم أقل من ساعتين
4- أن أغلب الشباب الفلسطيني والشباب المغربي يستخدمون تطبيق التيك توك كزائر بنسبة (86.2%)،
5- أن عينة الدراسة يثقون بالمضامين التي يقدمها تطبيق التيك توك بدرجة متوسطة في المرتبة الأولى بنسبة (79.4%)،
6- أن درجة اعتماد الشباب الفلسطيني والشباب المغربي على تطبيق التيك توك كوسيلة للتواصل الاجتماعي كان منخفضاً من قبل أفراد عينة الدراسة.
7- دوافع استخدام تطبيق التيك توك، حيث جاءت الفقرة " البحث عن التسلية والترفيه" في المرتبة الأولى بنسبة (80.6%)،
8- أن درجة الاشباع التي يحققها تطبيق التيك توك جاءت متوسطة بنسبة (56.5%)

9- أبرز الاشباعات التي حققتها من استخدامك تطبيق التيك توك، حيث جاءت الاشباعات " ترفيهية " في المرتبة الأولى بنسبة (74.3%)،

10- الحاجات التي يلبيها تطبيق التيك توك، حيث جاءت الفقرة " قضاء وقت الفراغ " في المرتبة الأولى بنسبة (48.1%)،

11- أن تقيم الشباب الفلسطيني والمغربي لتطبيق التيك توك كمتصفح وكمستخدم من حيث المحتوى كان جيداً بنسبة (19.6%)،

12- أن الشباب الفلسطيني والشباب المغربي يؤثر تطبيق التيك توك على حياة أو نمط التفكير لديهم بنسبة (4.2%)،

13- أن الشباب الفلسطيني والشباب المغربي لا يؤثر تطبيق التيك توك على حياة أو نمط التفكير لديهم بنسبته (95.8%).

14- شعور الشباب الفلسطيني والشباب المغربي عند غياب تطبيق التيك توك، حيث جاءت الفقرة " لا شيء" في المرتبة الأولى بنسبة (68.4%)،

15- سبب عدم استخدام تطبيق التيك توك، حيث جاءت الفقرة " المحتوى غير لائق" في المرتبة الأولى بنسبة (60%).

توصيات الدراسة:

من خلال نتائج الدراسة التي تهدف للتعرف على دوافع الاستخدام من قبل المستخدمين إشباع تلك الحاجات، يقدم الباحثان مجموعة من التوصيات:

1- تدريس مادة التربية الإعلامية للشباب في مختلف التخصصات لتحقيق فهم أعمق لمحتوى الرسالة، والتعامل الآمن مع وسائل التواصل المختلفة وبينها تطبيق التيك توك للمحافظة على البيئة العربية وعاداتها وتقاليدها.

2- ضرورة تركيز الآباء والأمهات على توعية أبناءهم ضرورة محاربة مقاطع الفيديو المسيئة والتي تخرج عن العادات والتقاليد العربية، من قبل الأفراد والمؤسسات المعنية .

3- الاستفادة من تطبيق التيك توك في عملية التنمية المجتمعية والتنمية الشاملة، في قطاع الصحة والتعليم والصناعة.

4- كما يوصي الباحثان بوضع قيود تشريعية وقانونية ومواثيق أخلاقية تجرم نشر كل ما يسيئ للمجتمع ، وكل ما هو خارج عن الآداب العامة على منتجي مقاطع الفيديو وأن يتم التعامل مع الخارجين وفق القانون .

المراجع:

1- اسماء لعمور، نحال سناء، تأثير وسائط التواصل الرقمية على القيم الاجتماعية لدى المراهق الجزائري، التيك توك نموذجاً، المجلة الدولية للاتصال الاجتماعي، المجلد 9، العدد 2، ص242،ص257.

2- حسين، المرجع السابق (ص164).

3- سمير حسين(2010)، دراسات في مناهج البحث العلمي: بحوث الإعلام، ط3،عالم الكتب، القاهرة.

4- دراسة هلال بن علي الرشيدي عبد الله بن خميس الكندي(2016)، استخدامات طلبة جامعة السلطان قابوس لشبكات التواصل الاجتماعي الإلكترونية والإشباعات المتحققة، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 13، العدد 1، 2016، ص115-143.

5- زهير محمد عثمان جار النبي(2021)، الاشباعات المتحققة من استخدام شبكات التواصل الاجتماعي لدى طلاب الجامعات السودانية، دراسة ميدانية ،مجلة الدراسات الاعلامية، المركز الديمقراطي العربي، برلين ، ألمانيا- العدد الرابع عشر /فبراير 2021.ص206

6- سعد سلمان المشهداني، فراس حمود العبيدي(2020)، مواقع التواصل الاجتماعي وخصائص البيئة الاعلامية الجديدة، دار أمجد للنشر والتوزيع، المملكة الاردنية الهاشمية ط1، 2020، ص2223.

7- محمد عبد الحميد(2000)، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، عالم الكتب :القاهرة.

8- محمد عبد الحميد(1992)، بحوث الصحافة، ط1، عالم الكتب: القاهرة.

9- بركات عبد العزيز(2012)، مناهج البحث الإعلامي، الأصول النظرية ومهارات التطبيق، دار الكتاب الحديث: القاهرة .

10- فاطمة الزهراء جنحي، خولة بوعروج،(2022) استخدام الشباب الجزائري لتطبيق التيك توك والإشباعات المحقق منه، كلية علوم الاعلام والاتصال، جامعة صالح بوبنيدر قسنطينة3، الجزائر،

11- محمد عبد الحميد(2000)، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، القاهرة، عالم الكتب، جمهورية مصر العربية، 2000، ص222.

12- موقع ويكيبيديا، https://ar.wikipedia.org

13- نهى عادل هريدي،(2022)، هوس وإدمان الشباب الجامعي لتطبيق تيك توك، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد 80، الجزء الثاني- المجلد الثالث، يوليو سبتمبر 2022. ص1385،ص1419.

14- ولهي كنزة،(2020)، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة محمد بوضياف المسلية –كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علوم الإعلام والاتصال ،2020.

بحوث باللغات اجنبية

La formation d'une presse nationale. Le parcours du quotidien « An Nasr », de l'arabisation en 1972 à la veille d'Octobre 1988

The formation of a national press.
The course of the daily newspaper "An Nasr",
from the Arabisation in 1972 to the eve of October 1988

إنشاء صحافة وطنية

مسيرة جريدة " النصر" اليومية،

من التعريب عام 1972 إلى عشية أكتوبر 1988

Samir Merdaci
Maître de conférences HDR, Université Constantine 3-Salah Boubnider

Résumé : Le 3 janvier 1972, paraît le premier numéro du quotidien « An Nasr » totalement arabisé, succédant à l'édition en langue française créée le 28 septembre 1963 après la nationalisation du journal privé « La Dépêche de Constantine et de l'Est algérien », longtemps porte-parole et zélateur de la colonisation française de l'Algérie. S'il a pu hériter du patrimoine mobilier et immobilier du journal colonial, ce nouveau journal, épousant les statuts juridiques de son prédécesseur, n'a bénéficié de la transmission d'aucun modèle journalistique, naissant dans le dénuement culturel. À l'inexpérience journalistique d'une arabisation décidée dans l'urgence politique se rajoutait une gouvernance administrative et rédactionnelle fluctuante qui en a grevé le développement. Cette étude décrit, de 1972 à 1988, de l'arabisation du titre à la veille des émeutes d'Octobre 1988, qui transforment le pays, les marqueurs spécifiques (histoire, gouvernance, modèle économique), d'un journal qui a trouvé dans la proximité d'un supplément sportif hebdomadaire (« El Hadef », 1972-1997) un soutien dans sa très relative expérience de presse publique nationale.

Mots-clés : Arabisation d'« An Nasr » – Société nationale de presse – Parcours d'un quotidien – Gouvernance médiatique – Supplément sportif.

Abstract: On 3 January 1972, the first issue of the fully Arabicised daily "An Nasr" appeared, succeeding the French-language edition created on 28 September 1963 after the nationalisation of the privately-owned newspaper "La Dépêche de Constantine et de l'Est algérien", which had long been the mouthpiece and zealot of French colonisation of Algeria. Although it was able to inherit the movable and immovable assets of the colonial newspaper, this new paper, which adopted the legal status of its predecessor, did not benefit from the transmission of any journalistic model, being born into cultural destitution. In addition to the journalistic inexperience of an Arabisation decided on in a political emergency, the newspaper's development was hampered by fluctuating administrative and editorial governance. This study describes, from 1972 to 1988, from the Arabisation of the title to the eve of the riots of October 1988, which transformed the country, the specific markers (history, governance, economic model) of a newspaper which found support in the proximity of a weekly sports supplement ("El Hadef", 1972-1997) in its very relative

experience as a national public press.

Keywords: Arabisation of An Nasr – National Society of press - Daily newspaper - Media governance - Sports supplement

ملخّص: في 3 يناير 1972، ظهر العدد الأول من صحيفة "النصر" اليومية المُعرَّبة بالكامل، خلفًا للطبعة الفرنسية الصادرة في 28 سبتمبر 1963 بعد تأميم الجريدة الخاصة "La Dépêche de Constantine et de l 'Est algérien" التي كانت مدة طويلة ناطق و سند للاستعمار الفرنسي للجزائر. حيث استفادت من وراثة التراث المنقول و غير المنقول للصحيفة الاستعمارية، فإن هذه الصحيفة الجديدة، التي تتبنى الوضع القانوني لسابقتها، لم تستفد من نقل أي نموذج صحفي، و ولدت في حرمان ثقافي. و يضاف إلى قلة الخبرة الصحفية في التعريب الذي تم تحديده على أساس إلحاح سياسي، عدم استقرار إداري و تحريري، مما أعاق تطورها. تصف هذه الدراسة، من عام 1972 إلى عام 1988، من تعريب العنوان إلى عشية أحداث شغب أكتوبر 1988، التي غيرت البلاد، العلامات المحددة (التاريخ، و الحكم، و النموذج الاقتصادي)، لصحيفة وجدت بالقرب من ملحق رياضي أسبوعي ("الهدف"، 1972-1997) دعم لتجربته النسبية في الصحافة الوطنية العامة.

الكلمات المفتاحية : تعريب "النصر" - شركة صحافة وطنية – مسيرة جريدة يومية - حكم الإعلام، ملحق رياضي

Introduction

À la veille de l'indépendance nationale de l'Algérie, le 3 juillet 1962, et de manière précise depuis la signature des Accords d'Évian, le 18 mars 1962, le vaste réseau de journaux coloniaux, comportant des centaines de titres à l'Ouest, au Centre et à l'Est du pays, va disparaître. Seuls quelques grands titres de la presse quotidienne coloniale subsistent dans le pays libre et souverain, ainsi « La Dépêche d'Algérie », à Alger, « L'Écho d'Oran » et « La Dépêche de Constantine et de l'Est algérien », publication de premier rang appartenant à la famille Morel, qui l'a créé en 1908. Le 3 juillet 1962, le journal, porte-parole du gros colonat et zélateur de la colonisation française de l'Algérie, change de fusil d'épaule et commente les premières heures de l'indépendance sans sourciller. Les propriétaires du titre, notamment Léopold Morel, leur dernier survivant, entendaient en garder vaille que vaille la maîtrise, quitte à s'adapter au nouveau pouvoir de ceux qui étaient désignés dans les colonnes de leur journal comme des « fellaghas », des « rebelles » et des « terroristes ». Situation, certes

ambigüe, rendue possible par une évidente impréparation des nouvelles autorités et de l'absence d'orientations relativement à l'organisation de la presse.

Le 17 septembre 1963, plus d'une année après l'indépendance, était annoncée la nationalisation de « La Dépêche de Constantine et de l'Est algérien » par une décision du Bureau politique du Front de libération nationale réuni le 15 septembre 1962 en marge de l'élection d'Ahmed Ben Bella à la présidence de la République et de la formation de son gouvernement. Conformément aux Décrets de mars 1963, le quotidien est inscrit dans la liste de l'Office des Biens vacants de l'État et la propriété de son patrimoine était dévolue au parti unique, qui en assurait la direction. Le 28 septembre 1963, « An Nasr » (La Victoire), succédant à l'ancien quotidien colonial, sortait son premier numéro. L'ébauche d'une presse nationale de portée locale et régionale pouvait commencer à Constantine dans un contexte de réel dénuement : il n'y avait ni journalistes professionnels ni équipes techniques des ateliers de fabrication réellement formés. Ces lacunes fondamentales, au commencement du nouveau titre, n'étaient pas surmontées : elles allaient sur le long terme, de l'expérience du quotidien en langue française, le 28 septembre 1963, à son arabisation totale le 3 janvier 1972, puis dans son long parcours jusqu'à la veille d'Octobre 1988 et la libéralisation du secteur de la presse par la Constitution de février 1989, obérer la marche de l'unique quotidien de l'Est algérien.

Cette étude a pour objectif de retracer dans son temps la formation d'un nouveau journal arabisé, remplaçant les titres francophones « La Dépêche de Constantine et de l'Est algérien » (3 juillet 1962-17 septembre 1963) et « An Nasr » (28 septembre 1963-31 décembre 1971). Dans le champ de la recherche, plusieurs travaux ont été consacrés spécialement à des analyses de contenu ou à l'inventivité lexicale des articles de presse publiés en Algérie. Les études de cas sont rares pour citer, au premier plan, la volumineuse thèse de Youcef Aggoun, sous la direction de Pierre Albert, intitulée « El Moudjahid. Monographie du quotidien national algérien de langue française de sa création à nos jours (1965-1990), soutenue en 1991 à l'Université Paris 2 ; ensuite, « L'Étude bibliométrique des archives du journal ‘‘El Moudjahid ‘’, de 1956 à 1962 » d'Abdelkrim Terrar (2014) reste un modèle de description morphologique d'un titre de presse ; enfin « La presse écrite en Algérie : positionnements médiatiques et enjeux linguistiques » de Hadj Miliani (2013) détermine l'insertion culturelle de la presse. Ce sont trois orientations de lecture socio-historique de la presse en Algérie, qui prolongent les premiers travaux de Zahir Ihaddaden (1980) sur la presse indigène dans l'Algérie coloniale et l'importante

somme monographique de la presse en langue arabe d'Algérie de Zoubir Seif El Islam[356].

Le questionnement envisagé ici s'en rapproche, car il s'agit de marquer à partir de quels capitaux a pu se former et évoluer un titre de presse dans un contexte de changement culturel radical, de la langue aux équipes et à une conception inédite de l'entreprise de presse. Le journal « An Nasr » est projeté dans une période typique de l'histoire de la presse nationale, de son lancement en 1972 à la veille du changement politique rendu possible par la nouvelle Constitution du 23 février 1989 qui consacre l'expression politique et autorise la création de titres de presse de statut privé. « An Nasr » a exercé jusqu'alors sous le régime du monopole de la presse étatique et partisane.

L'intérêt de cette étude, qui fixe une page de l'histoire de la presse nationale, est d'être essentiellement descriptive, attachée à l'identification des faits. Elle porte ainsi davantage sur l'institution de presse que sur des contenus d'articles liés aux attentes politico-idéologique de la période. C'est, effectivement, un biais méthodologique à considérer. Selon Pierre Albert, cité par Maurice Mouillaud (1968 : 62), il convient d'éviter le risque de confusion entre l'écriture de l'histoire de la presse et celle de l'histoire de la société à travers les contenus des journaux :

L'historien de la presse est sans cesse obligé de limiter arbitrairement ses recherches dans les journaux : il doit tirer de ses lectures les renseignements intéressant la vie même des journaux et celle de la presse et résister à la tentation qui est grande (...) de vouloir étudier tous les problèmes que pose à sa conscience d'historien l'actualité qu'il redécouvre dans les vieux journaux : faire l'histoire de la presse et non l'histoire à travers la presse.

La démarche méthodologique proposée par Jacques Kayser (1967) dans son enquête sur le quotidien français (1967) reste suffisamment souple ; le premier axe de cette enquête, spécifiquement axé sur l'identité de l'institution de presse, est repris et adapté en fonction de l'objet de l'étude (histoire du titre, de sa structure de gestion et de ses ressources financières) en s'attachant à quatre flux spécifiques qui en décrivent le parcours : 1°) le contexte sociopolitique et médiatique de la création du journal arabisé et la définition de ses options ; 2°) l'instabilité de son encadrement ; 3°) ses aspects commerciaux et financiers; 4°)

[356] Dans « Histoire de la presse en Algérie » (Alger, SNED, 1982) et « Pionniers de la presse en Algérie » (Le Caire, Dar El Chaab, 1981), l'auteur met en perspective le long cheminement de la presse nationale et de ses acteurs. Ce travail d'élaboration d'une mémoire vive de la presse n'a pas été prolongé par l'Université algérienne et semble, aujourd'hui, oublié.

ses perspectives de développement à travers la création d'un supplément d'information sportives, « El Hadef » (1972-1992). Ces quatre étapes sous-tendent le plan de l'étude.

1. *L'arabisation de la presse régionale : une décision politique*

L'arabisation des quotidiens régionaux de l'Est et de l'Ouest algérien est un vœu du comité central du FLN, vite mis en œuvre par le gouvernement du président Boumediene et le ministère de l'information et de la Culture, dirigé par Ahmed Taleb Ibrahimi. Si l'arabisation d'An Nasr, quotidien de Constantine, devait être immédiate et prendre effet dans le courant de l'année 1971, celle du quotidien oranais « La République » n'était concrétisée que le 1er janvier 1977, sous la dénomination « El Djoumhouria », au terme de cinq années de battement et de préparation.

Envisagée au début de l'année 1971, l'arabisation du quotidien « An Nasr » en langue française, était programmée en deux étapes : partiellement, le 1er juillet 1971, et, totalement, le 3 janvier 1972. Les motivations qui entourent cette décision sont assez nombreuses, et elles furent plus d'ordre politique que culturel (Grandguillaume, 1983 : 95-134). Le changement de langue a forcé le départ de tous les éléments de la rédaction du quotidien en langue française. Il est exceptionnel de souligner que la même situation a prévalu lors du passage de « La Dépêche de Constantine et de l'Est algérien » à « An Nasr » en langue française et de ce dernier à sa version arabisée. Hors du patrimoine immobilier et mobilier, notamment le matériel de composition (linotypes), les rotatives de l'imprimerie et le bélinographe, aucune expérience journalistique avérée n'a été transmise.

Si l'information est la préoccupation primordiale du quotidien arabisé, il n'a bénéficié au moment de son lancement d'aucune culture journalistique avérée et le lien de l'ancienne à la nouvelle rédaction est ténu. À l'exception de Mohamed Kimouche, nouvelle recrue d'« An Nasr » en langue française, qui a exercé principalement à la rubrique magazine, qui ne publiait pas d'articles rédactionnels originaux, où aucune signature n'apparaissait, il n'y avait aucun journaliste aguerri qui aurait pu encadrer des aspirants à la profession. Le sociologue Rémy Rieffel (2001 : 88-115) a recensé les critères normatifs de la qualification sociale du journaliste dans les sociétés d'Occident : ainsi l'origine sociale, la formation au métier dans les Universités, la perception des pratiques du journalisme, les interdépendances avec les champs politique et économique, décident de la culture des acteurs du champ journalistique. Rien de tel dans

l'expérience constantinoise. « An Nasr » en langue arabe commençait son parcours dans un total dénuement humain[357]. Il lui a fallu reconstituer l'équipe rédactionnelle et les services de l'imprimerie, notamment la linotypie. Dans les faits, un journal nouveau naissait dans l'urgence et il est malaisé de lui assigner l'héritage du journal francophone dont il a gardé le nom.

Face à cette vacuité, le ministère de l'information fait appel au journaliste d'« El Moudjahid », Amar Ferrah dit Abdelali, né en 1937 à Canrobert (Oum El Bouaghi), pour conduire le projet, succédant, le 4 mai 1972, à Abdelhadi Benazzouz, directeur du titre francophone maintenu provisoirement. À trente-cinq ans, Abdelali Ferrah est un vieux routier de la presse, ayant participé à la création des premiers titres du FLN, à Alger, doublé d'un militant de la guerre d'indépendance. Il est assisté dans la gestion administrative du quotidien par Chérif Djilani (né en 1932), jusqu'alors directeur de Théâtre régional de Constantine, un des animateurs-clé du théâtre constantinois, qui a débuté dans le septième art sous la férule d'Ahmed Rédha Houhou dans les séances récréatives d'Ettarbiya oua Etta'lim, l'école des réformistes musulmans. Il importait de donner une expression concrète à ce qui n'était qu'une perspective idéologique et politique encore incertaine. Mais il était nécessaire de donner du temps à cette direction pour poser les jalons d'une publication durable.

Il n'est pas sûr que cette arabisation menée au forceps, qui relevait de la stricte décision du parti FLN, rendue urgente par les pressions dans ses rangs des multiples courants, notamment religieux, issus de vieux oulémas badissiens qui pouvaient s'émouvoir et dénoncer une tentation laïciste chez le pouvoir, ait été rationnellement pensée et préparée. De fait, dès le départ, le journal ne retrouvait pas le nombre de lecteurs présumé du titre francophone et ses tirages de la première année s'effondraient, passant de 26000 exemplaires / jour à près de 5000. Longtemps, les relevés de tirage quotidien oscillaient entre 5 000 et 11 000 exemplaires. Il convenait de tout recommencer. Toutefois, du point de vue institutionnel, l'arabisation du titre n'entrainait pas une modification de statut : « An Nasr » continuait à fonctionner sous les dispositions de l'ordonnance lui conférant le statut de société nationale en date du 16 novembre 1967.

[357] Avant la promulgation du Code de l'information de 1982, remplaçant celui de 1968, il n'y a pas en Algérie une pratique socialement réglementée du journalisme. La majorité des journalistes employés dans les entreprises de presse dans les premières décennies de l'indépendance ne sont pas professionnellement qualifiés et ont « formés sur le tas ». Bien qu'il ait existé une École supérieure de journalisme fondée à Alger agréée par l'Université (Cf. Ahmed Ancer, 2001), aucun de ses diplômés n'est venu renforcer la rédaction constantinoise. Dans *Sociologie du journalisme* (2001 : 25), Érik Neveu indique que toutes les formes de précarité du métier de journaliste sont grosses de dérives. À « An Nasr », la formation in situ de journalistes, éloignée de tout ancrage théorique, ne garantit pas de sûres trajectoires dans la profession.

1.1. La création d'un nouveau journal

Constantine, mais aussi l'Est algérien, étaient (et restent) réputés comme des places fortes de l'arabisme et de l'arabité depuis l'action de cheikh Abdelhamid Ben Badis et des Oulémas musulmans d'Algérie dans les années 1920-1930. Il était alors tout à fait symbolique pour le ministre de l'Information et de la Culture Ahmed Taleb Ibrahimi, fils du chef des Oulémas Bachir Ibrahimi (1889-1965), d'en faire une ville-test pour l'arabisation de la presse. Elle le fut aussi, lors de l'arabisation de l'environnement, en 1975.

Du quotidien en langue française au quotidien arabisé, « An Nasr » conserve les mêmes dispositions juridiques qui l'ont crée par l'ordonnance n° 67-253 du 16 novembre, signée par Houari Boumediene, chef du gouvernement, président du Conseil de la Révolution. Les statuts du journal annexés à cette ordonnance définissent son champ d'action. L'article 1er du dit statut stipule que « An Nasr Presse est une société nationale à caractère industriel et commercial, dotée de la personnalité morale et de l'autonomie financière », « placée sous la tutelle du ministre de l'information ». L'article 3 précise l'objet de la société nationale An Nasr Presse : « 1°) Informer par une diffusion périodique de toutes les nouvelles nationales ou internationales, commentaires, études ou documentation écrites ou photographiques » ; 2°) Publier et commenter, dans le cadre des options du pays, toutes décision, campagnes ou déclarations concernant les différents secteurs de la vie nationale (politique, économique, sociale, culturelle, etc. ». L'alinéa 2 de cet article marque une limitation de poids à l'information qui s'exerce « dans le cadre des options du pays ». Or, ces options qui ne sont pas spécifiées relèvent du socialisme, déjà mentionné dans les résolutions du dernier Congrès du Conseil national de la Révolution (CNRA), qui s'est tenu à Tripoli (Libye), du 27 mai au 7 juin 1962, dans les Décrets de mars 1963 et dans la Charte d'Alger (avril 1964).

Cette feuille de route statutaire, appliquée au titre en langue française, le sera au quotidien arabisé. La création d'une rédaction en langue arabe, qui devait crédibiliser le titre et s'engager dans les voies politico-idéologiques du pouvoir d'État du pays, s'est faite par à-coups ; il y a ainsi les « anciens », ceux qui ont participé, dès le mois de juillet 1971, à la mise en œuvre des premières pages arabisées du journal, parmi lesquels figurent Chaâbane Rezzouk, promu directeur général de l'entreprise (1998-2000), Mohamed Kimouche (rédacteur en chef, en 1979-1980), Saïd Hammouche, le tout premier rédacteur en chef, de 1972 à 1973. Ancien pigiste au bureau de Batna de l'ancienne rédaction en

langue française, Mohamed-Tayeb Hafidi, qui a fait une carrière au greffe du tribunal des Aurès, assure pendant quelques mois le secrétariat général d'une rédaction qui se préoccupe de chercher de nouvelles plumes, parmi lesquelles se distinguent Allaoua Djaroua Wahby, connu à Constantine pour avoir écrit poèmes et nouvelles et pour sa passion du théâtre, qui lance la rubrique culturelle du journal, mettant au premier plan les signatures de Mustapha Nettour et Mohamed Zetili. « An Nasr » démarque, cependant, dans ses rubriques et dans sa mise en page son aîné « Ech Chaâb », quotidien national en langue arabe implanté à Alger.

Cette rédaction inaugurale, renforcée par de jeunes rédacteurs qui ne devaient lui apporter que leur enthousiasme, se jetait à l'eau pour une nouvelle aventure dans un environnement professionnel où tout était à créer ?

1.2. Un quotidien national ?

Dès le 3 janvier 1972, le journal sort sur grand format 60 cm X 40 cm sur six pages, et ne passera à douze pages qu'au début de 1979. Le journal reste dans l'option socialiste du parti unique et de l'État, définie par la Charte d'Alger, en 1964 ; il adopte d'emblée l'éditorial, souvent signé en « une » et des commentaires-maison en dernière page pour témoigner de son intérêt aux questions politiques du jour. « An Nasr » se proclame « quotidien national d'information » alors même que sa zone géographique d'implantation est régionale. Pourquoi cette qualification régionale plus réelle est-elle occultée ? D'emblée, le quotidien constantinois exclut une identité fondamentale qui aurait pu servir de lien avec une région et un lectorat, qui restait à constituer. L'analyste de la presse Jean-François Lemoine note une des fonctions traditionnelles du journal régional qui « fonde sa personnalité au plus profond de son terroir, dans une relation de proximité à la fois affective et fonctionnelle. Il est le porte-drapeau des élans du ''pays'' et le tambour de la ville de la vie quotidienne » (1992 : 18). N'était-elle pas requise par le quotidien arabisé conduisant ses premiers pas, éloigné de son ancrage local-régional naturel ? Cette amplitude nationale autoproclamée garde, toutefois, un caractère plus thématique que spatial, car « An Nasr » n'est pas distribué dans toutes les régions d'Algérie. Elle appelle des responsabilités visibles dans la répartition de la surface rédactionnelle qui privilégie, toujours, en ouverture les activités du gouvernement et du parti FLN, qui occupent généralement jusqu'à une page et demi en fonction de l'actualité, les informations locales et régionales apparaissant en second, suivies par le sport, l'international et la culture, qui

bénéficie une ou deux fois par semaine de pages spéciales. Les pages magazines alternent avec des pages dédiées à la famille, à la santé ou à l'Université. Le journal tient le cap pendant plusieurs années avec cette organisation informationnelle, faisant place au développement progressif de la publicité.

Le quotidien continue à assurer lui-même sa diffusion en élargissant le réseau de dépositaires dans les principales villes de chaque wilaya de l'Est avant de céder, en 1976, cette charge à la Société nationale d'édition et de diffusion (SNED), puis aux Entreprises nationales de messagerie de presse (ENAMEP) pour l'ensemble de la région Est et la capitale. L'enjeu pour la rédaction, qui démarre difficilement avec une production basse, est de gagner des lecteurs et de confirmer l'avancée de l'arabisation dans le système scolaire et universitaire. Mais comme tout nouveau journal, « An Nasr » entre vite dans une crise structurelle de direction, qui compromet une rapide évolution de sa rédaction, de ses chiffres de production et de vente.

2. *Une gouvernance instable*

À l'épreuve de la gouvernance quotidienne, le quotidien arabophone a connu un encadrement pléthorique de son administration et de sa rédaction. Est-ce une conséquence de la nouveauté de l'expérience et de la faiblesse des potentialités humaines ? Dans l'histoire de la presse nationale, « An Nasr » est le seul journal à avoir été arabisé sans la garantie d'un parcours assuré, comme ce sera le cas de « La République-El Djoumhouria », à l'Ouest du pays, qui ne répétera pas ses erreurs.

2. 1. Une direction fluctuante

Entre le 1er janvier 1972 et la fin de l'année 1988, ce sont cinq directeurs-généraux et huit rédacteurs en chef qui sont nommés, dans un mouvement qui n'assure pas la stabilité des organes de direction administrative et rédactionnelle. Les motivations de ces changements, constants après le départ d'Abdelali Ferrah, ne sont pas justifiées par des logiques professionnelles, économiques et commerciales. Il n'ya pas une logique d'entreprise qui expliquerait et justifierait le changement de directeur de l'entreprise de presse « An Nasr ».

La nomination au poste de directeur d'organe de presse relève directement du choix du ministre chargé de l'Information dans le gouvernement. Ce qui accrédite son aura de poste spécialement politique. Ainsi, le directeur est nommé

par décret présidentiel, selon des critères précis, notamment l'adhésion au FLN, en vertu de l'article 120 du texte fondamental qui régit le parti ; il est révoqué dans la même forme. La valse des directeurs allait se prolonger de 1980, après le départ d'Abdelali Ferrah, au lendemain d'Octobre 1988 et de la phase de démocratisation des champs politique et médiatique par la Constitution de février 1989. Elle ne prend pas en compte les retombées psychosociales de ces changements et leur impact sur les responsables congédiés et le personnel de l'entreprise[358]. Elle s'accompagnait d'une instabilité plus sensible de la direction de la rédaction.

	Directeurs	*Période*	*Durée*
1	Abdelhadi BENAZZOUZ	1er janvier 1972 au 4 juin 1972	5 mois et quatre jours.
2	Abdelali FERRAH	05 juin 1972 au 1er février 1980	7 années et sept mois
3	Kamel AYACHE	3 août 1980 au 12 juillet 1984	3 années et 11 mois
4	Mustapha BOUDHENE	2 août 1984 au 21 avril 1985	8 mois et 3 semaines
5	Abdelkaïoum BOUKAABECHE	22 avril 1985 au 27 novembre 1986	1 année et sept mois
6	Abdallah GUETTAF	15 février 1987 au 22 décembre 1988	1 année et dix mois

Tableau 1 : *Mouvement des directeurs d'*An Nasr *(1972-1988)*.

Après les directions d'Abdelali Ferrah et de Kamel Ayache, qui s'étalent sur onze années et 6 mois, lui conférant une nette stabilité, le journal entre dès le 2 août 1984 dans une période de gouvernance flottante qui en compromet une

[358] Dans une étude sur les risques psychologiques du changement organisationnel non préparé dans l'entreprise, Laurent Granger (2023) note les situations extrêmes de deuil des personnes licenciées, souvent insurmontables. En Algérie, le licenciement de cadres supérieurs, qui n'obéit pas à une logique d'entreprise économique et financière, s'accompagne de disgrâce politique.

avancée planifiée. Il n'est pas assuré d'expliquer cette persistance de mandats de court terme (ainsi Mustapha Boudhène a fait le passage le plus rapide à la direction du titre, de 8 mois et 3 semaines). Ont-ils été sanctionnés en raison de bilan peu avantageux ? Il n'y a pas eu de communication même dans les colonnes du journal sur les changements qui affectent la direction. De 1984 à 1987, trois directeurs sont nommés sur une période de quatre années et cinq mois entrainant une déperdition de projets. Parmi les cinq directeurs du quotidien officiellement nommés par décret présidentiel, Abdallah Guettaf est une exception : il aura bénéficié d'une promotion interne puisqu'il était auparavant rédacteur en chef du titre. Les autres directeurs sont des personnalités extérieures dont le rôle s'apprécie sur le plan de la gestion économique et commerciale comme patrons de société nationale et politique comme censeur de la ligne éditoriale. Le cas d'Abdelkaïoun Boukaabèche, venant de la presse audiovisuelle, est à dissocier : il a été pendant une longue période le présentateur attitré du journal télévisé de 20 heures de la télévision nationale. Sa nomination à la direction d'« An Nasr » pouvait être perçue comme une promotion pour services rendus.

2.2. La rotation des rédacteurs en chef

Contrairement à la charge de directeur-général de l'entreprise dont le recrutement reste ouvert celui du responsable de la rédaction est strictement interne. Cependant, il est ardu de postuler, à la suite de Pierre Bourdieu (1994), un « champ journalistique », mais symptomatiquement un « hors-champs » favorisant la formation d'une élite dépendante, de manière trop évidente, du champ politique, par rapport auquel elle se détermine, qui lui impose ses contraintes. L'autonomisation du journaliste (et de la presse) n'est pas accomplie. Dans la tradition de la presse publique nationale, le rédacteur en chef est choisi parmi les membres éminents de la rédaction et nommé par arrêté ministériel sur proposition du directeur de l'organe de presse. C'est, certainement, le poste où peuvent prendre forme les compétitions de légitimité entre les barons de la rédaction. À « An Nasr », cette inconstance dans la chefferie de la rédaction exprime l'état des forces en présence, leurs luttes et leurs arrangements. Elle marque aussi l'incidence d'un modèle rédactionnel d'une lente maturation.

	Rédacteur en chefs	*Période*	*Durée*
1	Saïd HAMMOUCHE	3 janvier 1972	1 année et 6

		au 7 juillet 1973	mois
2	Ahmed BENALLOU	8 août 1973 au 7 juillet 1974	11 mois
3	Mohamed-Tahar CHEBATA	18 novembre 1974 au 24 octobre 1975	11 mois
4	Mohamed KIMOUCHE	5 mai 1979 au 5 mai 1980	1 an
5	Hadi BENYEKHLEF	6 mai 1980 au 2 novembre 1981	1 année et six mois
6	Omar FELLAHI	22 septembre 1983 au 20 avril 1985	1 année et six mois
7	Abdallah GUETTAF	22 avril 1985 au 15 février 1987	1 année et dix mois
8	Mohamed-Saïd FILALI	25 juin 1987 au 25 juin 1990	3 années

Tableau 2 : *Mouvement des rédacteurs en chef d'*An Nasr *(1972-1988)*.

La fonction de rédacteur en chef est à la fois fragile et aléatoire ; le seul titulaire du poste qui se soit inscrit dans la durée est Mohamed-Saïd Filali pendant une période remarquable de trois ans. Il y a eu des périodes pendant lesquelles il y avait vacance du poste, notamment une grande période de 3 années et sept mois après le départ de Mohamed-Tahar Chebata, et de quatre mois après celui d'Abdallah Guettaf, promu directeur-général de l'Entreprise nationale An Nasr Presse.

3. *Aspects commerciaux et financiers*

Le statut de « société nationale à caractère industriel et commercial » correspond-il à une entreprise de presse ? Dès sa création, « An Nasr » arabisé, tout comme l'édition en langue française qui l'a précédée, ne pouvait atteindre un équilibre de ses comptes. Formellement, les dispositions de son statut

fondateur (art. 57, 58, 27) prévoient un exposé annuel des comptes de la société par son directeur-général aux ministres de tutelle et des Finances et du Plan, qui peuvent les censurer ou en demander des éclaircissements. Le principe de la subvention par l'État de la presse nationale n'a jamais été mis en cause.

3.1. Le modèle économique

« An Nasr » a été la propriété du parti FLN, de 1963 à 1965, avant d'être intégré sous la tutelle du ministre de l'Information dans le domaine de l'État dont il sert principalement les attentes politiques et idéologiques. Le statut du 16 novembre 1967 désigne les ressources financières de la société nationale dans son article 22 ; « Les recettes de la ‘‘société nationale An Nasr Presse’’ sont constituées : 1°) par la vente des quotidiens et périodiques diffusés par la société ; 2°) la rémunération des travaux de labeur ; 3°) les subventions de l'État, les dons et les legs. » Deux postes apparaissent comme fragiles : la vente des journaux (directe en kiosque ou par abonnement) et les travaux de labeur qui regroupent l'ensemble des commandes d'impressions adressées par l'administration ou des organismes publics à l'imprimerie attachée au titre, qui demeurent circonstancielles et imprévisibles.

Y a-t-il eu de notables évolutions dans les années 1971-1980 dans le spectre des ressources financières ? Le modèle économique d'« An Nasr » est resté conventionnel. Il repose sur trois indicateurs :

1°) Dans un quotidien étatisé au cahier des charges rédactionnel immuable, la recherche de bénéfices n'est pas perçue comme un objectif. Même s'il se prête au jeu de la rentabilité et il n'y parvient pas généralement, « An Nasr » voit ses caisses renflouées par des dotations de l'État.

2°) Le produit rédactionnel que propose le journal n'est ni original ni concurrentiel pour asseoir des ventes exceptionnelles. Si « An Nasr » arrive dans les années 1970 à une cadence de vente autour de 30000 exemplaires / jours, il peut compter sur un abonnement constant d'institutions administratives ou d'entreprises économiques ; mais, il est difficile de savoir le type de clientèle qu'il touche dans la société : tout au long de son parcours, cet aspect n'est pas documenté. Sur l'ensemble de sa production avec un tirage moyen quotidien au-delà de 50000 exemplaires, la part du « bouillon » (invendus) peut grever les finances de l'entreprise. Cependant, il n'y a pas de ratio production / vente imposé.

3°) Troisième source de capitalisation après les allocations de l'État et les legs, les ventes et les travaux d'impressions pour des tiers, la publicité Elle n'a pas

été prévue dans les ressources du journal dans les dispositions statutaires du 16 novembre 1967. Monopole de l'Agence nationale d'édition et de publicité (ANEP), depuis sa création en 1967, la publicité, qu'elle soit administrative, commerciale ou de particuliers est demeurée longtemps un précieux recours financier pour la société nationale An Nasr Presse. L'historien de la presse Zahir Ihaddaden pouvait même s'en indigner : « En 1981, sur 15 320 000 de recettes, ses revenus publicitaires étaient évalués à 10 558 169 DA, soit 68,90%, ce qui indique une tendance malsaine dans un régime socialiste » (2012 : 187). Pour autant qu'elle fut « malsaine », cette tendance de la publicité suppléant l'avanie des ventes connaîtra une continuelle expansion dans le parcours du titre jusqu'au XXI[e] siècle[359].

3 .2. Production et ventes

La vague continue de nominations et de départs de directeurs-généraux et de rédacteurs en chefs fut-elle entretenue par les luttes de personnes à l'intérieur de l'entreprise ? Elle se ressent dans le difficile développement de la production et de la vente du journal, de 1972 à 1988, selon les données statistiques réunies par le ministère de l'Information, en 1988 :

Année	Tirage moyen	Année	Tirage moyen
1972	11 000	1981	60 000
1973	16 000	1982	65 000
1974	15 000	1983	70 000
1975	17 000	1984	75 000
1976	19 000	1985	80 000
1977	30 000	1986	80 000
1978	40 000	1987	60 000
1979	50 000	1988	60 000
1980	53 000	-	-

Tableau 3 : *Tirages moyens (année / jour) de 1972 à 1988.*

[359] Dans les années 1990, après la libéralisation du secteur de la presse et la création de titres privés par des collectifs de rédacteurs issus des journaux publics, « An Nasr », unique journal de la presse publique dans l'Est algérien devait monopoliser la publicité des administrations de l'État et de ses entreprises économiques, distribuée par l'ANEP, lui accordant parfois plus de 60 % de sa surface, augmentant en cas de besoin à 32 pages tabloïd la surface du quotidien, quels qu'en soient les tirages, parfois très bas.

Ces chiffres de tirage moyen / jour par année, qui inscrivent une chute de 20 000 exemplaires / jour pour les exercices 1987 et 1988, n'expriment pas la réalité des ventes. La SNED qui a pris en charge la diffusion publique (hors abonnements) sur son réseau national de dépositaires à partir de l'année 1977 donne des chiffres de ventes du journal assez précis pour apprécier son impact auprès du lectorat instruit en langue arabe. Il est, cependant, assez difficile de marquer la progression de l'arabisation dans un système scolaire et universitaire où le bilinguisme arabe / français restait encore la règle, même si la formation d'élites nationales arabisées prenait son envol dans la société et dans ses institutions.

Les chiffres, plus précis, sur cinq années d'augmentation du tirage, de 1981 à 1985, donnés par la SNED, marquent les possibilités de la production :

Année	*Tirage*	*Exemplaires donnés à la SNED*	*Vendus*	*Invendus*	*Pourcentage d'invendus*
1977	30 000	21 120	16 421	4 699	22,25
1978	40 000	22 845	19 119	3 727	16,31
1979	50 000	34 162	26 438	7 724	22,61
1980	53 000	38 979	31 676	7 308	18,73
1981	60 000	52 855	41 566	11 289	21,36

Tableau 4 : *Taux d'exemplaires vendus et invendus (1977-1981).*

La particularité de ce bilan, outre qu'il apporte une indication sur une évolution en dents de scie, relève aussi une gestion du tirage qui n'est pas directement lisible ; le journal réserve, de 1977 à 1981 de 3 % à 15 % de son tirage pour une diffusion qu'il assure lui-même auprès d'abonnés particuliers et institutionnels et pour services gratuits. Tout comme l'édition en langue française, « An Nasr » arabisé n'équilibre pas ses comptes et bénéficie de l'aide directe de l'État qui est passée de 2 000 000 DA, en 1972, à 3 350 000 DA, en 1981. S'il n'a pas de frais d'immobilier et possède encore les deux rotatives de « La Dépêche de Constantine et de l'est algérien », les frais d'intrants (papier, encres) sont soutenus par un achat collectif souscrit par le ministère de l'Information pour l'ensemble de la presse nationale. La part la plus importante de la trésorerie du journal revient aux salaires d'environs cent employés des différents services (rédaction d'« An Nasr » et d'« El Hadef », imprimerie, services administratifs). Si le quotidien a acquis, depuis 1967, le statut de société nationale, entrant de

plain-pied dans le monde économique, il en est encore éloigné de la rigueur des comptes. Il est vrai, toutefois, que le gouvernement, qui continue à subventionner ses journaux[360], n'en attend pas des retombées commerciales. C'est l'austère communication de l'État et de ses instances (FLN, gouvernement) qui reste son unique mesure.

4. *Un axe de développement de l'entreprise de presse :* « El Hadef »

« El Hadef », supplément sportif de la société nationale An Nasr presse a permis de recaser une partie de la rédaction d'« An Nasr » en langue française qui n'a pas été absorbée par les organes de presse nationaux d'Alger, notamment « El Moudjahid ». Sa parution, le 3 janvier 1972, comme hebdomadaire des sports, ne répond d'aucune habilitation officielle. Comme « Algérie actualité », avant sa légalisation dans le cadre de l'Entreprise nationale d'Édition de revues et magazines (ENERIM), en 1985, El Hadef est un supplément sans papiers, sans décision juridique. Il a été lancé sur simple commande verbale émanant du ministère de l'Information et de la Culture, adressée à la SN An Nasr Presse. Cet hebdomadaire aurait pu être édité, puisque la tendance était à l'arabisation de la presse nationale, en arabe. Les raisons de sa création n'ont jamais été explicitées. Le fait est que face à un titre quotidien en langue arabe paraît dans la même entreprise de presse un nouveau titre en français.

Dans l'histoire clairsemée de la presse sportive, deux tentatives ont été menées, mais sans suite, dans les années 1960, dans le sillage de la presse du parti FLN et de la presse gouvernementale. La première est celle d'« Algérie sports », hebdomadaire en langue française publié à Alger, qui fait partie, sous la direction de Noureddine Boukhtouchène, du groupe de presse du parti FLN ; l'hebdomadaire, créé le 19 février 1963, arrête définitivement le 2 avril 1963 après avoir sorti sept numéros. La seconde date de l'année 1966 lorsqu'« El Moudjahid », quotidien national en langue française, édite le supplément hebdomadaire « Sports actualité », animé par le journaliste Mokhtar Chergui, qui aura une existence assez courte, puisqu'il disparaît au terme de quelques numéros sans laisser de souvenirs. La particularité de cette presse sportive, à Alger comme à Constantine, est d'être déclinée en langue française.

Il n'est pas établi que l'expérience d'un troisième hebdomadaire d'information sportive fut rationnellement préparée. Ses initiateurs pouvaient parier sur

[360] « An Nasr » a été régulièrement soutenu par les subventions de l'État qui équilibraient ses comptes annuels. De 1972, première année de l'arabisation, à 1982, les dotations reçues ont été au-delà du million de dinars, avec des pics à 2 000 000 DA, en 1972, 2 100 000 DA, en 1973, 2 605 000 DA, en 1980 et 3 350 000 DA, en 1981, le plus haut taux. Après 1982, le journal a pu s'autofinancer grâce à la publicité.

l'engouement du lectorat algérien pour le football, qui nourrit une rubrique régulière et plusieurs pages quotidiennes des journaux. Il y avait donc une place à prendre encouragée par une diffusion quasi-nationale, valorisant de grands tirages, dépassant les 100000 exemplaires en 1982, dans les marges de la Coupe du monde de football en Espagne où l'Algérie aura assuré honorablement sa première participation. Encadré par la SN An Nasr Presse, utilisant ses potentiels humains, matériels et techniques, le nouvel hebdomadaire sportif reste sous le contrôle des directeurs-généraux de l'entreprise, qui ont confié et confirmé à chaque changement la direction de la rédaction à Mustapha Manceri, ancien maître d'éducation physique et sportive des Écoles, qui fut chef de la rubrique sports d'« An Nasr » en langue française, entre 1966 et 1971. De fait, à travers son expérience exclusive de journal des sports, « El Hadef » a échappé aux turbulences qui ont marqué l'encadrement de la société, traversant sans coup férir toutes les vagues et se maintenant dans un juste équilibre financier jusqu'à sa disparition le 23 février 1997, après un quart de siècle d'existence. Pour la première fois dans l'histoire de la presse nationale, « El Hadef » a témoigné que l'expérience d'une information sportive était viable, et il s'en est fait le pionnier.
Au petit groupe de journalistes qui lancent l'hebdomadaire des sports, notamment Boubakeur Hamidechi, Salim Mesbah, Aziz Rahmani, pivot de la rubrique sportive d'« An Nasr » en langue française, et Mohamed-El Ghazi Kammas se joignaient Kamel Mohamed-Larbi Abboud, Kamel Omar Benmohamed, Mustapha Bouchetib, jeunes diplômés en lettres françaises de l'Université, alors qu'un grand effort a été entrepris pour constituer un réseau dense de correspondants dans toutes les villes d'Algérie où était entendu le langage du football. S'il était un hebdomadaire généraliste de sports, « El Hadef » entretenait la flamme du football en Algérie et à l'étranger. Il lance le 11 novembre 1989 une seconde édition du titre « El Hadef week end », qui cesse de paraître le 24 juin 1992.
Malgré un personnel réduit, l'hebdomadaire sportif était armé pour faire le pari d'une parution régulière ; et il le tiendra, puisque ses ventes compenseront largement ses frais de fonctionnement et de production. Il est toujours intéressant de revenir aux chiffres de départ pour comprendre la dynamique d'un titre de presse. Les engagements de départ n'étaient pas ambitieux et l'équipe de l'hebdomadaire sportif joua la prudence. Tirant entre 20 000 exemplaires, en 1972, pour atteindre 120 000 au début des années 1980 et ensuite chuter autour de 40 000 exemplaires peu de temps avant son arrêt, « El Hadef » a un « bouillon » qui oscille entre 20 % et 35 % de la production remise aux messageries de la SNED.

Pour la période (qui nous intéresse, qui s'achève fin 1988), les sondages aléatoires sur quatre exercices, fournis par le ministère de tutelle, sont une indication sur les erreurs de gestion économique du titre sur le long terme :

Année	*Production livrée à la SNED*	*Exemplaires vendus*	*Exemplaires invendus*	*Pourcentage d'invendus*
1976	46 923	33 944	12 979	27,66
1978	67 641	51 576	16 065	23,75
1980	85 935	68 059	17 876	20,80
1982	109 819	82 518	27 301	24,86

Tableau 5 : *Taux d'exemplaires vendus et invendus d'*« El Hadef » *(1976-1982).*

Lorsqu'un hebdomadaire de taille moyenne « bouillonne » à 24,86 % de sa production (soit 27 301 exemplaires), le nombre des exemplaires vendus est sans effet parce que le journal ne reçoit pas la compensation de la publicité. Dans le produit, « El Hadef », c'est moins la désaffection du lectorat et la situation de l'hebdomadaire sportif dans le marché de l'information qui fait problème. Vers la fin des années 1970 au début des années 1980, « El Hadef » est confronté à une crise de croissance qui a dû lui faire surestimer la taille de son lectorat dédoublée par une involution du produit, vite jugulée au moment des compétitions de la Coupe d'Afrique des Nations (CAN), organisée tous les deux ans dans un pays africain, et les qualificatives de la Coupe du monde de football (1980-1982) ; certes, les chiffres s'envolent à l'occasion de ces joutes internationales pour lesquelles l'hebdomadaire délègue pour leur couverture des envoyées spéciaux, mais les lendemains de ces grandes et spectaculaires manifestations sportives déchantent. Le lectorat rétrécit et l'attrait commercial devient moindre. Or, la reconduction de son lectorat est la seule condition d'une progression d'« El Hadef ». Francis Balle peut noter à propos de l'intégration d'un titre de presse dans le marché :

« Avant toute autre chose, les médias recherchent le profit. Ils voudraient que tout se vende, que tout s'achète. Pour atteindre leur objectif, ils s'emploient à répondre aux attentes de leurs ''clients'', ils cherchent avant tout ''à plaire et à séduire''. Le marché, c'est ce qui marche ; la concurrence, quant à elle, permet seule de laisser le dernier mot aux clients » (Balle, 2011 : 102).

Expérience humaine palpitante, dès son départ, « El Hadef » était un journal bien écrit, qui a témoigné de beaucoup de qualité, pour le lecteur-chercheur qui travaille sur ses collections. Mais il est resté, longtemps, seul sur le terrain sans concurrence dans son domaine, pour en subir l'usure. La libéralisation de la presse, les nombreuses créations de titres de presse dans plusieurs domaines, notamment le sport, allait susciter une concurrence qui se ressentait assez vite dans ses chiffres de production, passant de plus de 100000 exemplaires à environ 400000 exemplaires. Cette baisse drastique du lectorat, cumulée à la fastidieuse entrée de la société-mère « An Nasr » dans l'univers de la compétition induit par la presse privatisée, sonnait, en 1997, le glas de celui qui a été dans une longue période l'unique journal des sports dans le pays.

Conclusion

L'entreprise nationale « An Nasr Presse » a certainement pâti des distorsions continues de son encadrement qui ont provoqué un retard de développement crucial. Le quotidien « An Nasr » arabisé et son supplément sportif hebdomadaire en langue française « El Hadef » ont été crées, au début des années 1970, dans un contexte médiatique qui ne supposait aucune concurrence et compétition de légitimité. Dans les faits, son modèle économique, excluant la rentabilité, où l'État-propriétaire est déterminant, comblant pertes et déficits, demeure incertain.

L'objectif le plus gratifiant d'« An Nasr », quotidien de la région Est du pays, a été de contribuer à la consolidation de la notion de presse étatique, publique et nationale. Au gré des ans, le quotidien devait évoluer. Il y a eu des facteurs qui ont favorisé le développement du lectorat. De l'Algérie de Boumediene (1965-1978) à celle de Chadli Bendjedid (1979-1991), la scolarisation tous paliers confondus, du cycle fondamental au cycle secondaire et à l'Université, a fait un remarquable bond en avant[361]. Cette période des années 1970-1980 est aussi celle de l'arabisation de l'ensemble des disciplines universitaires en droit, sciences économiques, sociales et humaines, encourageant l'essor d'une élite arabisée, formant une considérable réserve de lecteurs pour les journaux en

[361] Selon les données de l'Office national des statistiques (ONS), à la fin de la présidence de Houari Boumediene, en 1978, la population algérienne recensée était de 18 884 698 habitants, comptant 3 421 000 élèves des établissements de l'Éducation nationale et 53 800 étudiants des Universités. En 1989, sous le règne de Chadli Bendjedid, la population algérienne était 24 904 931 habitants dont 5 022 000 étaient scolarisés par l'Éducation nationale dans ses trois paliers au moment où était enregistré le chiffre de 180 800 étudiants de l'Enseignement supérieur.

langue nationale. Relativement à l'assignation de la langue arabe dans la société, le rôle de médiation culturelle du journal peut être apprécié. Car, comme le notent Dominique Kalifa et Alain Vaillant (2004 : 208), le journal « fonctionne comme un instrument de médiation et d'intermédiation entre les personnes », même si ce facteur reste à étudier dans la sphère médiatique algérienne.

Cette double mission d'institutionnalisation de la presse et de médiation culturelle, « An Nasr » s'y engage à ses débuts sans héritages déclarés, sans potentiels humains reconnus. Au gré des avancées scolaires et de la lutte contre l'analphabétisme, le journal arabisé a constitué et élargi ses lectorats dans toutes les strates de la société. Les chiffres de production et de ventes d'« An Nasr » se sont maintenus 1°) au niveau du croît démographique régulier de la population, plus précisément de la population instruite en langue arabe, la plus importante au tournant des années 1970-1980 ; 2°) au niveau culturel et sociologique, avec l'achat quotidien du journal régional dans les familles de la petite bourgeoisie. Les tirages ont oscillé entre 35 000 et 80 000 exemplaires, ce qui n'est pas négligeable relativement à son espace de diffusion plus régional que national avec parfois une diffusion symbolique de quelques exemplaires / jour à Oran, Tlemcen, Djelfa, Chlef, Tizi Ouzou, Ouargla.

Pour sa part, « El Hadef » a certes franchi, au début des années 1980, la barre des 100 000 exemplaires, gagnant une diffusion constante dans les grandes cités urbaines du pays ; mais, il aura souffert d'édifier son fragile succès sur des lectorats volatils, vite perdus au moment de la libéralisation de la presse au seuil des années 1990. Ni « An Nasr » ni « El Hadef », qui ont vogué sans rivaux, dans la région Est, pour le premier, et dans la spécialité de l'information sportive au plan national, pour le second, n'ont acquis une nécessaire culture de la compétition. Ils se trouvèrent démunis face à une concurrence neuve et féroce de la presse privée. Cependant, il convient de relativiser cet inventaire chiffré qui ne rend pas justice à ce qu'a été, malgré toutes sortes de fragilités, la richesse humaine d'une expérience journalistique inaugurale sans précédent à « An Nasr » et « El Hadef », où il a fallu forger pan par pan un socle de repères professionnels et éthiques pour inscrire les métiers du journalisme dans l'avenir.

Références bibliographiques

Ouvrages

AGGOUN, Y. (1992). « El Moudjahid. Monographie du quotidien national algérien de langue française de sa création à nos jours (1965-1990). Thèse, Université Paris 2.
ANCER, A. (2001). *Encre rouge. Le défi des journalistes algériens*. Alger : Éditions « El Watan ».
BALLE, F. (2011). *Les médias*. Paris : PUF (coll. « Que sais-je ? »).
GRANDGUILLAUME, G. (1986). *Arabisation et politique linguistique au Maghreb*. Paris : Maisonneuve & Larose.
IHADDADEN, Z. (2012). *L'Information en Algérie, de 1965 à 1982*. Alger : OPU.
IHADDADEN, Z. (1983). *Histoire de la* presse indigène en Algérie *: des origines jusqu'en 1930.* Alger : ENAL.
KAYSER, J. (1967). *Le quotidien français.* Paris : Armand Colin.
LEMOINE, J-F. (1992). *L'Europe de la presse quotidienne régionale*. Paris : Syndicat de la Presse quotidienne régionale.
NEVEU, É. (2001). *Sociologie du journalisme*. Paris : La Découverte.
RIEFFEL, R. (2001). *Sociologie des médias*. Paris : Ellipses.

Périodiques

BOURDIEU, P. (1994). « L'Emprise du journalisme ». *Actes de la recherche en sciences sociales*, n° 101-10 (pp. 3-9).
KALIFA, D., VAILLANT, A. (2004). « Pour une histoire culturelle et littéraire de la presse française au XIX^{e} siècle », *Le temps des médias,* 2004/1, n° 2 (pp. 197 -214).
MILIANI, H. (2013). « La presse écrite en Algérie : positionnements médiatiques et enjeux linguistiques », *Multilinguales* (Université de Bejaia), vol. 1, 2013 (pp. 181-191).
MOUILLAUD, M. (1968). « Le système des journaux (Théorie et méthodes pour l'analyse de presse). *Langages*, 3^{e} année, n°11 (pp. 61-83).
TERRAR, A. (2014). « L'Étude bibliométrique des archives du journal ''El Moudjahid '', de 1956 à 1962 », *Revue de Bibliothéconomie* (Université d'Alger), vol. 6, n° 1, (pp. 172-189).

Sites internet

BOURDIEU, P. (1994). « Journalisme et éthique ». Actes du colloque fondateur du centre de recherche de l'ESJ de Lille (en ligne : www.esj-lille.fr:80/esjrec/bourdie.htm.)

GRANGER, L. (2023). « Comment conduire le changement ». *Manager Go !*, juillet (en ligne).

Textes institutionnels

Décrets de mars 1963.

Charte d'Alger, 1964.

JORA, 24 novembre 1967 (Ordonnance n° 67-253 de création de la SN An Nasr Presse, suivie en annexe des statuts de l'entreprise).

Code l'information, 1968, 1982.

Journaux

Consultation aléatoire par sondage aux Archives de la wilaya de Constantine de plusieurs années de parution d'« An Nasr » et d'« El Hadef » de la période étudiée (1972-1988).